
اجاثا كريستي
امرأة في مأزق



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

امرأة في مأزق
Curtain (Poirot's last case)

على الرغم من أنَّ داء الروماتيزم قد أقْعده حتى أنه أصبح يتنقَّل بكرسي مُتحرك، إلا أن عَقْله كان محتفظًا بقوته وصفائه. بالإضافة إلى أنه كان يُجري البحْث كعادته وهو على المقعد المتحرك. من جانب آخر كانتْ جميع الأماكن مألوفة له في القصْر الريفي في «ستيل»... ولقد حَصل «بوارو» على شهرة هنا أيضًا فيما مضى؛ إذ كان في وسْعه أن يتواجدَ في هذا المكان بصفَة زائر، لكن لا؛ لقد أتى لمواجهة سفّاح قاسٍ عنيد. كان هذا الشخص مرتبطًا بخَمْس حالات إجرامية – استدْعَى «بوارو» صديقَه القديم «هاستنج» لما يتمتَّع به من خبرة وصفات بَدنية تُؤهله للقيام بمساعَدة «بوارو» على الوصول إلى السفَّاح مرتكب هذه الحالات الإجراميّة الخمْس.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953383197



امرأة في مأزق

بوناورد الأسطه

يقدّم

الرواية المعربّة

امرأة في مأزق
(31)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

الاسم الأصلي للرواية

Curtain

(Poirots Last Case)

(1975)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

أهم الشخصيات

– "هركيل بوارو" : ضابط المخابرات العجوز المتقاعد.

– القائد "هاستنج" : صديق قديم لـ"بوارو" وخبير في الكشف عن الجريمة.

– الدكتور "فرانكلين" : طبيب وخبير أبحاث.

– السيدة "بربارا فرانكلين" : زوجة الدكتور "فرانكلين".

– السيدة "كرافين" : ممرضة تقوم بمساعدة الدكتور "فرانكلين".

– السيدة "جوديت" : ابنة "هاستنج" فنانة جميلة، يعشقها "أليرتون" تعمل مع الدكتور "فرانكلين" ويأتمنها على أسراره.

– السيد "أليرتون" : (دون جوان) ينجذب نحو النساء.

– السيد "نورتون" : رجل مذبذب في سلوكه، هوايته صيد الطيور، والاهتمام بالزهور.

– "جورج" : خادم خاص للسيد "بوارو" ويتصف بالذكاء.

– "كورتيس" : خادم يقوم بخدمة السيد "بوارو" ويتصف بالغباء.

الفصل الأول

من ذا الذي لم يشعر بالضيق عندما يسترجع تجربة كان قد اجتازها أو لم يحس بألم نفسي طارئ؟ "لقد حدث لي ذلك"

لماذا نتأثر بمثل هذا العمق إزاء هذه الكلمات البسيطة؟! هذا هو السؤال الذي كنت أتساءله، في أثناء فترة تواجدي في عربتي. ناظراً إلى المناظر الريفية المتشابهة وهي تمر أمامي في منطقة الـ"**إسيس**" Esses. كم من الزمن مضى منذ أن قمت بهذه الرحلة مع هذا الإحساس الغبي بأن أفضل ما في حياتي قد سبقني. وإذا جرحت خلال هذه الحرب التي ستظل دائماً الحرب، على الرغم من أنها قد تلتها غيرها، كنت مقتنعاً بأني نضجت وكان ذلك في عام 1916. وشعرت حينئذ بأني عاجز عن إدراك أن هذه هي بداية حياتي.

كنت حينئذٍ ودون أن أدري، ذاهباً للقاء الرجل الذي سيكون له تأثير فيَّ، لقاء الرجل الذي سيعمل على تشكيل حياتي. في الواقع إني كنت ذاهباً إلى صديقي القديم "**جون كافنديش**" منذ كانت أمه قد تزوجت حديثاً للمرة الثانية وكانت تمتلك منزلاً في الريف قد منحته اسم "**ستيل كور**" ولم يكن لهذه الرحلة هدف إلا العمل على إعادة العلاقات الودّية القديمة، بعيداً عن الشك في أني أُعرِّض نفسي للوقوع في مواقف معقدة مظلمة لجريمة غامضة.

إذن كان لقائي بـ"**هركيل بوارو**" في "**ستيل**" هذا الشخص القصير القامة، من كنت قد تعرفت إليه في "**بلجيكا**". تذكرت كذلك ذهولي عندما رأيته صاعداً شارع "القرية" الكبير، وهو يسير بخطى متعرجة ويزيّن وجهه شاربان غريبا الشكل.

إنه "**هركيل بوارو**" الشخص الذي دامت لي صداقته منذ أن تقابلنا وهو الشخص الذي حصلت معه –عندما كنا نطارد سفاحاً آخر– على من كانت يجب أن تكون زوجتي أرق امرأة وأشرف فتاة وأروع رفيقة كما لم يحصل على مثلها رجل آخر. وهي تستريح حاليًا في "**الأرجنتين**"، بعد أن ماتتْ –كما كانت تتمنى– دون معاناة آلام طويلة وكذلك عدم المرور بمتاعب الشيخوخة. لكن، وا أسفاه... لقد تركت من بعدها رجلاً يعاني الوحدة واليأس.

آه، ليتني قادر على العودة إلى الخلف والبدء في مسيرة حياتي من جديد. كم من

تغييرات كانت ستحصل منذ ذلك الحين لو أنني تمكنت من التواجد -بطريقة سحرية- ذات يوم من أيام عام 1916 . عندما كنت ذاهبًا للمرة الأولى إلى "**ستيل**" . يا للتغييرات التي طرأت على الوجوه المألوفة! أما بالنسبة إلى المنزل ذاته، فكان قد بيع. كان "**جون كافنديش**" قد توفي في ذلك الحين، لكن زوجته "**ماري**" تلك المخلوقة الساحرة والفاتنة واللغزية قد كانت على قيد الحياة هناك في مدينة "**ديفون**" . أما "**لورانس**" فكان يسكن في "**جنوب إفريقيا**" مع زوجته وأبنائه.

تغييرات "نعم" ، تغييرات في كل مكان. عدا شيء واحد ظل مشابهًا لما كنت قد شاهدته من قبل لقد عدتُ إلى "**ستيل**" لكي ألتقي بـ"**هركيل بوارو**" .

كم كانت دهشتي -قبل ذلك بأيام- عندما وصلني منه خطاب عليه: "**ستيل**" كعنوان؛ لأني لم أره منذ أكثر من عام. مع ذلك لقد أحزنني هذا اللقاء: كان ينبغي لي أن أعبِّر بلغة أقوى كان أقول: "لقد ارتبكت. ها هو "**بوارو**" -من لحقت به الشيخوخة حاليًّا- وقد حطمه داء الروماتيزم. كان قد ذهب إلى "**مصر**" بغية تحسين حالته الصحية، لكن - كما وافاني في خطابه - لم يطرأ عليه أي تطور. على الرغم من ذلك كان خطابه لا يخلو من الحماس. . . .

" . . . ألم تَحْتر يا صديقي، عندما شاهدت العنوان الذي أحرِّر لك منه خطابي؟! وهو ما يجدِّد عندك بعض الذكريات، أليست حقيقة؟! بلى، أنا في "**ستيل**" ، تخيّل! إن هذا المكان أصبح حاليًّا فندقًا عائليًّا يشرف على إدارته أحد ضباط مدرستك القديمة. ومن تهتم بالناحية المالية هي زوجته. وهو أمر متوقع؛ لأنها خير مَن تجيد التصرف في مثل هذه الأمور، إلا أنها ثرثارة، الأمر الذي يضايق زوجها. أؤكد لك أني لو كنت مكانه لمنعتها من أسلوبها هذا.

عندما اكتشفت الإعلان الذي غُمرَت به الصحف، اشتقت إلى العودة إلى هذا المكان الذي كان ملجئي الأول في "**إنجلترا**" . في مثل عمري يميل المرء إلى استرجاع أحداث حياته. من جانب آخر، لقد وجدت هنا بارونًا صغيرًا، وهو صديق لرئيس ابنتك في العمل. ولقد حثَّ آل "**فرانكلين**" على قضاء موسم الصيف هنا. وهأنا بدوري أسعى إلى إقناعك، وبذلك نكون معًا جميعًا، أسرة واحدة. كم ستكون فرصة ممتعة! لذلك أنصحك أيها العزيز "**هاستنج**" ، أن تسرع بالحضور لقد حجزت

لك حجرة بحمام لقد تطور العزيز "**ستيل**" القديم (أي المنزل القديم)، ولقد عملت على تخفيض قيمة الإقامة حتى تصبح مناسبة لك .

لقد وصل آل "**فرانكلين**" مع الفاتنة "**جوديت**" منذ بضعة أيام . وكل الأمور مستقرة، وبالتالي لن تجد لك أيّ مبرر للهرب من هذا العرض .

إلى اللقاء المخلص

"**هركيل بوارو**" "

كانت الفكرة جذابة وخضعت دون أن أضع عراقيل أمام تمنيات صديقي القديم، وإن لم تكن لي أي ارتباطات بهذا المكان؛ كان أحد أبنائي في البحرية . أما الآخر، فهو متزوج، وكان يهتم بمزرعة الأرجنتين . أما ابنتي "**جراس**" التي كانت قد تزوجت بأحد رجال الحربية، فكانت في تلك الفترة في "**الهند**" ، وابنتي الأخيرة "**جوديت**" ، كانت هي التي أأتمنها على أسراري على الرغم من أني لم أفهمها قط . كانت فتاة عجيبة ومتحفظة، تميل إلى الامتلاك ولا تعمل بنصيحة أحد . وكثيراً ما قلقت لهذا الوضع –هكذا كان يردد– لكن زوجتي كانت تفهم ابنتنا أكثر مني، وكانت تؤكد لي أنه ليس بدافع عدم الثقة إنما بالافتقار إلى الثقة وأنه نوع من الحياء غير المتعمّد . ومع ذلك كثيراً ما كانت –مثلي– تتصور هموماً غير موجودة؛ إذ كانت تقول إن مشاعر "**جوديت**" قوية ومكثفة وتحفظها غير الواعي كان يتسبب في حرمانها من الثقة بالنفس، كما كانت تبدو كئيبة بدون مبرِّر، وبالعكس كانت تبدو –عن بعد– أنها أكثر أبنائنا ذكاءً، وكنا قد خضعنا لها عن طيب خاطر لمتابعة دراستها الجامعية . كانت قد حصلت على بكالوريوس العلوم في العام الماضي وقبلت وظيفة مساعدة طبيب مهتم بإجراء أبحاث عن الأمراض المستوطنة في المناطق الاستوائية .

كثيراً ما كنت أتساءل –مع شيء من الخوف– عمّا إذا كانت "**جوديت**" تعاني في عملها، وإخلاصها لصاحب العمل ليس دليلا على بداية استسلامها لمغامرة عاطفية . غير أن تصرفاتها الجادة كانت تطمئنني، كما أني أعتقد أن "**جوديت**" تحبني من الأعماق، إلا أنها كانت من هذه الفئة المتحفظة، وبالتالي كانت تحتقر أفكاري العاطفية . بصراحة كنت أشعر بقلق شديد بشأنها . وبينما كنت مسترسلاً في

تأملاتي هذه، توقف القطار في محطة "**ستيل سان ماري**". هناك، على الأقل لم يحدث أيّ تغيير حقًا، لقد مضى الوقت، والزمن يمر؛ لكن المحطة الضئيلة كانت -بلا سبب واضح- كانت ومازالت ظاهرة وسط الحقول.

وعندما كانت السيارة الأجرة التي كنت بداخلها تخترق القرية، تحققت من مرور الزمن. لقد وجدت أن "**ستيل سان ماري**" قد تغيرت تغييراً شاملاً. محطات خدمة ودار سينما وفنادق إضافية وصفوف من المساكن المعلن عنها أنها للإيجار ذات أسعار معتدلة.

بعد قليل تخطت السيارة سور "**ستيل كور**". هناك، بدا لي فجأة أننا نستعيد الزمن. وجدت الحديقة تقريبًا كما عرفتها وكما كنت أتذكرها، غير أنها كانت مهملة والأعشاب الرديئة تخترق بلاط الممرات، بعد قليل لمحنا المنزل عند أحد المنحنيات. حقًا كانت الواجهة قد تبدلت، إلا أن النوافذ والأبواب كانت تحتاج إلى طبقة من الطلاء.

أتذكر منذ عدة أعوام مضت -عندما وصلت للمرة الأولى إلى هناك- أني شاهدت هيكل سيدة تنحني على أحد مسطحات الزهور. وهذا ما حدث أيضًا في هذه المرة ولقد بدا لي أن قلبي يكاد يتوقف عن النبض. ثم انتصبت السيدة وأقبلت عليّ، ابتسمت سرًا؛ لأن الفرق كبير جدًا بين "**إيفيلن هوارد**" الفارعة القوية التي رأيتها في الماضي وتلك التي تقف أمامي، تلك المخلوقة الهزيلة ذات الشعر الأبيض والوجنتين الورديتين والعينين الزرقاوين ذواتي النظرة الفاترة. بادرتني بالسؤال:

- أنت القائد "**هاستنج**"، أليس كذلك؟ يا إلهي! الغبار يعلو يديَّ. إن وجودك هنا يمنحنا الشرف؛ لأننا سمعنا عنك الكثير. اسمح لي أن أقدم لك نفسي: السيدة "**ليتريل**". لقد اشتريت أنا وزوجي هذا المنزل فجأة وها نحن نسعى حاليًا إلى استثماره. لم يسبق لي التفكير ذات يوم في أني سوف أكون مديرة فندق صغير، وكما أني أرى أنه لزامًا عليَّ أن أنذرك يا سيادة القائد "**هاستنج**"؛ لأني سيدة أعمال وأني على قدر استطاعتي أعمل على استثناء الكماليات.

وضحك كلانا، كما لو كنا بعد عبارة مزاح، ثم ورد إلى ذهني أن ما أدلت به السيدة "**ليتريل**" ليس بعيداً عن الواقع، أي أنها حقيقة مؤكدة. ولقد لمستُ فيها مثالاً للسيدة الصارمة خلف هذا القناع الذي لسيدة مسنة جذابة، أو بمعنى أصح

تسعى إلى أن تبدو جذابة. سألتها عن أحوال صديقي، وكان ردها:

– آه، مسكين السيد "**بوارو**". آه لو علمت مدى اشتياقه إلى رؤيتك، خلعت قفاز العمل الخاص بأعمال الفلاحة واتجهنا معًا نحو المنزل، ثم واصلنا الحديث، قالت:

– إن ابنتك حقًّا فتاة رائعة الجمال، إنها موضع إعجاب الجميع هنا، من جانبي أرى أن ما هي فيه الآن يُعتبر جرمًا في حقها، نعم، إن إجبار فتاة في ريعان شبابها على قضاء معظم وقتها منحنية على مجهر، يُعتبر جريمة في حق شبابها؛ إذ كان المفروض أن تستمتع بهذه الفترة من العمر في الخروج مع أقرانها للرقص والغناء والمرح كما هو متبع.

– أين هي الآن، أين هي في هذه اللحظة؟! ترى هل هي في أيّ مكان من الأماكن المجاورة؟

– المسكينة، إنها دائمًا في أحد المعامل التي استأجرها الدكتور "**فرانكلين**"، حيث توجد كميات من الفئران والأرانب. أعترف لك بأني لا أحب هذا النوع من الدراسة... آه... ها هو زوجي مقبل...

في تلك اللحظة ظهر القائد "**ليتريل**" عند ناصية المنزل وكان هذا الشخص فارعًا ونحيفًا ذا وجه مربع... وعينين زرقاوين تشع منهما نظرات حانية. مع ذلك كان يبدي في أثناء حديثه حركات تدل على أنه شخص عصبيّ؛ لأنه كان يشد شاربيه الأبيضين القصيرين وهو يتحدث. أقبل إليّ ومدّ لي يده للمصافحة. قال:

– لقد وصلت في قطار الـ... ساعة الخامسة والأربعين دقيقة؟ وإذا بزوجته تتدخل قائلة بنبرة حادة:

– بأيّ قطار غيره كان في إمكانه أن يصل؟! وما الداعي إلى ذكر ذلك؟ الأفضل أن تريه حجرته وبعد ذلك لا شك في أنه سيرغب في مقابلة صديقه السيد "**بوارو**". هذا إلا إذا كنت تفضل تناول الشاي أولاً يا سيد "**هاستنج**". أكدت لها أني لا أحتاج إلى تناول الشاي وأني أفضل لقاء صديقي. استطرد زوجها:

– تفضل اتبعني... ثم سأل:

– "**ديزي**"، هل تم إصعاد حقائبه؟ حينئذ أردفت السيدة "**ليتريل**":

– هذا من اختصاصك يا "**جورج**"، هأنت ترى أني مهتمة بشؤون الحديقة ولا أستطيع إتمام كل شيء في آن واحد.

– لا، مفهوم، سأعمل على التأكد من الحقائب. ارتقيت السلم من بعده. وقابلنا عند عتبة الباب رجلاً ذا شعر أبيض، هزيلاً، وقد بدت الدهشة على وجهه الطفولي، كان يعرج قليلاً في أثناء السير، كما كان ممسكًا بنظارة مكبرة. قال بنبرة متلعثمة:

– يوجد عش أو عشان... هنا بالقرب من شجرة التمر الهندي. وفور تواجدنا في القاعة الفسيحة التفت إليّ السيد "**ليتريل**". وقال:

– إنه "**نورتون**"، إنه شاب ممتاز، ومن هواياته اهتمامه البالغ بالعصافير والزهور. وكان في الرُّواق رجل فارع القامة واقفًا بالقرب من التليفون.

– كم أتمنى أن أقوم بشنق أو بانتزاع أحشاء كل أولئك المعتدين على الطيور... إنهم فعلاً غير قادرين على إنجاز ما هو نافع.

ولما كانت طريقة انفعاله مضحكة جدًّا، انطلقنا في الضحك في الحال بدا لي ظريفًا، هذا بالإضافة إلى أنه كان على قدر من الجمال على الرغم من أنه تجاوز الخمسين من عمره. كانت بشرة وجهه تدل على أنه قضى فترة طويلة من حياته في الهواء الطلق. من جانب آخر كان يبدو على هذا الشخص أنه من تلك الفئة النادرة: البريطاني المنتمي إلى المدرسة القديمة، وهو شخص صريح لا يعرف اللف ولا الدوران، مستقيم الرأي، لذلك لم أدهش عندما قدمه لي القائد "**ليتريل**" باسم السيد "**ويليام بويد كارينجتون**"، كما أني كنت لا أجهل أنه كان يومًا ما محافظًا لمقاطعة "**الهند**" حيث حاز على نجاح لا مثيل له. وأعلم كذلك أنه صياد ماهر، وفكرت في أنه من أولئك الرجال من لا ينجبهم جيلنا هذا. عندما رآني صاح بأعلى صوته:

– آه، كم أني سعيد لرؤيتك –بلحمك وعظامك– أيها الشخص الشهير! وهو صديق عمري "**هاستنج**" إن صديقنا العجوز "**بيلج**" يتكلم كثيرًا عنك. وأكثر من ذلك معنا كذلك –بيننا– ابنتك الرائعة الجمال. حقًّا إنها جميلة جدًّا هذه الابنة. ثم أضاف مبتسمًا:

– لا أعتقد أنها، أي "**جوديث**" تكلمك عني.

– لا بداهة. إنها أرقى من ذلك. في أيامنا هذه نلاحظ أن الشابات يجدن حرجًا شديدًا في الاعتراف بأن لهن آباءً، وأمهاتٍ. أطلقت زفيرًا وأردفت:

– إنها حقيقة. أصبحت النظرة إلى الوالدين كمن ينظر إلى نكبة. مرة أخرى انطلق

"**بويد كارينجتون**" في الضحك.

– عن نفسي إني أجهل هذا النوع من خيبة الأمل الذي تعانيه؛ لأني –لسوء حظي– لم أنجب أبناءً. حقًّا أن ابنتك رائعة الجمال، لكنها شديدة الاعتزاز بالنفس. ومن جانبي أرى أن مثل هذه الحالة تدعو إلى القلق. ثم تناول آلة التليفون مرة أخرى. وقال:

– أقسم ألا يكون في ذلك إزعاجٌ لك يا "**ليتريل**"؛ لأني شخص قلق. أجابني صديقي وهو متجه إلى السلم:

– هذا يسعدهم كثيراً. تبعته وكان يقودني نحو الجناح الأيسر من المنزل، توقف أمام باب عند نهاية الدهليز. منحني "**بوارو**" الحجرة نفسها التي كنت أشغلها فيما مضى. كانت الحجرات قد تمت فيها تغييرات، كأن تم فتح أبواب بطول هذا الممر. ولقد لاحظت أنهم عملوا على غلق الحجرات ذات الأحجام الكبيرة، لعمل حجرات ذات مساحة أصغر، لكن حجرتي (المخصصة لي) لم تكن يومًا ما واسعة، لذلك ظلت كما هي، غاية ما في الأمر كانوا قد أضافوا إليها حماماً. كما أني لاحظت أن الأثاث القديم ذا الطراز الذي كنت معتاداً رؤيته، قد استُبدل به أثاث حديث.

وكانت حقائبي قد وضعت في الحجرة. وضح لي القائد بأن حجرة "**بوارو**" تقع في مواجهة حجرتي وكان متأهبًا لاصطحابي إليها عندما سمعنا نداءً من أسفل، نداء بنبرة آمرة.

– "**جورج**"!

– هأنا آتٍ يا صديقتي. أنا آتٍ. وإذا هو يبتعد عني بسرعة. ثم –وكان قلبي يخفق في تلك اللحظة– اخترقت الدهليز وذهبت إلى حجرة "**بوارو**" وقرعت الباب.

الفصل الثاني

بحسب رأيي لا يوجد ما يدعو إلى الإحساس بحالة حزن أو اكتئاب أكثر مما يأتي به التقدم في العمر من تدهور! كم من مرة وصفت صديقي المسكين، وهأنا حاليًّا لا يسعني إلا أن أذكر ما طرأ عليه من تغيير. وقد تأثر بداء روماتيزم المفاصل، أصبح لا يتنقل إلا على مقعد متحرك. وبعد أن كان ممتلئ القوام أصبح نحيفًا هزيلاً، وظهرت

التجاعيد بوضوح على وجهه، غير أن شاربيه وشعره مازالا محتفظين باللون الأسود. وبالتأكيد، وجدت أنه من باب اللياقة ألا أجرح شعوره بأن الصبغة التي يستخدمها في هذه المرة ذات سواد داكن؛ لأني لاحظت منذ فترة مضت أن "**بوارو**" مواظب على استخدام صبغة الشعر، لكن حاليًا أصبحت الخدمة واضحة، فيما مضى كان من يراه يظن أنه يضع باروكة وأنه لم يعمل على طلاء شفته العليا إلاّ لتسلية الصغار. وما لم يتغير عنده حقًّا، عيناه المحتفظتان ببريقهما.

– آه صديقي "**هاستنج**" صديقي "**هاستنج**". انحنيت وملت عليه وكعادته قبلني بحرارة، مكررا.

– يا صديقي "**هاستنج**". ثم استند إلى ظهر مقعده، وأمال رأسه قليلاً على الجانب وأخذ يتفحصني. قال:

– نعم، إنك كنت مستقيمًا، عريض المنكبين وشعرك الذي خطه الشيب، كلها عوامل تضفي عليك مظهراً متميزا. تُرى، هل أنت مع ذلك تحظى بإعجاب النساء؟! حينئذ اعترضت قائلاً:

– أحقًّا يا "**بوارو**" هل يجب أن...

– في إمكاني أن أؤكد لك يا صديقي أنه اختبار. الاختبار رقم واحد. وبالعكس عندما تقبل عليك الفتيات الصغيرات تقول إنها النهاية. وهن يفكرن في داخلهن قائلات: «مسكين، يجب أن نبدي نحوه مشاعر المودَّة. لابد وأنه في حالة صعبة مع حالته هذه». لكن أنت يا "**هاستنج**"، أنت مازلت شابًّا، والفرص مازالت متاحة أمامك. ضحكت وقلت:

– إنك يا "**بوارو**" تتجاوز الحدود. وأنت، كيف حالك، بمَ تشعر؟

– أنا، لقد أصبحت حطامًا. أنا غير قادر على المشي، وأكاد أن أكون معوَّقًا، أو عاجزاً، لكن حمداً لله، في إمكاني تناول طعامي دون معاونة أحد... وأما ما هو بعد ذلك فيجب أن يُعتنى بي مثل الطفل الرضيع: كان يصطحبوني للنوم وأن يوقظوني ويبدلوا لي ملابسي... في النهاية، لا غرابة في ذلك. لحسن الحظ، في حين أن الخارج يغني، والداخل يبقى في أحسن حال كما هو.

– أكيد؛ إني مقتنع بأنك مازلت تتمتع بقلب متين.

– القلب؟! لم يكن تفكيري في ذلك لقد كنت أقصد المخ في حديثي هذا وليس

القلب يا "**هاستنج**" . حمداً لله، مازال عقلي يعمل بدقة. ولقد تبين لي ذلك –على الأقل– مما يظهره من تواضع كعادته. سألته:

– هل تجد متعة هنا؟! هزّ كتفيه وقال:

– على الأقل أجده كافيًا بالنسبة إليّ. ليس الـ" **ريتز**" . كانت الحجرة التي مُنحت إياها صغيرة جداً وأثاثها قليلاً، ولقد تمكنت من الحصول على هذه الحجرة دون زيادة في قيمتها. أما عن المطبخ فهو المطبخ الإنجليزي في أردإ حالاته. على سبيل المثال: كرنب "بروكسل" (الملفوف) الذي كم يقدره البريطانيون، أجده يابساً جداً، أما عن البطاطس فهي تارة ناضجة أكثر من اللازم وتارة أخرى غير ناضجة بالقدر الكافي. وأخيراً، بالإجماع، لجميع الخضراوات مذاق واحد ألا وهو مذاق المياه. ولا داعي إلى ذكر غياب الملح والفلفل.

– كل هذه الأخبار ليست مبهجة في نظري.

– أنا لا أشكو ولا أتذمر، لاحظ ذلك جيداً. غير أن "**بوارو**" يواصل سرد متاعبه.

– يوجد كذلك ما يدعونه تطوراً أو مدنية. "حمامات"، وكم من الصنابير؟! إنها حقيقة. لكن هل تريد معرفة ما يخرج من هذه الصنابير؟ في أغلب الأحيان مياه ساخنة أو فاترة يا صاحبي. ومناشف الحمام يا لها من رقيقة! أردفت:

– فيما مضى كان كل شيء مختلفاً.

إذ إني في الواقع تذكرت سحابة البخار الصادرة عن صنبور الماء الدافئ في الحمّام الوحيد في "**ستيل**" . كان في هذا الحمام (بانيو) كبير وبجواره مناشف سميكة. ثم واصل "**بوارو**" حديثه فقال:

– غير أن هذا لا يدعو إلى التذمر، إني راضٍ عن عذابي هذا؛ لسبب واحد...

فجأة أتت إلى ذهني فكرة، جعلتني أقطع عليه حديثه، قلت له:

– أخبرني يا "**بوارو**" . ألست محرجاً؟! هل أنت تعاني متاعب مالية؟ إني أعلم أن الحرب تسببت في رفع أسعار أغلبية السلع، والظروف الاقتصادية منذ ذلك الحين...

طمأنني صديقي فوراً:

– لا، لا يا صديقي. إني في غاية الاستقرار من هذه الناحية وفي إمكاني أن أخبرك بأني ثريّ. إذن أنا لم آت إلى هنا بدافع أسباب مالية.

– في هذه الحالة. كل شيء يسير إلى ما هو أفضل. أعتقد أني بدأت أدرك

موقفك. إننا كلّما تقدمنا في العمر، ملنا إلى استرجاع أيامنا السابقة، فنحاول تذكر المؤثرات القديمة، عن نفسي يشق عليّ تواجدي هنا من جديد، ومع ذلك فهي فرصة تذكرني بأشياء كثيرة وتعمل على تجديد مشاعر ومؤثرات قديمة، ربما لم ألتفت إليها فيما مضى. أعتقد أنك تجتاز مثل هذه المرحلة.

– لا، لا بالمرة أنا لا أشعر بكل ما ذكرته، قلت وقد بدا الحزن في نبرتي:

– غير أنها كانت الفرصة المناسبة.

– تكلم فيما يخصك يا "**هاستنج**". أما فيما يخصني لقد كان وصولي إلى "**ستيل سان ماري**" أصعب لحظة في حياتي. كنت قد أصبت في الحرب وأصبحت لاجئًا ضمن كثيرين، منفيًا من بيتي ووطني، أعيش على تعطف بلد غريب. أؤكد لك أنها كانت فترة صعبة وكنت وقتئذٍ لا أعرف أن "**إنجلترا**" ستكون في النهاية مقرّي وأني سأجد فيها سعادتي، قلت معترفًا:

– لقد غفلت حقًّا عن كل ذلك.

– بالتأكيد، إن من عادتك أن تنسب إلى الآخرين الأحاسيس الخاصة بك. "**هاستنج**" كان سعيداً؛ وبالتالي الكل كانوا سعداء. حينئذ اعترضت ضاحكًا:

– لا، على الرغم من ذلك....

– كما أنها لم تكن حقيقة. إنك تنظر خلفك وعيناك مغرورقتان بالدموع وأنت تتنهد: "آه.. يا لتلك الأيام السعيدة!" كنت وقتئذٍ سعيداً على قدر ما تتخيل. وكنت جريحًا في تلك الفترة وحالتك النفسية مهزوزة ومعنوياتك هابطة لإقامتك في منزل للنقاهة، وأذكر كذلك أنك عملت على تعقيد الأمور بوقوعك في حب فتاتين في الوقت نفسه. مرة أخرى ضحكت وعلت الحمرة وجنتي.

– يا لقوة ذاكرتك يا "**بوارو**"!

– اسمع، أتذكر كذلك تنهدات الأسى التي كنت تبديها في أثناء سردك لي عن تفاهات خاصة بالفتاتين.

– وهل تتذكر قولك لي؟! "لن تكون لك إحداهما. لكن تشجع يا صاحبي، من يدري ربما نصطاد معًا من جديد". وبعد... من يدري؟!

توقفت، وفعلاً لاحقنا الفتيات معًا. في "**فرنسا**" هذه المرة. وحدث في هذا البلد

أني قابلت المرأة الوحيدة... ربّت "**بوارو**" ذراعي برفق. وقال:

– أعلم يا "**هاستنج**"، أعلم. مازال الجرح دافئًا، لكن لا يجب أن تتخاذل. انظر أمامك وليس خلفك. فما كان مني إلا أن أبديت حركة يأس فاستطرد قائلاً:

– إني أنظر أمامي، يا صديقي، أمامي أولاً مهمة يجب أن أتمها.

– مهمة؟! أين؟!

– هنا. ألقيت إليه نظرات دهشة. بعد قليل واصل حديثه:

– لقد سألتني عن سبب تواجدي في "**ستيل**"، لعلك قد تكون لاحظت أني تجنبت الردَّ عليك، لكني سأرد عليك حاليًا. أنا هنا يا "**هاستنج**" لملاحقة سفاح ومطاردته. مرة أخرى ألقيت إليه نظرات دهشة. وخلال لحظة –أعترف بذلك وكلِّي خجل– ظننته يهذي. أخيرًا تمتمت:

– هل أنت جاد في كلامك؟

– بالتأكيد، ولأي سبب آخر كنت سأستدعيك؟ لقد ضعفت أطرافي، لكن عقلي مازال في حالته الطبيعية. ومازلت محتفظًا بقاعدتي وهي أن أسترخي في مقعد ذي مساند وأن أفكر. وهذا أيضًا في إمكاني القيام به، بل وهو الشيء الوحيد الذي أستطيع القيام به. وبالنسبة إلى الجانب الفكري لأبحاثي، سيكون صديقي "**هاستنج**" بالقرب مني. كرّرت:

– هل أنت جادّ في كلامك؟

– بالتأكيد، وأنت يا "**هاستنج**" هيا بنا نطارده معًا. لم أقتنع بأن "**بوارو**" لا يمزح إلا بعد بضع دقائق. ولم أشك في حكمه، على الرغم مما بدا لي في اعترافه هذا. ثم استطرد مع ابتسامة خفيفة قائلا:

– تُرى هل أنت أخيرًا اقتنعت؟! هل ظننت في بدء الأمر أن عقلي أصابه شيء من الخلل؟ أسرعت في إبداء اعتراضي:

– لا، لا، لكن يبدو لي أن هذا المكان غير مناسب لجريمة.

– أتعتقد ذلك؟

– بالتأكيد؛ أنا لم أرَ الجميع حتى الآن.

– من هم الذين قابلتهم؟

- آل "**ليتريل**" فقط، ثم رجل باسم "**نورتون**" - وهو يبدو لي مسالمًا- وأخيرًا "**بويد كارينجتون**"، ولقد وجدته ظريفًا جدًا. هنا أومأ "**بوارو**" برأسه تأييدًا لقولي هذا.

- الآن يا "**هاستنج**"، سأخبرك بالآتي: إنك ستتحقق من صدق تأكيدي لك الذي تعتبره خياليًا، بعد مقابلتك لباقي سكان هذا المنزل.

- من هو الشخص الموجود أيضا؟

- الدكتور "**فرانكلين**" وزوجته، والآنسة "**كرافين**" -المرضة التي تعتني بزوجة "**فرانكلين**"- وابنتك "**جوديث**"، وآنسة تدعى "**كول**" تبلغ من العمر حوالي خمسة وثلاثين عامًا؛ وأخيرًا رجل يدعى "**أليرتون**" وهو من نوع "**دون جوان**". أضيفُ: إنهم جميعًا جذابون.

- وأحدهم سفاح؟! ثم أعلن "**بوارو**" بنبرة جادة:

- أحدهم سفاح!

- لكن كيف يحدث ذلك؟! أقصد ما الذي يدفعك إلى هذا الاعتقاد؟! كنت أوجه إلى "**بوارو**" أسئلتي هذه بكل مشقة من فرط دهشتي. قال لي:

- اهدأ يا "**هاستنج**". ولنبدأ من البداية. ليتك تعطيني هذه الحافظة الموجودة على "**الكومودينو**". حسنًا، والآن أعطني المفتاح. قام بفتح حافظة الوثائق الجلدية، وتناول منها قصاصات من الصحف وبعض الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة. قال لي:

- ليتك تهتم بقراءة هذا الملخص الذي أعددته، ولا تشغل بالك بالأوراق المنزوعة من الصحف اليومية. وقد اشتدت حيرتي، وبدأت أقرأ:

الموضوع الأول (أ): "**ليونارد إتيرينجتون**" من خصاله: عادات سيئة: احتساء خمور وتعاطي مخدرات. زوجته الشابة الجذابة تحيا حياة تعيسة بالقرب منه. هذا الشخص مات ظاهريًا بالتسمم الغذائي، غير أن شكوك أحد الأطباء جعلته يطالب بتشريح جثته مما أكد أن الوفاة مسببة من تسمم بالزرنيخ. وكانت المتهمة في هذه القضية هي زوجة "**إتيرينجتون**". وكان قد تم القبض عليها بتهمة "قتل". وكانت قد ارتبطت بشاب موظف مسافر إلى "**الهند**". لم يكن هناك أبسط دليل على وجود خيانة، إنما غاية ما في الأمر كانت علاقة تآلف. والشاب خطب فتاة شابة جميلة،

وكانا قد تقابلا عند عودته إلى "**الهند**" . ولا يُعرف بالضبط ما إذا كان الخطاب الذي يعلن الحادثة إلى زوجة "**إتيرينجتون**" وصل وتسلمته بعد، وفاة زوجها أم قبلها. ولقد أكدت أن التسلّم كان قبل الوفاة. وكانت الأدلة التي تدينها أغلبها غير مباشرة:

عدم وجود شك محتمل آخر.... باختصار جاء حكم القاضي في صالح الزوجة لما كانت تعانيه من عدم تآلف معه وبناءً على شراسة في معاملته لها وبذلك بُرِّئت قانونيًّا، أما الرأي العام بين المحيطين بها فكان يدينها، الأمر الذي دفعها إلى الابتعاد تمامًا عن معارفها واتباع حياة العزلة التامة حتى أصبحت حياتها صعبة جدًّا. ولقد تُوفِّيت بعد ذلك بعامين من تأثير الأقراص المنومة التي ابتلعتها بكميات مكثفة. ولقد اعتبر التحقيق هذه الوفاة مسببة، أي أنها تخفي جريمة.

الموضوع الثاني (ب) : السيدة "**ساربليس**" .

وهي فتاة عانس مسنة، تعاني آلامًا عنيفة. والتي تعتني بها ابنة أخيها (أو ابنة أختها) "**فريدا كلاي**" . توفيت إثر حقنها بمادة المورفين بكمية غير مناسبة لها. فما كان من "**فريدا**" إلا أنها اعترفت بغلطتها. مؤكدة أنها كانت تبغي التخفيف من آلام عمتها التي كانت تبدو غير محتملة. وكانت لا ترى خطأً في ذلك؛ غير أن الأدلة كانت غير كافية حتى يحتاج الأمر إلى متابعة.

الموضوع الثالث (جـ) : "**إدوارد ريجس**"

عامل زراعي يشك في زوجته، معتقداً أنها تخونه مع المستأجر "**بن كريج**" . عثر عليه هو وزوجة السيد "**ريجس**" مقتولين برصاص بندقية يمتلكها "**ريجس**" . قدم "**ريجس**" نفسه للشرطة مدعيًا أنه لابد وأن يكون هو الجاني وإن كان لا يتذكر شيئًا. حكم عليه بالسجن المؤبد.

الموضوع الرابع (د) : "**ديريك برادلي**" .

كان على علاقة بفتاة. عندما اكتشفت زوجته خيانته هددته بالقتل توفي "**برادلي**" بمادة "**سيانيد البوتاسيوم**" السامة التي وضعت له في مشروب. تم القبض على زوجته التي حكم عليها بتهمة اغتيال بعد اعترافها التام بذلك.

الموضوع الخامس (هـ) : "**ماتيو ليتشفيلد**" :

شخص طاغية. له أربع بنات. يعشن حياة الحرمان من أبسط متعة، وكان قد حدث

مساءً عند عودته إلى منزله، أن أصيب بضربة قاضية على رأسه. بعد تحقيق الشرطة، سلمت ابنته الكبرى "**مرجويت**" نفسها معترفة بجريمتها، مبررة تصرفها هذا، بأنها قتلت والدها حتى لا تعاني أخواتها الثلاث الصغيرات طغيانه وأن بموته تصبح أمامهن الفرصة للاستمتاع بالحياة قبل فوات الأوان. وكان "**ليتشفيلد**" يمتلك ثروة طائلة. وإذا اعتبرت "**مرجويت**" غير مسؤولة عن القيام بهذه الجريمة لأجل أخواتها، فقد تم إيفادها إلى "**برادمور**" حيث تُوفِّيت بعد فترة قصيرة.

بعد اطلاعي على هذه الأوراق ودهشتي تزداد من حالة إلى أخرى وضعتها على المائدة ونظرت إلى "**بوارو**" نظرة استجواب. قال لي:

– ما رأيك يا صديقي؟

– أتذكر موضوع "**برادلي**"؛ لأني كنت قد تابعته وقتئذ، وأعتقد أن الفتاة كانت جميلة جداً. أيَّد "**بوارو**" كلماتي بإيماءة من رأسه. قلت له:

– ليتك تمنحني بعض الإيضاح، ما معنى كل ذلك؟

– أخبرني أنت أولاً عن نظرتك إلى الأمور. لقد كنت بداهة في حيرة، وقلت:

– إن ما قرأته عبارة عن تقارير عن خمس جرائم مختلفة، تحدث في أماكن متفرقة وفي أوساط اجتماعية متفاوتة. من جانب آخر، أنا لا أرى أيَّ وجه تشابه بينها. الأولى مأساة غيرة، والأخرى تشير إلى زوجة تعيسة في حياتها الزوجية ورغبت في التخلص من زوجها، والثالثة جوهرها المال، والرابعة هدفها عجيب بما أن الجاني لم يسع إلى الهرب من العقاب؛ أما بالنسبة إلى الخامسة، فبصراحة قد تكون قد تمت تحت تأثير احتساء الخمر. توقفت لبضع ثوانٍ قبل الاستفسار دون تردد عن الآتي:

– هل هناك عامل مشترك أكون قد غفلت عن إدراكه؟!

– لا، بتاتًا؛ لقد كنت واضحًا تمامًا، غير أن التفصيل الإضافي الذي كان يجب أن تضيفه هو أن الشك كان غير قائم.

– أعترف لك بأني لم أتابع بدقة.

– على سبيل المثال، زوجة السيد "**إتيرينجتون**" بُرِّئت. ومع ذلك كان الجميع يدينونها معتبرين إياها جانية... و"**فريدا كلاي**" لم تُدَن، غير أنه لم يتوقع أحد أيَّ جانٍ آخر غيرها. و"**ريجس**" ادعى أنه لا يتذكر أنه قتل زوجته وعشيقها أما بالنسبة

إلى "**مرجريت ليتشفيلد**" فقد اعترفت. هل لاحظت يا "**هاستنج**" أن في كل حالة احتمالاً واحداً؟ حينئذ تقطب جبيني. وقلت:

– إنها حقيقة، لكنني لا أرى ما تستخلصه أنت من ذلك.

– انتظر. لقد وصلت إلى نقطة أنت لم تدركها حتى الآن كان هناك عامل مشترك خارجيّ لكل حالة. ما رأيك؟! دعني أستعرض الأمر على النحو الآتي. هناك شخص مُعيّن، فلتعتبره (س). ولم يبدُ على هذا الـ(س) أي علامة أو مبرر لقتل الضحية. وأن في إحدى هذه الحالات –هذا إن صحّت معلوماتي– كان هذا الشخص متواجداً على بعد 250 كيلومتراً من المكان الذي تمت فيه الجريمة. غير أنه يجب عليّ أن أحدّد أنه كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بـ"**إتيرينجتون**". لقد قضى فترة معيّنة في القرية نفسها التي يقيم فيها "**ريجس**"، كما أنه كان يعرف أيضًا زوجة "**برادلي**"، وعندي له صورة وهو في الشارع وبرفقته "**فريدا كلاي**". أخيراً فهو كان موجوداً بالقرب من منزل "**ليتشفيلد**" في اللحظة التي تمت فيها الجريمة. والآن ما رأيك في ذلك؟ ألقيت إليه نظرة دهشة. وأردفت قائلا:

– حقًّا يجب احتمال وجود مصادفات في أمرين وقد يكونان ثلاثة أمور، لكن خمسة فهذا غير محتمل. ومع ذلك لابد من وجود صلة معينة بين تلك الجرائم المختلفة.

– هانت إذن وصلت إلى الخاتمة نفسها مثلي تمامًا.

– بذلك يكون هذا الـ(س) هو الجاني. بربي، نعم إنه هو.

– لذلك يا "**هاستنج**". يجب أن أخبرك بأن هذا الـ(س) موجود حاليًّا هنا في المنزل.

– هنا، في "**ستيل**"؟!

– في "**ستيل**". وأي منطق نستطيع استنتاجه من ذلك. كنت أتوقع ما كان سينطق به. واستطرد "**هركيل بوارو**" قائلا:

– نعم يا صديقي، سوف تتم جريمة اغتيال أخرى هنا، وعن قريب.

الفصل الثالث

نظرتُ إليه.. خلال لحظة.. دون أن أتكلم، مذهولاً إلى أقصى درجة. وأخيراً بدت علي ردة الفعل.

– آه. ستمنع ذلك. حينئذ ألقى إليَّ نظرة تفيض مودَّة:

– آه يا صديقي المخلص، لو علمت مدى ثقتي بك.

– غير أني أرى أنها لا تتفق مع الموقف الحالي.

– لا تتكلم بمثل هذا الغباء. إنك كفيل بمقاومة مثل هذا الأمر. واستطرد بنبرة جادة قائلا:

– فكِّر دقيقة يا "**هاستنج**"، من الممكن القبض على الجاني، لكن كيف نتصرف للحيلولة دون القبض على أيٍّ جانٍ؟

– حسنًا... أنت... أنت... أقصد إذا كنت على علم مسبَّق.... وتوقفت فجأة؛ إذ كنت على دراية بما سيصادفني من متاعب.

– أترى ذلك؟ ليس بمثل هذه البساطة. لا يوجد في الواقع سوى ثلاث خطوات للقيام بهذه المهمة. الأولى، هي وضع الضحية المتوقعة تحت الرقابة وإن كانت هذه الطريقة لا تأتي دائمًا بنتيجة كافية؛ لأنه من الصعب إقناع بعض الأفراد بأنهم مهدَّدون بخطر جسيم خاصة عندما يصدر الأذى عن شخص قريب لهم أو عزيز لديهم، يجب كذلك إنذار الجاني، وأن يقال له بأسلوب مقنَّع:

إني على دراية بكل نياتك وإذا مات "**أنتيل**"، ستكون أنت موضع شبهة أو قد يحكم عليك. عامة هذا الأسلوب يأتي بنتيجة أفضل من الأسلوب الأول. من الملاحظ أن الجاني يتميز بذكاء متميز، بالتالي لا أحد يشك فيه، فهو كفيل بخداع الشرطة. نتيجة ذلك، فهو يتابع خطته غير مبالٍ بشيء وما يرضيك بعد ذلك هو القبض عليه. توقف برهة واستطرد بعد قليل وقد بدا ساهمًا، مفكرًا ثم قال:

– لقد أنذرت أحد الجناة مرتين خلال فترة قيامي بعملي: مرة في "**مصر**" والأخرى في مكان آخر.. وكان في الحالتين مصرًا على ارتكاب جريمة قتل. ومن الممكن أن يكون هنا مثل هذه الحالة.

– لقد ذكرت أسلوبًا ثالثًا.

– نعم، وهذا الأسلوب يتطلب تحديد –بحرص شديد– مكان مشروع الجاني وكيفيته في تنفيذ جريمته بحيث يتم ذلك في لحظة نفسية والقبض عليه، ليس بعد قيامه بجريمته إنما قبل إقباله على تنفيذها. ومن البديهي أن النية في ارتكاب الجريمة لا تثير أيَّ شك، وأقول لك –مؤكداً– إن ذلك يشكل صعوبة من الصعب التخلص منها. قد أكون أنا أيضاً مغروراً إلى حدٍّ ما. سألته:

– وأي الأساليب تقترح اتباعها هنا؟

– من البديهي، الثلاثة. في الوضع الحالي، الأول هو الذي يقدم صعوبات أكثر.

– أتوقع أن الأسلوب الأول هو الأسهل.

– على شرط أن يكون الشخص الضحية معروفًا، لكن ألا تصدق أني أنا ذاتي أجهل هويّته، ولا أدري مَن هو.

– ماذا تقول؟! كنت قد نطقت بذلك متعجبًا دون تفكير. ثم بدأت في إدراك صعوبة المهمة. لابد أنه كانت هناك صلة بين الجرائم المختلفة التي كنت قد قرأت ملخصها. ولم يظهر لي أي شأن في مثل هذه الظروف، ما هو السبيل إلى معرفة الشخص المهدَّد؟ أيَّد "**بوارو**" كلامي بإيماءة من رأسه؛ إذ وثق بأني تفهمت صعوبة الموقف.

– هل أدركت الآن يا صديقي، ما قلته لك منذ لحظة بأن الأمر ليس سهلاً إلى هذا الحد؟

– ألم تجد حتى الآن أية صلة بين هذه الأمور المختلفة؟

– ولا واحدة.

قضيت بعد ذلك لحظة في التفكير، إننا في الجريمتين أ– ب– جـ قمنا بالبحث في الأعمال التي كانت تبدو وكأنها تتقدم بترتيب حروف الهجاء في حين أنه، في الواقع، إشارة إلى أمر آخر مختلف تمامًا. سألت:

– هل أنت واثق بعدم وجود محرك بعيد على النطاق الاقتصادي كما ورد في موضوع "**إيفيلين كارليسل**"؟

– تأكد يا "**هاستنج**" أن أول ما أبحث عنه هو كل ما يتصل بالمال. وكانت حقيقة؛ إذ كان "**بوارو**" قد أثبت ذلك. فكَّرت مرَّة أخرى، تُرى، أمن الممكن أن يكون الأمر مختصًا بالأخذ بالثأر أو بحالة انتقام؟ يبدو أن مثل هذه الفكرة تتفق مع

الأحـداث، لكـن، حـتى مع هذا الاحـتـمـال، لا وجـود لأيٍّ ارتبـاط بين الأحـداث المذكورة. أتذكر بالمناسبة أني قرأت قبل الآن بيانًا عن سلسلة حالات اغتيالات خالية ظاهريًا من المحرك أو الدافع لارتكابها. ثم تم اكتشاف –بعد ذلك– أن جميع الضحايا إنما جميعها يشكل جزءًا من لجنة تحكيم وأن جميع الجرائم صادرة عن الشخص الذي أدانته هذه اللجنة. غير أني أعترف بأني –وكلي خزي– قد احتفظت بهذه الفكرة لنفسي. ثم سألت "**بوارو**":

– والآن من هو هذا الـ(س) العجيب؟ حينئذٍ هزّ "**بوارو**" رأسه وأجاب قائلا:

– هذا ما لن أفصح لك عنه يا صديقي.

– لمَ لا؟ هنا بدا شعاع فكر في عيني الضابط العجوز. وقال:

– لأنك أنت دائمًا "**هاستنج**"، هو، هو: إنك محتفظ بوجهك الشفاف ولست متمسكًا بما يبدو على وجهك– وأنت تنظر دهشًا إلى من نتوقع أنه هو– هذا الشخص المشبوه – من كلمات هذا الذي أراه سفاحًا.

– في وسعك أيضًا منحي القدرة على الإخفاء عندما يكون ذلك بالضرورة.

– في محاولة الإخفاء يا صاحبي، ما هو أسوأ. لا، على كلينا أن نحتفظ بالسر الكبير. بعد ذلك، نتصرف عندما تتاح لنا الفرصة. تمتمت قائلا:

– يا لك من جنّيٍّ عجوز! إني أرغب في...... وتوقفت عن الكلام عندما سمعت قرعًا على الباب. قال "بوارو":

– ادخل. وكانت "**جوديت**" هي التي ظهرت على عتبة الباب، بدت بمحياها الجميل الشامخ. قالت والابتسامة تعلو شفتيها:

– صباح الخير يا أبي. لكنها لم تأتِ لتقبيلي: إنها ليست من هذا النوع. غير أني لاحظت أن في ابتسامتها شيئًا من الخجل والحرج،ومع ذلك أحسست بأنها مسرورة لمشاهدتي.

– هأنذا... هأنذا هنا. أحسست حينئذ بأني شاذ في تصرفي هذا، كما يحدث لي عادةً عندما أخاطب الشباب. قالت "**جوديت**":

– هذا لطف منك أنك حضرت إلى هنا. ولما كان "**بوارو**" لا يتأثر بأية كذبة يسمعها قال:

– أنا كنت أتكلم عن المطبخ في "**ستيل**". سألته ابنتي:

– هل هو رديء؟

– لا يجب يا بنتي أن توجهي إليَّ مثل هذا السؤال. ألا تفكرين في شيء سوى أنابيب الاختبار والمجهر؟ ها هي سبابتك بها بقعة زرقاء من مادة الـ"**ميثيلين**". يجب مراعاة الاهتمام بمعدة زوجك.... أنت تعلمين أن الرجال.... أجابت:

– من المحتمل ألا يكون لي زوج.

– كلاً بالتأكيد، سيكون لك زوج. لماذا إذن خلقك الله (سبحانه وتعالى)؟

– أتعشم أن يكون ذلك من أجل أمور كثيرة.

–أولها الزواج.

– حسنًا جداً. إذن، أوجدْ لي زوجًا لطيفًا وسأعمل على الاهتمام بمعدته. التفت إليَّ "**بوارو**" وقال:

– إنها تسخر مني، لكنها ستعرف ذات يوم كيف تقدر حكمة الشيوخ.

مرَّة أخرى، سمع صوت قرع على الباب، في هذه المرة كان الدكتور "**فرانكلين**". وكان هذا الشخص فارعًا ونحيفًا ذا عينين زرقاوين وشعرٍ أبيض. كان يبدو أنه يبلغ من العمر خمسة وثلاثين سنة، كان هذا الشخص متعثراً في خطواته حتى أنه كان يصطدم بكل ما يتواجد في طريقه، مقدمًا الاعتذار بكلمات غير مسموعة فاعترتني رغبة في الضحك، إلا أني لاحظت أن "**جوديت**" محتفظة بجديتها، بداهةً فالفتاة معتادة هذه الأحداث البسيطة. قالت:

– هل تتذكر والدي؟ اقشعر الدكتور "**فرانكلين**" وقطب جبهته وتفحصني. ثم مدَّ لي يده وقال وقد بدا الحرج في عينيه:

– بالتأكيد، بالتأكيد. لقد سمعت أنك آتٍ. قال هذا والتفت نحو "**جوديت**" وقال:

– أخبريني، أتعتقدين أنه يجب أن نذهب لتبديل ملابسنا؟ وإلاَّ يكون في وسعنا مواصلة عملنا بعد تناول العشاء، ليتنا نتمكن من إعداد صفائح أخرى. أجابت "**جوديت**":

– لا، أود أن أتحدث مع أبي.

– آه، مفهوم. وأبدى ابتسامة اعتذار. ابتسامة تحتوي على براءة الطفولة مع بعض

الخجل. ثم قال:

– آسف، إنني مستغرق في تجاربي إلى الحد الذي جعلني أنانيًّا. سامحوني. في هذه الأثناء كانت ساعة الحائط ترن فألقى "**فرانكلين**" إليها نظرة خاطفة وقال:

– يا إلهي! أهكذا الوقت متأخر؟! سيتسبب لي ذلك في بعض المضايقات: كنت قد وعدت "**بربارا**" بتلقينها القراءة قبل العشاء. قام وألقى إلينا ابتسامة أخرى وترك الحجرة بسرعة، بعد أن اصطدم كعادته بإفريز الباب. سألتها:

– كيف حال السيدة "**فرانكلين**"؟ أجابت "**جوديت**":

– كما هي.

– لا شك في أن ذلك فيه ما يحزنها. أردفت الفتاة قائلة:

– بالنسبة إلى الطبيب يُعتبر هذا الوضع مؤسفًا؛ لأن الأطباء يحبون من هم بصحة جيدة. حينئذ أطلقتُ زفيراً وأنا أقول:

– كم أنتم قساة أيها الشباب! واستطردت ابنتي قائلة بنبرة فاترة:

–غاية ما في الأمر، أني أبدي مشاهدتي لأمر ما. واستطرد "**بوارو**" قائلا:

– مع ذلك، هذا الدكتور لا يتأخر عن الذهاب إلى زوجته لكي يقرأ لها. قالت "**جوديت**":

– وأيضًا في ذلك سخف؛ لأن من الممكن أن تقوم الممرضة بهذا العمل. ثم أردفت قائلة:

– يجب أن نعتبر أذواق الناس تختلف من شخص إلى آخر. ثم أردفت "**جوديت**" قائلة:

– حقًّا، إنها غبية، زوجة "**فرانكلين**" هذه. قال "**بوارو**":

– لا يا بنتي، في ذلك أنا لا أشاركك الرأي.

– إنها لا تقرأ سوى الروايات الرخيصة ولا تهتم بأعمال زوجها، كما أنها لا تلمّ بأخبار المجتمع ولا بالمحليات، ومن يرغب في مبادلتها الحديث، لا يسمع منها سوى مايخص صحتها. استطرد "**بوارو**" قائلا:

– ما زلت أقر بأنها تستخدم مواهب لا تتمتعين أنت بها يا بنتي، كما أنك تجهلينها.

– إنها بالتأكيد تفيض أنوثة، يُخيّل إليَّ يا عمي "**هركيل**" أن هذا هو النوع الذي تحبه أنت أيضًا. قلت:

– لا بتاتًا، إنه يحب النساء الممتلئات وهو يفضل الروسيات. ثم استطرد "**هركيل**" قائلا:

– أهكذا تكشف عن أسراري يا "**هاستنج**"؟ إن والدك يا "**جوديت**"، كان يميل دائمًا إلى ذوات الشعر الذهبيّ، وهو ما خاب ظنه فيه كثيرا. فما كان من "**جوديت**" إلا أنها ابتسمت لكلينا. ثم انصرفت، ومن جانبي نهضت قائلاً:

– يجب أن أفتح حقائبي وأن آخذ حمامًا قبل العشاء. ومد "**بوارو**" يده إلى الجرس، وبعد دقيقة أقبل خادمه الخاص، حينئذ فوجئت عندما وجدت أنه مجهول لي. سألت مستفسرًا:

– لكن أين "**جورج**"؟! وكان "**جورج**" هذا قد قضى سنوات عديدة مع "**بوارو**" لخدمته. فأجاب قائلا:

– لقد عاد إلى أسرته؛ لأن والده مريض، غير أن عندي الأمل في أنه سيعود ذات يوم. وحتى يأتي ذلك اليوم ها هو "**كورتيس**" يقوم بخدمتي. وابتسم لخادمه الجديد، وكان هذا الخادم رجلاً فارعًا، قويَّ البنية، ذا وجه ملامحه توحي بالغباء.

عندما همَّ "**بوارو**" بالخروج، لاحظت أنه يغلق بعناية الحافظة المحتوية على الأوراق التي أراني إياها. خرجت متأثرًا متجهًا إلى حجرتي.

الفصل الرابع

نزلت في تلك الليلة إلى حجرة الطعام مع إحساس بأن الحياة أصبحت فجأة غير حقيقية. تساءلت –وأنا أرتدي ملابسي– أكثر من مرة عمًّا إذا كان "**بوارو**" قد تخيّل هذه القصة. على أية حال، إنه حاليًا شيخ وصحته قابلة للتدهور، ولا شك في أن ذهنه مازال متمتعًا بكامل الصحة، كقوله: تُرى هل هي حقيقة؟ كان "**بوارو**" قد قضى حياته في ملاحقة الجناة والسفاحين، ومن المحتمل أن يتخيل جريمة لم تحدث. وأن يتخيل مطاردةً لسفاح وهميّ وبالتالي القبض عليه. لقد قتلت زوجة

"**إتيرينجتون**" زوجها، والعامل الزراعي قتل زوجته، وفتاة وضعت لعمتها جرعة مكثفة من "**المورفين**"، وزوجة غيور قتلت زوجها بعد أن هددته بذلك مراراً، وفتاة مجنونة ارتكبت جريمة قتل وسلّمت نفسها للعدالة. في الواقع كانت هذه الجرائم حقيقية. وفقًا لهذه النظرية –تلك التي– بحسب رأيي –لها المعنى المشترك– كان عليّ أن أقابلها بثقتي الكاملة بـ"**بوارو**"، وكان قد أكد لي أنه سوف تتم جريمة في هذا المكان، وستكون "**ستيل**" للمرة الثانية مسرحًا لمأساة جديدة. لكن إذا كان الأمر حقيقيًّا كان علينا أن نعمل على تفادي حدوثه. وإذا كنت أجهل شخصية الجاني، إلا أن "**بوارو**" كان يعرفها. كنت كلما فكرت بعمق ازددت ضيقًا. بصراحة، كان صديقي في مثل هذا الوضع، نموذجًا لشخص غبيّ. كان يحتاج إلى مشاركتي إياه في المهمة، لكنه كان رافضًا لوضع ثقته كاملة فيّ لماذا؟ لم يكن الدليل الذي يقدمه كافيًا. ولقد مللت المزاح من أجل وجهي ذي الشفافية؛ إذ إني كفء للتكتم على سرّ كأيّ شخص. وقد تكون الفكرة التي كوّنها "**بوارو**" عنّي مرتكزة على ما لي من صراحة تامة وعدم الميل إلى الغش والخداع. وبالتأكيد لو كان هذا الأمر وليد خياله ليس إلا، للاحظنا أن تكتمه دليل على ذلك. وإلى حين إعلان ساعة تناول العشاء، لم أكن قد توصلت إلى أيّ حل. نزلت يقظ الذهن وعيناي ساهرتان مع عدم نية اكتشاف سرّ هذا الشخص (س) المجهول. وحاليًّا أجد نفسي على استعداد لتقبل ما قاله "**بوارو**". إذا كان تحت هذا السقف شخص سفّاح كان قد ارتكب جرائم قتل عدة مرّات قد تصل إلى خمس، وهو الآن مستعد لاستئناف الجرائم، لكن تُرى مَن هو هذا الشخص؟!

وما كان منهم –ونحن في الصالون قبل التوجه إلى حجرة الطعام– إلا أن قدّموني إلى الآنسة "**كول**" وإلى القائد "**أليرتون**". وكانت الأولى سيدة تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا تقريبًا، كانت محتفظة بحيوية الشباب، جميلة. أما بالنسبة إلى القائد "**أليرتون**" فكان شعوري نحوه هو عدم استلطافه وكان رجلا جميلا في أربعينياته، عريض المنكبين، ذا وجه برنزي، يتحدث بلهجة مرحة، وغالبًا ما كانت عباراته تحمل معنىً مزدوجًا. وكانت تحت عينيه تلك الحبوب التي ينسبونها عامة إلى اتباع حياة عابثة، وفي الحال اعتبرته من تلك الفئة التي تفرط في احتساء الخمور ولعب الميسر وملاحقة الفتيات والسيدات.

بدا لي أن القائد "**ليتريل**" لم يكن يحبه هو أيضًا، وأن "**بويد كارينجتون**" يقابله بفتور. في الحقيقة لم يكن "**أليرتون**" شخصًا ناجحًا إلاّ في المجال الأنثوي، لكني شعرت بالضيق عندما لاحظت أن "**جوديت**" هي أيضًا تجد لذة في صحبة هذا الرجل وأنها تسعى إلى إيجاد فرص للأحاديث التي لم تكن من عاداتها قبل ذلك. وكثيرًا ماتساءلت عن سبب إقبال السيدات وحتى أكثرهن رزانة على تلك الفئة الحقيرة من الرجال. لقد عرفت بحاستي أن "**أليرتون**" شخص سيئ وقد يؤيدني تسعة رجال من عشرة رجال في هذا الرأي بينما تسع سيدات من عشر سيدات وربما العشر سيدات كلهن يتضايقن عند سماع رأيي هذا.

عندما جلسنا إلى المائدة ووضعت أمامنا الأطباق، عملتُ على تفحص وجوه الحاضرين لعلّي أحصل على أيَّة إمكانية لوجود ما يشير إلى هذا المجرم السّفاح. لو أن "**بوارو**" كان محتفظًا بصحته فعلا، وأن أحد أولئك الأفراد مجرم مسجَّل خَطِر ومن البديهي أن يكون مجنونًا، أو قد يكون مجنونًا. على الرغم من أنه لم يفصح لي عمّا يساعدني على الاستنتاج، قررت أن يكون هذا الشخص الذي نفترضه (س) رجلا. ومن بين الحاضرين من المحتمل أن يكون مجرمًا؟ ليس بالتأكيد القائد "**ليتريل**" العجوز بما له من عدم استقرار عند اتخاذ أيّ قرار وما يبدو عليه من ضعف شخصيته، وكذلك الرجل الذي يدعى "**نورتون**" الذي قابلته عند عتبة الباب، والذي كان ممسكًا بمنظار مكبّر، هو أيضًا يبدو بعيدًا عن كل شبهة أو احتمال، حقًّا كان شابًّا لطيفًا، إلا أن وجهه كان غير معبّر، كما أنه كان عديم الحيوية. حدثت نفسي حينئذ قائلاً إن هناك جُناة، ليسوا مجرمين بطبيعتهم إنما يحاولون إثبات ذواتهم بارتكاب الجرائم. إنهم يتضايقون لإحساسهم بأنهم مهملون أو مهمَلون من المحيطين بهم. وقد يكون "**نورتون**" من هذه الفئة، غير أن له تلك العاطفة نحو الطيور والزهور. وفي يقيني أن حب الطبيعة يتصف بها الرجل الذي يتمتع بمعنويات سليمة.

وعن "**بويد كارينجتون**"؟ هذا الشخص بعيدٌ عن التساؤلات. فهو رجل معروف في العالم كله، وهو باحث عن الجناة حاذق ومطبّق متميز للقانون، وهو يحظى باحترام الجميع، إذن لا يمكن أن يكون مجرمًا. استبعدت كذلك "**فرانكلين**" مَن

كانت ابنتي "**جوديت**" – وأنا أعلم بذلك – تُكنّ له كل الاحترام وأيضًا الإعجاب. بعد ذلك أطلت النظر إلى القائد البريطاني "**أليرتون**". إنه رجل قذر. هذا النوع الكفيل بقتل جدته. وهو حاليًا منهمك في سرد قصة إحدى حالات خيبة الأمل التي مرَّ بها والتي أثارت ضحك الحاضرين جميعًا. حدثت نفسي بأنه لو كان هو (س) فإن جرائمه تكون قد تمت بالتأكيد بهدف الحصول على منفعة من أيٍّ نوع.

ولما كان "**بوارو**" قد أكد أن (س) ليس بالضرورة رجلا، حينئذ ركزت اهتمامي في الآنسة "**كول**" باعتبارها قريبة للشبهة. كانت تبدو طبيعية، غير أنها كانت دائمًا مضطربة وعصبيّة. ولم تكن من النساء الحاضرات معنا سوى السيدة "**ليتريل**" و"**جوديت**" و"**كول**". إذ في الواقع كانت زوجة "**فرانكلين**" تتناول طعامها في حجرتها والممرضة التي تعتني بها تتناول طعامها بعدنا. ثم بعد أن انتهى العشاء، مكثتُ لحظة واقفًا بالقرب من الباب الموجود بالبهو، أفكر في ذلك اليوم الذي كنت قد رأيت فيه "**سينتيا ميردوك**" – التي كانت فتاة رائعة الجمال – في أثناء أن كانت تجتاز جريًا مسطح الخضرة نفسه الذي كنتُ أمرُّ به. كم كانت رائعة جذّابة في بلوزتها البيضاء!.. وبينما كنت غارقًا في التفكير، انتفضتُ فجأة عندما تأبطت "**جوديت**" ذراعي وقادتني إلى الشرفة. سألتني بدون مقدمات:

– ماذا في الأمر؟ اقشعر بدني

– ماذا في الأمر؟! ماذا تقصدين؟

– لقد كنت شاذًا طوال السهرة، لماذا كنت تتفرّس في الحاضرين طوال الوقت؟

أحسست بالحرج؛ مع ذلك لم أشعر بأن اهتمامي بتفحص المدعوّين، كان واضحًا. قلت:

– آه، صدقيني لقد كنت وقتئذٍ أفكر في الماضي، وربما أني شاهدت أشباحًا.

– لقد سبق لك الإقامة هنا قبل الآن، في مرحلة شبابك، أليس كذلك؟ وكان قد تم اغتيال سيدة عجوز، أليست حقيقة؟

– حدث ذلك فعلا، لقد ماتت إثر حالة تسمم بـ "**الستريكنين**".

– كيف كانت هذه السيدة؟ فكرتُ في السؤال.

– كانت سيدة طيبة جدًا وكريمة جدًا، تكثر من الإسهام في أعمال البر.

– آه! هذا النوع المعطاء... كانت "**جوديت**" قد تكلمت بلهجة ازدراء. ثم واصلت كلامها بتوجيه سؤال قد فوجئت به.

– هل الناس كانوا سعداء هنا؟ كنت أعلم أنهم لم يتمتعوا بالسعادة هناك.

أجبت:

– لا.

– لماذا؟!

– لأنهم كانوا يشعرون بأنهم أسرى. للعلم كانت السيدة "**إنجلتروب**" التي كانت تملك كل النقود و... وكانت توزعها بدراية. لم تَكُنْ لأبناء زوجها حياة كريمة بالمرة. حينئذ أمسكت "**جوديت**" بذراعي وقبضت عليه بشدة. قالت:

– هذا الوضع سيّئ، سيّئ جدًّا. إنه نوع من استغلال السلطة، كان يجب ألا تكون مسيطرة. كان يجب ألا يعمل المسنون والمرضى على تحطيم حياة الشباب ومن هم بصحة جيدة، وعلى الدفع بهم إلى فقد الطاقة التي كان يمكنهم أن يستخدموها فيما هو نافع. وليس في ذلك نوعٌ من الأنانية. استطردت بلهجة جافة قائلا:

– ليس للمسنين أُسلوب الأنانية!

– أعلم ذلك يا أبي، ومن البديهي أنك تعتقد أن الشبان عامة أنانيون وقد نكون هكذا، لكنها أنانية شخصية. إننا لا نرغب في القيام إلا بما نتمنى ولا نريد غيرنا أن يقوم بها عوضًا عنا. إننا لا نريد الهبوط بغيرنا إلى مستوى العبودية.

– لا، إنما أنتم تكتفون بأن تدوسوهم تحت أقدامكم إذا تواجدوا على طريقكم.

حينئذ ضغطت "**جوديت**" على ذراعي. وقالت:

– لا تكن جافًّا بهذا المقدار. أنا لا أطأ أحدًا، بالإضافة إلى أنه عليّ أن أعترف بأنك لم تحاول التأثير في أيّ واحد منا. إننا معترفون بجميلك: أختي وأخواي وأنا ذاتي.

قلت:

– أعتقد أني فعلا قمت بذلك. إنها والدتك التي كانت حريصة على جعلك مسؤولة عن تصرفاتك وكذلك عن أخطائك. مرّةً أخرى شعرتُ بيد ابنتي تتقلص على ذراعي.

– أعلم ذلك. إنك تود أن تضمنا إليك كما تضم الدجاجة فراخها تحت جناحيها وهذا يضايقني. أعتقد أني لا أستطيع احتماله، غير أنك متفق معي في الرأي أن

على الأشخاص غير النافعين أن يكونوا مكرسين للنافعين.

– هذا يحدث أحيانًا، لكن ليس إلزامًا على الكل، إذ على كل فرد أن يعمل مايحلو له وأن يتراجع عند الضرورة.

– نعم، لكن هل ما ينتج من ذلك يُعتبر نافعًا؟! ولما كانت نبرات صوتها تتسم بالحدة رَفَعْتُ عينيَّ إليها، لكني لم أتمكن من تمييز قسمات وجهها لظلمة المكان. واصلت كلامها بصوت خافت ومضطرب:

– كم من الاعتبارات ذات الطابع الماليّ؟ إنها عديدة جداً. إحساس بالمسؤولية.... عدم الميل إلى جرح المحب... وبعض الأفراد نراهم مجردين من الشكوك لا يعرفون إلا اللعب بكل هذه المشاعر. حينئذٍ صحت:

– يا عزيزتي "**جوديت**"! كنتُ قد فزعت مما في لهجتها من عنف، غير أنها بدت كمن تحققت من أنها تجاوزت حدودها؛ لأنها أخذت تضحك. قالت:

– لاشك في أنك تراني مندفعة، وهذا لأني مهتمة بالأمر كثيراً.... لقد عرفت إحدى الحالات. آه! كان رجلا عجوزاً فظًا، وعندما حاول أحد الأفراد مقاومة هذا الرجل وتحرير من كان يحبهم عاملوه كامرأة مجنونة. مجنونة؟! وكان هذا ما يمكن معاملته به لأنه هكذا يبدو منطقيًا. أحسست بمزيد من التأثر. تُرى أين سمعت مثل هذا الكلام منذ فترة طويلة؟!. سألتها بحميّة:

– عمَّن تتكلمين يا "**جوديت**"؟

– عن الأفراد الذين قد تعرفهم، عن أصدقاء "**فرانكلين**". عجوز لقبه "**ليتشفيلد**". هذا الشخص المقتِّر الذي كان يحرم بناته على الرغم مما له من ثراء، كما كان يحرمهن من مخالطة الناس، ولا يدعهن يخرجن. كان حقًا رجلا مجنونًا لكن ليس بالتعبير الطبي.

– ولقد اغتالته ابنته الكبرى، أليس كذلك؟!

– آه! أعتقد أنك قرأت التقرير الوارد في الصحف اليومية. في إمكانك اعتبار هذا الموقف اغتيالا، لكن أود أن ألفت نظرك إلى أنه ليس هناك دافع إلى هذه الجريمة، ذات الطابع الشخصي. أؤكد أن هذه الفتاة كانت جسورة؛ أما أنا فلم تكن لديَّ شجاعة كافية.

– شجاعة لكي تستسلم أم لكي ترتكب جريمة؟ أجبت بلهجة قاسية:

– الاثنان معًا.

– لقد سررت لمعرفة ذلك، لكن يسيئني أن أسمعك مؤيدة تبرير الجريمة في بعض الحالات. وما رأي الدكتور "**فرانكلين**" في هذا الأمر؟

– إنه خير ما تم لمثل هذه العجوز، أتعلم يا والدي أن هناك أشخاصًا يبذلون كل مافي وسعهم لكي يتم اغتيال؟!

– أنا لا أرغب في أنكِ تؤيدين مثل هذه النظريات يا "**جوديت**" من الذي لقنك هذه الأفكار؟

– لا أحد.

– حسنًا. إذن دعيني أقول لك إنها سخافات وربما غباء.

– حسنًا. لنتوقف عند هذا الحد. صمتت برهة، ثم استطردت بنبرة هادئة:

– في الحقيقة، لقد حضرت لإبلاغك رسالة من السيدة زوجة السيد "**فرانكلين**"، فهي ترغب في لقائك وأعتقد أنك لا تجد حرجًا في الصعود إلى حجرتها.

– هذا يسعدني. ولقد تأثرت عندما سمعت أنها متعبة إلى الحد الذي عنده لا تستطيع النزول لتناول العشاء. حينئذ أردفت ابنتي بلهجة فاترة:

– إنها على ما يرام؛ غاية ما في الأمر، أنها تميل إلى جذب انتباه الناس إليها. ابتعدت وأنا أفكر في الشبان المجردين من كل تعاطف.

الفصل الخامس

لم أقابل السيدة زوجة "**فرانكلين**" سوى مرة واحدة. وكانت وقتئذ في الثلاثين من عمرها تقريبًا، وكانت من تلك الفئة التي يطلق عليها فئة الـ "**مادونا**" أيْ السيدة العذراء. كانت تتمتع بعينين واسعتين وشعر أسود مفروق في الوسط، ووجه بيضاوي ذي ملامح منتظمة تفيض رقة. كانت نحيفة جدًّا وبشرتها كانت ذات رقة شفّافة.

وجدتها ممدّدة على سرير للراحة، في رداء أبيض وأزرق، رأسها مستند إلى وسادة. في هذه الأثناء كان "**فرانكلين**" يتناول القهوة مع "**بويد كارينجتون**". استقبلتني هذه السيدة بابتسامة رقيقة ومدت لي يدها.

– كم أني سعيدة لحضورك يا سيادة القائد "**هاستنج**"؟ وكم سيكون ممتعًا لـ"**جوديت**"؟ لقد عملت هذه الفتاة حتى الآن بمشقة. تناولت يدها الرقيقة ذات الأنامل الطويلة في يدي. وأجبت:

– إنها تبدو في كامل الصحة. وإذا "**بربارا فرانكلين**" تطلق زفيرًا وتقول:

– نعم، إنها محظوظة من هذا الجانب، ولا يسعني إلا أن أحسدها على ذلك. أعتقد أنها لا تعرف معنى أن يكون المرء في حالة صحية معتلة. ثم التفتت نحو الممرضة وقالت:

– أليس كذلك يا آنسة "**كرافين**"؟ اسمحي لي أن أقدم لك القائد "**هاستنج**". إن الآنسة "**كرافين**" تُكنُّ لي كل إخلاص، إني أتساءل عمّا سيكون مصيري دونها. وكانت الممرضة شابة فارعة وجميلة، ذات شعر ذهبي ولقد لاحظت أن يديها نحيفتان وناصعتا البياض على خلاف كثيرات من الممرضات. كما أنها كانت صامتة واكتفت بالابتسام مع إحناء رأسها. وواصلت السيدة "**فرانكلين**" كلامها فقالت:

– حقًّا، إن "**جون**" يحمّلها أعباء كثيرة هذه المسكينة "**جوديت**"، إنه رئيس قاسٍ. أليس كذلك يا "**جون**"، إنك لا ترحم؟ كان زوجها واقفًا بالقرب من النافذة، شاخصًا إلى الخضرة. وكان يطلق صفيرًا من بين أسنانه ويرن بالقطع المالية الموجودة في جيبه فاقشعر لسؤال زوجته، وقال:

– ماذا كنت تقولين يا "**بربارا**"؟

– إنك تُحمِّل الآنسة "**هاستنج**" أعباءً ثقيلة. وسوف نعتصم أنا وهو حتى لا يسمح بمثل هذا الاستغلال. وإذ كان الدكتور "**فرانكلين**" لا يحب ولا حتى يدرك المزاح، بدا منزعجًا والتفت نحو "**جوديت**" مستفسرًا:

– إن كنت أطالب بالمزيد من العمل، يجب أن تصارحيني بذلك.

– لا، لا بتاتًا، إنه ليس سوى مزاح. بالنسبة إلى العمل، أودُّ أن أوجه إليك سؤالا عن هذه المهمة المختصة بالمرحلة الثانية للصفائح هل تعلم من.....؟!

– آه، .... إن لم يهمني ذلك، سننزل إلى المعمل؟! ثم غادرا الغرفة معًا مع الاستمرار في تبادل الحديث. أطلقت "**بربارا فرانكلين**" زفيرًا وألقت بنفسها على وسادتها... فجأة نطقت الممرضة بنبرة تدل على الضيق وقالت:

– أعتقد أنه إذا كان أحدهما قاسيًا فهي الآنسة "**هاستنج**". فما كان من السيدة "**فرانكلين**" إلا أن تنهدت من جديد، وقالت:

– أعلم يقينًا أنه كان عليّ أن أهتم أكثر بأعمال زوجي، لكني لست قادرة على ذلك؛ لأني أشعر بأني لست أهلا لذلك. أعتقد أن هناك شيئًا... شيئًا ما بداخلي غير عاديّ. مع ذلك.... وإذا "**بويد كارينجتون**" يقهقه، فيقطع عليها كلامها. ثم قال:

– لا، لا تشغلي بالك كثيرًا إنك ممتازة وكاملة الصفات. قالت:

– لكن يا "**بيل**" يا صديقي، هذا الوضع يزعجني. أجد نفسي وقد أصبت بالإحباط بسهولة فائقة.... ولا أستطيع الامتناع عن الإحساس.... كم أنها منفرة؟ تلك الفئران وغيرها.... اقشعرت. وواصلت حديثها قائلة:

– أعلم أن في هذا غباءً، وهو ما يجعلني أمرض. وأود أن يقتصر تفكيري على الأمور الحسنة والعصافير وسائر الطيور والزهور ولعب الأطفال، وأنت تعلم ذلك جيدًا يا "**بيل**"، أليس كذلك؟! ثم تقدم "**بويد كارينجتون**" وتناول اليد التي كانت تمدها له بطريقة توسل. ثم خفض عينيه نحوها وتحول وجهها فجأة إلى وجه وديع.

– هل تعلمين يا "**بابس**"، أني أراك لم تتغيري منذ أن كان عمرك سبعة عشر عامًا؟ ثم حوّل رأسه نحوي للحظة وقال:

– إننا، أنا و "**بربارا**" زميلان قديمان منذ مرحلة الشباب. قالت الفتاة معترضة:

– آه، زميلان قديمان.

– أريد جيدًا أن أعترف بأني أكبر منك بخمسة عشر عامًا، لكن عندما كنتِ طفلة، لعبت معكِ كمن يلعب بدمية، كم من مرة رفعتك على ظهري! وفيما بعد – عندما عدت – وجدت فتاة مكتملة جميلة مستعدة للدخول إلى الدنيا. ولقد عملت على ذلك عندما شرعت في تعليمك لعبة الجولف. أتتذكرين ذلك؟

– أتتوقع يا "**بيل**" أن مثل هذه الأمور تُنسى! قالت هذا والتفتت نحوي بوجه "**مادونا**".... ثم قالت موضحة:

– كان والداي يقطنان "**إنجلترا**" وكان "**بيل**" يأتي عمه المسن "**إدوارد**" ويقيم عنده لفترات. وكان عمه يقيم في "**كناتون**".

– كم كان هذا المسكين يقيم في مكان عبارة عن قبر ومازال. يحدث أحيانًا ألا

أعتبره مكانًا قابلاً للسكنى.

– آه، يا "**بيل**"، ومع ذلك لو أنك تمكنت من الوصول إليه لوجدته رائعًا.

– إنها حقيقة يا "**بابس**". إن ما يضايقني هو أنه ليست لي أدنى فكرة. بانيوهات وبعض المقاعد ذات المساند المريحة حقًا.... إني أجد نفسي عاجزًا عن التفكير في أيّ شئ آخر؛ إذ إن هذه الأمور تحتاج إلى سيدة لترتيبها.

– لقد سبق أن أخبرتك يا "**بيل**" بأني سوف أحضر إذا كانت هذه هي رغبتك، إنني جادة في قولي يا "**بيل**".

– إذا شعرت بتحسن حالتك الصحية فحينئذ يكون في إمكاني اصطحابك إلى هناك. ثم نظر إلى الممرضة مستفسراً:

– ما رأيك في ذلك يا آنسة "**كرافين**"؟

– بالتأكيد. يا سيد "**ويليام**"، إني أشاركك في هذا الرأي؛ إن هذه النزهة سوف تفيد السيدة "**فرانكلين**"، على أن تكون متعقلة في تصرفاتها. استطرد "**بويد كارينجتون**" في كلامه قائلا:

– إذن اتفقنا يا صغيرتي "**بابس**"، حاولي أن تنامي، حتى تصبحي معافية غداً. واستأذن كلانا منها وخرجنا معًا. وبينما نحن ننزل السلم، بادرني رفيقي بقوله فجأة:

– ليست لديك أدنى فكرة يا "**هاستنج**" عن تلك المخلوقة التي تُدعى "**بربارا**" وعن جمالها عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها. وكنت عائداً من "**بورما**" حيث توفيت زوجتي. ولا أخفي عنك أني وقعت في حبها. لكنها تزوجت "**فرانكلين**" بعد عامين، وا أسفاه! لا أعتقد أن هذه الزيجة كانت سعيدة وبالتالي لا داعي إلى البحث عن تدهور حالة "**بربارا**" الصحية. كما أن زوجها لم يفهمها قط ولم يعرف قدرها، ولما كانت ذات طبيعة حسّاسة ورقة فحياتها الصحية ذات أصل عصبي. أما إذا عَمِلَ المحيطون بها على تسليتها وعلى جعلها تخرج من ذاتها، فسوف تتبدل حالتها في الحال. تبدو وكأنها تحولت، وهذا الملعون لا يهتم إلا بأنابيب الاختبار وما يجريه من تحاليل ومزارع. ضحك وقد بدا عليه الغضب ومن جانبي وجدته على حق، مع ذلك لقد فوجئت بانجذابه إلى السيدة "**فرانكلين**" التي كانت

في حالة صحية سيئة على الرغم مما لها من جمال وجاذبية. أما "**بويد**" فكان يفيض حيوية. لاشك في أن "**بربارا**" كانت في شبابها في أوج جمالها وأن "**بويد**" لابد وأن يكون قد انجذب إليها.

غير أني استأذنت ملتمسًا عذرًا وهميًّا عندما دعتنا السيدة "**ليتريل**" إلى مشاركتها في لعب البريدج وأخيرًا صارحتها بأن عليّ مقابلة "**بوارو**". وجدت "**بوارو**" في حجرته، منهمكًا في إعادة النظام إليها، وكعادته خرج منها وأغلق بابها. عندئذ بادرته بقولي:

– لعنة الله عليك يا "**بوارو**"، لقد قضيت الليل كله في محاولة لتحليل شخصيتك العجيبة هذه. قال:

– ولا شك في أن هذا العمل البسيط جعلك تبدو شاردًا، ألم يسألك أحدهم عمّا بك؟ علت الحمرة وجنتيّ قليلا عندما تذكرت الأسئلة التي كانت "**جوديث**" قد وجهتها إليّ، وأعتقد أن "**بوارو**" لمح ما لحق بي من حرج؛ لأني لمحت على فمه ابتسامة ماكرة. وإن كان لم يعلّق على هذا الموضوع. سألني في بساطة:

– وما هي النتيجة التي توصلت إليها؟

– تُرى، هل ستؤيدني؟

– بالتأكيد لا. تفرست في قسمات وجهه وقلت:

–كنت أفكر في "**نورتون**" .... في هذه الأثناء احتفظ "**بوارو**" بسكينته. فما كان مني إلا أن واصلت كلامي قائلا :

– ليس لأني متحامل عليه لأمر محدد... غاية ما في الأمر لقد ظننته غير مشكوك فيه أكثر من الآخرين، وتخيلت أنه ربما يكون هذا السفاح الذي نلاحقه منتميًا إلى النوع... الذي يتخفّى .

– من الممكن، لكن هناك أساليب عديدة للتخفّي. أكثر بكثير مما تتخيل.

– ماذا تقصد بكلامك هذا؟

– لنفترض وصول شخص غريب محمَّل بالنيات السيئة قبل حادث الاغتيال بأسبوع؛ حينئذٍ يكون من الأفضل له أن ينتمي إلى أحد أنواع الرياضة حتى لا يكتشف أمره مثل الصيد مثلا .

– أو دراسة الطيور، هذا ما قلته حرفيًّا، من جانب آخر، قد يكون من الأفضل أن

يكون الجاني شخصية نموذجية؛ على سبيل المثال أن يكون قصّابًا؛ لأن في ذلك ميزة إضافية؛ إذ إنه لن يشاهد أحد بقع دماء على ملابس هذا القصّاب. أردفت معلقًا:

– لكن الكل سوف يعرف ما إذا كان القصّاب قد تشاجر مع... الخباز مثلا.

– إن القصّاب لم يتخذ هذه المهنة حتى تتاح له فرصة اغتيال الخباز. حينئذ تأملته بانتباه متسائلا عما إذا كانت لكلماتي معانٍ خفية، إذا كانت الإجابة بـ "نعم"، إذن في ذلك إشارة إلى القائد "**ليتريل**". تُرى، هل عمل على إقامة فندق للعائلات حتى تكون فرصة لاغتيال أحد ضيوفه؟! هنا هزّ "**بوارو**" رأسه. وقال:

– لن ترى على قسمات وجهي، يا صاحبي، حلا لهذه المشكلة. أطلقت زفيرًا وأردفت قائلا:

– إنك حقًّا ممل. بالإضافة إلى أني لا أشك في "**نورتون**" فقط. ما رأيك في "**أليرتون**"؟ لم يتأثر "**بوارو**" لما بدا عليّ من عدم إفصاح. سألني في هدوء:

– ألا يعجبك؟

– آه، إنه ما تدعوه بالخسيس أو التافه، أليس كذلك؟! حتمًا، ألست من رأيي؟

– بلى، فقط... إنه من أولئك الرجال الذين تنجذب إليهم النساء. هنا أطلقت صيحة ازدراء. تمتمت قائلا:

– إذن، إنهن سيدات غبيّات. ما الذي يجدنه في مثل هذا الرجل؟

– أعجز عن موافاتك بذلك. لكنها حقيقة: الانجذاب إلى الشخصية التافهة.

– لماذا؟ حينئذ هزّ "**بوارو**" كتفيه.

– لاشك في أنهن يجدن فيه ما لا نراه نحن.

– على سبيل المثال؟

– ربما الخطر. إن الجميع يميلون إلى أن يقابلوا في حياتهم الشك في الخطر. والبعض يحصلون عليه عن طريق مشاهدة سباق الثيران، أو ببساطة كما يُعرض في السينما. من أجل ذلك يلاحظ أن الرجال يبحثون عن الخطر بشتى الوسائل؛ أما السيدات فهن يبحثن عنه في المغامرات الجنسية، متجاهلات الشاب الكفيل بأن يكون زوجًا ممتازًا. ركّزت في هذه الفكرة خلال بضع دقائق. ثم عدت إلى موضوعي. قلت:

– أتعلم يا "**بوارو**"؟ سوف يكون من السهل لي نسبيًّا اكتشاف هَوية (س)؛ إذ يكفيني أن أبحث عمن كان مرتبطًا بشخصيات هذه الحالات الخمس التي تناولتها.
على الرغم من أني أدليت بهذا الرأي بحماس، إلا أن "**بوارو**" لم يمنحني سوى نظرة ازدراء وقال:

– أنا يا "**هاستنج**" لم أستدعك إلى هنا لكي أراك تتتبع بصعوبة وبلا دراية الطريق الذي سبق لي أن سلكته، واسمح لي بأن أقول لك إن الأمور ليست بالبساطة التي يبدو عليك أنك تتخيلها. لقد تمت هذه الأمور في المقاطعة التي نحن فيها حاليًّا. والأفراد المتواجدون في "**ستيل**" ليسوا مجموعة أفراد مجهولين جمعتهم هنا المصادفة، وهذا المنزل ليس فندقًا عاديًّا بالمفهوم المعروف، كما أن آل "**ليتريل**" من أصل المنطقة، كانوا في حالة مالية متدهورة. كانوا قد اشتروا هذه الأراضي وشرعوا في استثمارها، وأغلب نزلاء هذا المنزل من أصدقائهم أو من أوصوهم به أصدقاؤهم. وكان السيد "**ويليام**" هو من حثّ آل "**فرانكلين**" على الحضور إلى هنا. وأولئك بدورهم كان لهم تأثير في "**نورتون**" وفي الآنسة "**كول**" .... وهكذا... وبذلك كان عندما يجد أحدهم الفرصة للتعرف إلى غيره في هذا المكان، بالتالي يكون مع الآخرين. لاحظ أيضًا نقطة أخرى، خذ مثالًا لذلك العامل الزراعي "**بويد كارينجتون**" والد السيدة "**فرانكلين**" كانا يقيمان في الأنحاء المجاورة لهذه البلدة.

وجدير بالذكر أن فندق المدينة معروف لدى السياح وبعض أصدقاء أسرة زوجة السيد "**فرانكلين**"، من كانت لهم عادة النزول فيه. ولقد أقام فيه "**فرانكلين**" ذاته فترة ليست بالقليلة، وكذلك ربما يكون السيد "**نورتون**" والآنسة "**كول**" قد توقفا في هذا المكان. لا يا صديقي أقسم لك أني لا أقوم بمحاولات غير واعية لأكتشف سرًّا أرفض الكشف لك عنه.

– أمر شاذ حقًّا. وكأني كنت قادرًا على إفشائه. أؤكد لك يا "**بوارو**" أني مللت هذا المزاح الذي يقصد به وجهي الشفاف، إنه أمر لا يتسم بالغرابة بالمرة.

– هل أنت واثق بأنه السبب الوحيد لتكتمي الأمور؟! ألا تدرك أن في معرفة الحقيقة خطورة بالغة؟ وألا ترى أني مهتم بالحفاظ على أمنك هنا؟ في هذه الأثناء كنت أستمع إليه مذهولًا؛ لأني في تلك اللحظة لم أكن قد تبينت هذا الطابع للمسألة. غير أني أدركت حاليًّا جوهر موقفه. إذا كان سفاحًا مرنًا وله موارد عديدة

وارتكب خمس جرائم، يتحقق من أنه ملاحق، فلاشك في أن ردة الفعل عنده، ستكون التصرف بعنف. قلت بحمية:

– بذلك أنت الآن في خطر يا "**بوارو**". فأبدى صديقي حركة استخفاف وقال:

– لقد اعتدت ذلك، وأنا قادر على الحفاظ على تلافي هذا، بالإضافة إلى أن صديقي المخلص "**هاستنج**" يقف بجانبي لحمايتي.

الفصل السادس

كان "**بوارو**" معتاداً أن يدخل إلى مخدعه في ساعة مبكرة؛ لذلك تركته ينام ونزلت إلى الطابق الأرضي، وقد توقفت للحظات كي أتحدث مع "**كورتيس**". لقد بدا لي بارداً، لكنه مع ذلك شخص محب، جدير بالثقة. كان يقوم بخدمة "**بوارو**" منذ أن عاد من "**مصر**". ولقد أكد لي أن صحة سيده بجملتها جيدة على الرغم من أنه مصاب بمرض في القلب وكان قد عانى الكثير من الأزمات المؤلمة؛ لأن قلبه أصبح أشبه بمحرك يضعف بالتدريج. كنت قبل ذلك أعلم أن صديقي "**بوارو**" يتمتع بصحة جيدة، غير أني تألمت كثيراً عندما رأيت صديقي المسن يتصارع مع المرض. وحاليًّا على الرغم من معاناته من الضعف والعجز، ها هو ذهنه لا يزال متمتعاً بصفائه ويساعده على مواصلة مهنته التي أظهر فيها دوماً جدارته ونجاحه. وعندما وصلت إلى أسفل السلم، وجدت صعوبة بالغة في تقبل هذا الوضع والتفكير فيما سيكون مصيري بعد رحيل "**بوارو**" من هذا العالم الفاني. وعندما تواجدت في البهو، دُعيت إلى الاشتراك في التسلية التي يقومون بها، حدثت نفسي بأنه قد يكون لي في ذلك ترقية لذهني. فوافقت؛ انسحب حينئذٍ "**بويد**" من اللعب وأخذت مكانه مع "**نورتون**" والقائد "**ليتريل**" وزوجته.

– والآن يا سيد "**نورتون**"، هل سنهزم خصمينا؟ هكذا استفسرت السيدة "**ليتريل**". ولقد كانت شركتنا الأخيرة مثمرة. ابتسم "**نورتون**"، لكنه أعلن أنه يجب ترك الأمر للحظ... من جانبها وافقت السيدة "**ليتريل**" غير راضية حسبما بدا لي، وإذا بنا، أنا و "**نورتون**"، نجد أنفسنا متحدين ضد آل "**ليتريل**" ولقد لاحظت أن السيدة عاجزة عن إخفاء عدم رضاها. كانت تعض على شفتها وسحرها كله قد

اختفى، وكذلك لهجتها الأيرلندية. كان يجب أن أدرك سبب هذا التغيير، ثم – فيما بعد – لعبت عدة مرات مع القائد "**ليتريل**"، وحينئذ اكتشفت أنه ليس رديئًا بالإجماع. كان ما أدعوه باللاعب الحذر. غير أنه يبدو شاردًا أحيانًا، الأمر الذي كان يوقعه في أخطاء وخيمة. وكان يضاعف هذه الأخطاء كلّما لعب مع زوجته. كانت هذه تجعله عصبيًا، مما كان يضاعف أخطاءه إلى ثلاثة أضعاف.

كانت زوجته تستخدم أقصى حدود إمكانيتها، كما كانت تجهل قواعد اللعب عندما لا ينتبه الخصم. بالإجماع كانت تلعب بحيث تكسب. لقد فهمت كذلك ما كان يقصده "**بوارو**" عندما تكلم بلهجته اللاذعة. كانت كلما اشتركت في لعبة البريدج (لعبة ورق يشترك فيها أربعة أفراد)، تتخلى عن تحفظها ولا تكف عن توجيه عبارات التأنيب إلى زوجها كلّما أخطأ. حينئذ كنت أشعر بالحرج الشديد، ولقد سُررت عندما انتهى اللعب واستأذنت، وكذلك "**نورتون**" بحجة أن الوقت متأخر.. عندما ابتعدنا أفصح لي صديقي بكل ما يجول بخاطره فقال:

– أكاد أُجن كلما شاهدت هذا المسكين وهو يُهزم أو يُهان. ولم يعد لديه إلا القليل من حماس قائد هُمام في الجيش. قلت:

– صه! ولما رفع "**نورتون**" صوته، خشيت أن يسمع "**ليتريل**" أفكاره، أضاف:

– يا له من وضع رديء!

– من الممكن أن يتمرد ذات يوم، أليس كذلك؟ هنا هزّ "**نورتون**" رأسه، علامة للنفي وقال:

– لن يعمل شيئًا من ذلك؛ لأن العادة تغلب. نعم يا "**ديزي**" لا يا "**ديزي**" والمعذرة يا "**ديزي**" –قال هذا وهو يمسك بأحد شاربيه ويشده– وحتى إذا رغب في إثبات شخصيته، فلن يجد الكفاءة لذلك. قمتُ بحكّ رأسي في أسى خشية أن يكون "**نورتون**" على حق. وتوقفنا في البهو ولاحظت حينئذٍ أن الباب الجانبي مفتوح وأن نسمة ريح لطيفة تتخلل الحجرة. سألت:

– أما كان من الواجب غلقه؟ تردد "**نورتون**" لبضع ثوانٍ قبل أن يجيب:

– بربي أنا لا أعلم... أنا... لا أعتقد أن الجميع عادوا. في الحال ساورني شك.

– من بالخارج؟

– ابنتك هكذا يبـدو لي، و... "**أليـرتون**". وكـان يحـاول اتخـاذ نبـرات عـدم الاهتمام، غير أن هذه الملحوظة التي أتت بعد حديثي مع "**بوارو**". سببت لي ضيقًا نفسيًا. "**جوديت**" و...... "**أليرتون**". ليتنا نتأمل الوضع. ابنتي الفاترة والذكية "**جوديت**" كانت لا تستطيع بالتأكيد أن تنجذب إلى مثل هذا الشخص؛ لاشك في أنهـا ترى الموقف جيـداً. عندمـا دخلت إلى حـجـرتي، وفي أثناء أن كنت أخلع ملابسي، كنت لا أكف عن تكرار ذلك؛ لكن هذا القلق الذي اعتراني كان لا يريد أن يفارقني.

وفور أن رقدت، بدأت أتقلب في سريري دون أن أجد للنعاس سبيلا. وكما هو مألوف مع المآسي الليلية، شعرت بأني غارق في اليأس. فقط لو كانت زوجتي العزيزة على قيد الحياة! لقد اعتمدت طوال سنوات عديدة على حكمها الصائب، كانت حكيمة وتتفهم الأطفال جيداً. دونها كنت أشعر بأني عاجز ويائس. وهأنا حاليًا المسؤول الوحيد عن أمنهم وسعادتهم. تُرى، هل أنا جدير بالقيام بهذه المهمة؟ لا، أنا لست أهلا لها وأنا واثق بذلك، كما أني لا أتمتع بالذكاء اللامع، وكثيراً ما أخطأت، لكن إذا كان على "**جوديت**" أن تفسد فرص السعادة التي تتقدم لها، وإذا كان مكتوباً لها أن تتألم...

حينئذ أضأتُ المصباح الموجود بجوار فراشي وجلستُ على سريري. وقلبي يعتصر من الحزن. والاستمرار على هذا الوضع كان لا يفيد بشيء، وكان لابد لي حتمًا من الحصول على قسط من الراحة. نهضتُ وتوجهتُ إلى الحمّام حيث وقفت أتأمل أنبوبة الأسبرين الموضوعة على الرف، ثم حدثت نفسي بأنه يلزمني ما هو أقوى منه. لاشك في أن "**بوارو**" محتفظ بنوع منوم قوي. فتحت الباب واخترقت الدهليز وتوقفت، أمام حجرته متردداً. ترددت في أن أوقظ هذا الصديق العجوز لكي أطلب منه قرصًا. وبينما أنا مترددٌ مرَّة أخرى عندما هممت بقرع الباب، سمعت صوت أقدام في الدهليز. غير أن الضوء كان خافتًا ولم أتمكن من الكشف عن وجه هذا الوافد الجديد إلا عندما اقترب مني.

تجمدت في مكاني وقطبت حاجبيَّ، لأن الرجل أظهر ابتسامة رضا قد أزعجتني. قال دهشًا:

– لك السلام يا "**هاستنج**"، مرة أخرى أجدك واقفًا؟ أجبت بجفاف:

– هذا لأني لا أجد للنعاس سبيلا.

– من أجل ذلك أقول لك تعال معي لكي أعطيك شيئًا ما. تبعته إلى حجرته المجاورة لحجرتي. أحسست بأني أحتاج إلى التفرس في هذا الرجل عن قرب على قدر استطاعتي. قلت:

– إنك تأوي إلى فراشك في ساعة متأخرة.

– لم أفكر في النوم مبكرًا قط. خاصة إذا أتيحت لي فرصة للتسلية؛ لأنه لا يجب التفريط في مثل هذه الأمسيات. وأخذ يضحك. ضحك بطريقة لم تعجبني تمامًا مثل الابتسامة التي سبق أن أبداها لي. تبعته حتى إلى الحمّام، هناك فتح دولابًا صغيرًا وأخرج منه أنبوبة أقراص. وقال:

– هذا ما يناسبك تمامًا وما تحتاج إليه. هذا ما سيجعلك تنعم بنوم عميق، بل وستحلم أحلامًا جميلة، هذه الحبة فعّالة ورائعة. سألته:

– هل من خطورة في تناولها؟

– الخطر ينتج من الإفراط في تناوله. قال هذا وكرر ابتسامته التي تثيرني فقلت:

– أعتقد أن مثل هذه العقاقير لا تُصرف إلا بتذكرة طبية.

– إنك على حق... وهو المتبع... لكن أنا عندي التركيبة. علمتُ يقينًا أن ردَّ الفعل عندي كان غبيًّا؛ لكن هكذا كثيرًا ما أتصرف بدافع من شعوري الداخلي. بعد قليل قلت له:

– أعتقد أنك تعرف "**إتيرينجتون**". لذلك تحققت في الحال من خطورة الموقف؛ لأن نظرته تصلَّبت، ومع ذلك أجابني بلهجة جافة:

– آه نعم، كنت أعرفه هذا المسكين. ثم – إذ التزمت الصمت – واصل كلامه قائلا:

– إنه بالتأكيد كان يتعاطى المخدرات بتناوله هذه الأقراص. من يستخدم ذلك يجب أن يعرف كيف ومتى يتوقف، لكنه لم يعرف ذلك. مهمة قذرة. وزوجته كانت شجاعة. ولقد حصلت على موافقة لجنة التحكيم. سلمني قرصين قائلا:

– هل تعرف "**إتيرينجتون**" جيدًا؟ أجبته بالحقيقة:

– لا. ثم بدا – خلال لحظة – عاجزًا عن مواصلة حديثه، ثم قال ضاحكًا:

– إنه نموذج عجيب. ليس بالضبط، إنه يسعى إلى الراحة إنما كان يعرف أحيانًا السبيل إلى الحصول على رفقة ممتعة. شكرته على القرصين وتوجهت إلى حجرتي. مرَّة أخرى تساءلت وأنا أدخل إلى فراشي عمّا إذا كنت قد ارتكبت حماقة أخرى؛ لأني كنت مقتنعًا في تلك اللحظة بأن الشخص (س) ليس سوى " **أليرتون** ". وأسمعته بأني أشك في أمر ما.

الفصل السابع
(1)

من الصعب تفادي جعل موضوعي الذي أذكر فيه كيف قضيت أيامي في "**ستيل**" بمظهر مفكك. كلّما أعدت التفكير في هذه الإقامة، تذكرت خاصة سلسلة أحاديث تحتوي على كلمات وجمل معبِّرة نسبيًا. تحققت أولا من حالة الضعف البدني البالغ الذي فيه "**بوارو**" بعد أن كنت متوقعًا أن أجده وذهنه يعمل كالمعتاد بالصفاء نفسه. لكن جسمه كان قد فني أو كاد يفنى. حينئذ أيقنت بأن دوري نحوه قد تضاعف؛ إذ عليَّ أن أكون عينيه وأذنيه. كان "**كورتيس**" ينقل سيده إلى الطابق السفلي كلّما كان الطقس جميلا، هناك يكون مقعده المتحرك قد أعدَّ مسبَّقًا. ثم كان يقوده إلى الحديقة حيث يجلسه في مكان بعيد عن تيارات الهواء. أما في الأيام الأخرى فكان يقوده إلى البهو. وكان حيثما يتواجد يجد من يسامره؛ لكنه بالتأكيد لا يجد الشخص الذي كان يتمنى لقاءه. في اليوم التالي لوصولي، قادني إلى المعمل الموجود بالحديقة هذا الذي كان قد أعده لاستكمال أبحاثه العلمية فيه. من المحتمل أن يكون قد استخدم اصطلاحاتٍ علمية غير سليمة عندما سجل التقارير عن أعمال الدكتور "**فرانكلين**".

أذكر كذلك أنه عندما حدثت محاورة بين الدكتور و"**بوارو**"، وقد كانت "**جوديث**" – كما هي عادة الشبان عندما يتواجدون في مثل هذا الموقف – تعمل على موافاتي بالمعلومات بكل ما لها من خبرة وعلم في العلوم متناولة مواضيع مختلفة عن القلويات وغيرها. وعندما سألتها عمّا إذا كانت معلوماتها هذه تفيد البشرية، ألقت إليّ نظرة ازدراء ثم انخرطت في تفسير نظرية أخرى أكثر تعقيدًا. كل

ما استوعبته هو أن بعض القبائل الإفريقية ذات البشرة الداكنة أظهروا مناعة ملحوظة ضد مرض يدعى "**جوردانيت**" على الرغم من أنه مميت ولقد سمي هذا المرض باسم الدكتور "**جوردان**" أول من اكتشفه. وهو مرض استوائي نادر جداً كان قد لحق بالجنس الأبيض وجميع مرضاه قد ماتوا.

ولقد تعرضت ابنتي لمزيد من الاهتمام، عندما أوحيت إليها بالاهتمام بالحصول على علاج كفيل بعلاج حالات إصابة الأذين (بالقلب). بنبرات تحتوي على مزيج من الشفقة والاستخفاف، من جانبها حاولت أن تثبت لي أن الهدف الوحيد الجدير بالاتباع هو التوسع والتعمق في المعرفة، قالت هذا وأشارت إلى بعض الصفائح تحت الميكروسكوب وجعلتني أتفحص صور مواطني غرب "**إفريقيا**"، وكذلك وقع نظري على فار في قفصه.. أحسست بعد ذلك بأني أحتاج إلى تنفس قليل من الهواء الطلق. وكما قلت، كان اهتمامي قد أيقظه حديث "**فرانكلين**" و"**بوارو**"، حينئذ وضح لي الطبيب قائلا:

– كل ذلك في مجالك أكثر من مجالي. إن حبة فول "**كالابار**" كفيلة بإثبات الإدانة أو البراءة من التسبب في الداء. هكذا كانت هذه الفكرة سائدة منذ زمن طويل؛ إذ إن أولئك الزنوج بدؤوا يتكاثرون. على أي حال كانوا يمضغون حبة الفول هذه مقتنعين بفائدتها إذا كانوا أبرياء، وأنها سوف تقتلهم إذا كانوا مدانين.

– ومن البديهي أنهم كانوا يموتون .

– ليسوا كلهم، وهو ما تسبب في حيرتنا حتى الآن.

– يخيّل إليَّ أن هناك نوعًا من الشعوذة خلف كل ذلك.

– الحقيقة هي وجود نوعين من فول "**كالابار**". غاية ما في الأمر أن وجه الشبه بينهما كبير جداً إلى الحد الذي عنده لا يمكن التفريق بينهما، لكن في أحد الأنواع يمكن – أعتقد أنه من الممكن القيام بذلك – عزل مادة قلوية تعمل على إلغاء خواص المواد الأخرى. والنوع الثاني تستهلكه بعض القبائل خلال بعض الطقوس السرية، ولقد ثبت أن الزنوج لا يصابون بمرض الـ "**جوردانيت**". أما المادة الثالثة فلها تأثير في الجهاز العضلي بلا أية آثار جانبية. وعلى الرغم من القلويات الصافية فهي متغيرة، حصلت على نتائج مشجعة وإن كانت هناك أبحاث في الانتظار. وهي مهمة يجب عليَّ إتمامها... وإذا هو يتوقف فجأه عن الكلام وتعود الابتسامة إلى وجهه. ويقول:

– المعذرة، إذا كنت أتكلم عن العمل، يبدو هذا لأني أركز كل اهتمامي فيه.
وأردف "**بوارو**" قائلا:

– من البديهي. وهكذا إذا أصبح في إمكاني التمييز بين الجاني والبريء وهو ماتقوم به القبائل الإفريقية لأصبحت مهنتي أشبه بلعبة أطفال، آه! ليتنا نعثر على مادة لها خواص فول "**كالابار**" نفسها.

– لن يعمل ذلك على حل جميع الصعوبات؛ لأن – في النهاية – ما هو الذنب؟ أو ما هي البراءة؟ قلت:

– لم أتوقع وجود أدنى شك في هذا الموضوع. حينئذ التفت الدكتور نحوي، وقال:

– ما هو الشر؟وما هو الخير؟ إن الآراء تختلف من قرن إلى آخر وأحيانًا من بلد إلى آخر. وما هو في إمكانهم تحديده، قد يكون الإحساس بالذنب أو البراءة بداهة طبيعية. لكن – في الواقع – لا قيمة لمثل هذا الاختبار.

– أعترف بأني لم أتابعك جيداً

– تخيل يا عزيزي، رجلا يعترف أن من حقه أن يقتل... وليكن مرابيًا أو أيَّ شخص في إمكانه أن يعمل على إذلال غيره. وهو بذلك يرتكب ما تدعونه جناية، أما هو، فيرى في ذلك البراءة عينها من الذنب. أجاب الدكتور "**فرانكلين**":

– مع ذلك يبدو لي أن السفاح يشعر بالذنب.

– في إمكاني الاعتراف لك بأن هناك كمًّا من الناس، أتمنى أن أقتلهم، أنا ذاتي. ولا تتوقع أنني بعد ذلك سوف أصاب بالتوتر والقلق وسهر الليالي بسبب تأنيب الضمير. لاحظ أن في اعتقادي أنه يجب أن تختفي نسبة كبيرة من الجنس البشري، ولتكن 90 % (تسعين في المائة) ومن بعدهم تكون حياتنا متسمة بالذكاء التام. قال هذا ثم نهض وأخذ يطلق صفيراً من بين أسنانه، وقفت أتأمله دهشًا، عندما أطلق "**بوارو**" ضحكة أفاقتني.

– وكأنك رأيت جحر ثعابين يا صديقي، نرجو ألا يعمل الدكتور على تطبيق نظرياته.

– وإذا قام بذلك؟

(2)

بعد لحظة تردد، قررت الذهاب إلى "**جوديت**" لكي أكتشف علاقتها بـ"**أليرتون**"؛ لأني كنت في اشتياق شديد إلى معرفة ردود الفعل التي تمر بها. وأنا على دراية بما عند ابنتي من قدرة على حفظ توازنها والاهتمام بنفسها؛ ولا أتوقع أنها سوف تقع في سحر رجل مثل "**أليرتون**"؛ لذلك أنا لم أخض في هذا الموضوع إلا للتأكد من أن توقعاتي سليمة فحسب. لكني – للأسف – لم أحصل على النتيجة المطلوبة؛ هذا لأني لم أتبع أسلوبًا مرنًا معها؛ إذ إنه لا يوجد ما يثير كبرياء الشباب بقدر ما تسيء إليهم نصائح مَن هُم أكبر منهم سنًّا.. ومع ذلك كنت أحاول – على قدر استطاعتي– جعل حديثي مرحًا؛ لكني لم أنجح بالقدر الذي كنت أتمناه؛ لأن "**جوديت**" قاومتني في الحال. سألتني بنبرة متعالية:

– تُرى، هل هي حراسة أبوية من ذئب شرس؟

– لا يا "**جوديت**"، لا. أؤكد لك أنه لا.

– أتوقع أن القائد "**أليرتون**" لا يعجبك. أليس كذلك؟!

– أعترف بذلك، وأود أن أسمع أنه لا يعجبك.

– لم لا؟

– إنه لا يناسبك لأنه ليس من فئتك.

– وما هي الفئة التي أنتمي أنا إليها يا والدي، بحسب رأيك؟ كانت ابنتي – وهي تتفوه بهذه الكلمات – تلقي إليّ ابتسامة استهزاء. وضمت زاويتيْ شفتيها الجميلتين. ثم استطردت بعد لحظة قائلة:

– إنك بالتأكيد لا تحبه. أما أنا فبلى؛ لأني أجده مسليًا جدًا.

– آه، هو مسلٍّ، ربما. ثم أضافت ابنتي بنبرة أكثر ثباتًا:

– وجذابًا أيضًا. وأية فتاة غيري حتمًا ستكون من رأيي. لكن الرجال لا يروْن عامة الأمور من الزاوية نفسها.

– بالتأكيد لا. قلت هذا وأضفت بشيء من عدم الانتباه لردة فعل كلامي:

– لقد مكثتِ معه منذ ليلتين لفترة طويلة حتى ساعة متأخرة... وكان من المستحيل أن أنهي كلامي؛ لأن العاصفة هبّت؛ إذ قالت:

– إنك غبيّ جداً يا أبي! ألا تدرك أنني – في مثل سني هذه – كفيلة بتدبير أموري؟ وأنه ليس لك الحق في مراقبة الطريقة التي أختار بها أصدقائي. ومن المعروف أن ما يثير الشبان هو التدخل الغبي من قبل الوالدين في حياة أبنائهم. إني أحبك ياأبي، لكنني رشيدة وحياتي ملك لي وحدي، أنظمها حسبما أشاء. وإذ شعرت بالعجز عن الرد تراجعت وابتعدت سريعاً، حزيناً؛ لأني تسرعت، وكانت النتيجة أني لم أحصل على ما هو نافع. بعد عدة لحظات أحسست باني غارق في التفكير، غير أن صوت الآنسة "**كرافين**" أعاد إليّ صوابي. كانت "**كرافين**" تناديني بلهجة ماكرة:

– فيم تفكر يا سيادة القائد "**هاستنج**"؟ كم كان سروري عند سماع هذا النداء، فالتفتُّ بحمية. حقًّا كانت الآنسة "**كرافين**" ذات جمال أخّاذ، وربما كانت تميل إلى الظهور بالشقاوة، لكنها كانت ذكية جداً وجميلة. كانت قد انتهت منذ قليل من وضع مريضتها في مكان مشمس على مقربة من المعمل الخاص بالدكتور "**فرانكلين**". قلت مستفسراً:

– تُرى، هل هي تبدي اهتمامًا بأبحاث زوجها؟ حينئذ هزّت السيدة رأسها وقد بدا عليها الازدراء:

– إن هذه الأعمال لا تناسبها. للعلم، إنها لا تتمتع بذكاء خارق وبالتالي نلاحظ أن قليلين هم الذين يهتمون بأبحاث الدكتور ويقدرونها؛ لأن لهم معلومات علمية وطبيّة وهو ذكي جداً بل وأستطيع أن أقول أنه شخص لامع. آه المسكين إني مشفقة عليه قليلا...

– أنت تشفقين عليه؟

– نعم، ولقد رأيت مراراً كثيرة بعض الرجال يتخذون لهم زوجات لا يناسبنهم بالمرة.

– وهل تعتقدين أن هذا هو وضع الدكتور "**فرانكلين**"؟

– لست أنت؟ إنهما لا يتفقان في أي شيء

– مع ذلك يبدو أنه يكن لها كل مودة. وهو يهتم كثيراً بها.... حينئذ ضحكت الممرضة بطريقة أثارت استيائي. ثم قالت:

– إنها تعمل على جعله على هذا النحو.

– أتعتقدين أنها... أنها تستغل مرضها؟ عادت إلى الضحك ثانية.

– ستجد صعوبة في جعلها تتراجع عن فكرتها. إن كل ما ترغب فيه جلالتها، تحصل عليه. ومثل هذا النموذج سيدات كثيرات: لهن من الدهاء ما يوجد عند قبيلة من القرود. وعندما تُلبَّى طلباتهن يكتفين بغلق عيونهن وإلقاء رؤوسهن إلى الخلف أو يتظاهرن بالعصبية، وزوجة السيد "**فرانكلين**" من الفئة الأولى. إنها لا تنام ليلا ولا صباحًا؛ لذلك تجدها شاحبة وذابلة وتبدو وكأنها منهكة.

– لكنها فعلا مريضة، أليس كذلك؟ حينئذ ألقت إليّ الآنسة "**كرافين**" نظرة غريبة، أجابت بنبرة جافة:

– نعم بالتأكيد. فجأة غيرت مجرى الحديث لكي تسألني عمّا إذا كنت حقًّا قد أقمت في "**ستيل**" إبان الحرب الأولى، أجبت:

– نعم، هذا أكيد. ثم خفضت صوتها قليلا لكي توجه إليَّ هذا السؤال:

– وكانت هناك جريمة اغتيال، أليس كذلك؟ سيدة مسنة على ما أعتقد، إنها إحدى الخادمات التي ذكرت لي ذلك. هل كنت حاضرًا في تلك اللحظة؟

– نعم كنت هناك. فاقشعرت قليلا وقالت:

– هذا يوضح إذن كل شيء، أليس كذلك؟

– يوضح ماذا؟ ألقت إليّ نظرة خاطفة، فقلت:

– ألا تشعرين بمناخ هذا المكان؟ عن نفسي بلى، ولي إحساس بأن بها شيئًا غريبًا. فكرت في صمت خلال لحظة. تُرى، هل هي صادقة في قولها؟ هل تترك جريمة الاغتيال أثرًا بعد طول السنين في المكان الذي تمت فيه؟! إن علماء علم النفس يؤكدون ذلك. تُرى، هل مازالت موجودة حتى ذلك الحين؟ هنا بين هذه الجدران وفي هذه الحدائق؟ تُرى، هل ما زالت هذه الأفكار تحلّق في "**ستيل**"؟ مرَّة أخرى انتزعتني الممرضة – من جديد – من أفكاري.

– لقد تواجدت ذات مرَّة في مكان كانت قد تمت فيه جريمة اغتيال كنت قد ارتكبتها، ولم أغفل عنها قط. وكانت خاصة بأحد مرضاي. ولقد تم استجوابي واضطررت إلى الإجابة، الأمر الذي خفض وقتئذٍ معنوياتي. لقد كانت حقًّا تجربة قاسية بالنسبة إلى فتاة.

– أذكر ذلك أنا أيضًا. توقفت عندما لمحت "**بويد كارينجتون**" عندما كان يدور حول المنزل. وكعادته عمل هذا الشخص على تبديد مخاوفي بما له من شخصية قوية

ومزاج حسن. بادرنا بالتحية:

– صباح الخير يا آنسة "**كرافين**"، صباح الخير يا "**هاستنج**" أين السيدة "**فرانكلين**"؟ حينئذٍ أجابت الفتاة:

– صباح الخير يا سيد "**ويليام**". السيدة "**فرانكلين**" في الحديقة تحت شجرة البلوط المجاورة للمعمل.

– وأتوقع أن زوجها بالمعمل؟

– نعم مع الآنسة "**هاستنج**". حينئذ تدخلت الممرضة بقولها:

– آه، والآنسة "**هاستنج**" سعيدة جداً. إنها تحب هذا العمل، وأعتقد أن الدكتور لا يستطيع التخلي عنها. التفت "**بويد**" نحوي وأردف قائلا:

– المسكين. لو كانت لي فتاة بمثل جمال ابنتك "**جوديت**" لفضّلت إطالة النظر إليها عن التطلع إلى الصبية. كان هذا نوع المزاح الذي لا تستحسنه "**جوديت**"، لكنه أعجب الآنسة "**كرافين**" التي انطلقت في الضحك. قالت:

– آه يا سيد "**ويليام**"، لا يجب أن تنطق بمثل هذه الكلمات. على أي حال إننا ندرك ماذا سيكون تصرفك في مثل هذه الظروف. إنما السيد "**فرانكلين**" جاد جداً... ومنهمك جداً في أبحاثه. واستطرد "**بويد**" بلهجة مرحة قائلا:

– على أي حال، لقد استقرت زوجته في مكان تستطيع منه أن تراقبه جيداً، بذلك أتوقع أن تكون غيرى.

– يبدو أنك تعرفين الكثير عن السيد "**ويليام**". فبدا السرور على وجه الممرضة عند سماع هذه الكلمات، قالت أخيراً:

– أعتقد أن الوقت قد حان لكي أذهب للعناية بوجبة السيدة "**فرانكلين**". ابتعدت بخطى بطيئة، تلاحقها نظرات "**بويد**"، وهكذا جاء تعليق "**بويد**":

– إنها فتاة جميلة، الشعر رائع، والأسنان ناصعة البياض. ولا شك في أن اهتمامها الدائم بالمرضى يرهقها؛ لأن مثل هذه المخلوقة جديرة بأن تتمتع بحظ أوفر.

– لا بد وأنها ستتزوج ذات يوم.

– أتعشم ذلك. ثم أطلق زفيراً، وساورتني فكرة بأنه يفكر في زوجته المتوفاة. ثم غيّر مجرى الحديث فجأة؛ إذ قال:

– سأتوجه إلى "**كناتون**" لتفقد الأعمال التي تجري هناك. أفي إمكانك مرافقتي؟
– هذا يسعدني، لكن يجب أولا أن أسأل "**بوارو**" عمّا إذا كان يحتاج إلى معونتي أم لا. في الحال شجعني صديقي العجوز على مواصلة مشروعي، لأنه كان جالسا تحت الشرفة وسمعني. وهكذا كانت كلماته لي:
– اذهب يا "**هاستنج**". إني متوقع أن يكون مشروعًا جيدًا.
– إني أجد متعة في زيارته، لكنني كنت لا أرغب في تركك بمفردك.
– هيّا يا صديقي، اذهب مع السيد "**ويليام**". إنه شخص جذّاب. أليس كذلك؟
أجبت متحمساً:
– بالتأكيد. وانطلق "**بوارو**"..... انطلق في الضحك.
– نعم كنت واثقًا بأنك ستجده لطيفًا. وجدت متعة في جولتنا، ليس فقط بسبب جمال الطقس، إنما أيضًا؛ لأن صحبة "**بويد**" كانت ممتعة، ولأنه كان شخصًا موهوبًا يجذب إليه كل المحيطين بما له من مغناطسية نادرة وخبرة واسعة عن الناس والأشياء. قام بسرد أحداث كان قد اجتازها عندما كان يعمل بـ"**الهند**"، كما حدثني أيضًا عن عادات القبائل الإفريقية. وهكذا عمل حديثه الشائق على تبديد مشاعر الأسى التي كنت أحس بها نحو "**جوديت**"، وكذلك الألم الذي شعرت به عندما كشف لي "**بوارو**" عن أحواله. قدّرت كذلك طريقة كلامه عن صديقي. كان يُكنّ له فائق الاحترام ويحترم مهنته وشخصيته. وعلى الرغم من اعتلال صحته كان هذا الخبير الجنائي المسن، لا يستسلم لمشاعره ويكفيه أنه نال مكافأته من عمله وأنه يجد في ذكرياته مسرةً وافتخاراً. ثم أضاف:
– أراهن أيضًا أنه يتمتع بصفاء ذهنه كما كان في ريعان شبابه.
– أؤكد لك أنه هكذا.
– من الخطإ اعتبار أن من تضعف قواه البدنية، تنخفض قدراته الذهنية والفكرية، كذلك فالشيخوخة لا تؤثر في العقل كما كان الأولون يعتقدون. كما أني لا أرغب في المخاطرة بارتكاب جريمة أمام "**هركيل بوارو**". حتى الآن.
– لا أشك في ذلك. هذا بالإضافة إلى أني لا أستطيع القيام بشيء كبير مثل شخص مجرم. سأعجز عن تكوين خطة وسوف أفتقر إلى الصبر. وإذا ارتكبت جريمة، فقد تكون تحت تأثير وقتي.

– لا أعتقد. ومن المحتمل أن أنشر في تلك الحالة عدة مؤشرات من حولي حمداً لله، إن ذهني لا يتجه نحو الجريمة. ولقد فكرت في أن الفئة التي قد أقتلها هي التي ينتمي إليها أستاذ مطرب. فما رأيك؟ اعترفت بأني أشترك معه في وجهة نظره. وبدأنا وقتئذ في اختبار الأعمال الجارية، عندما تقدم للقائنا شاب مهندس معماري.

كانت "**كناتون**" ترجع إلى فترة "**تيودور**" عدا جناح قد أضيف مؤخراً، ولم يتم تطوير هذا المبنى أو جعله حديثًا منذ أن كانت الحمامات قد أضيفت إليه عام 1840. وضح لي رفيقي أن عمه كان ناسكًا أو شخصًا ممن يبغضون البشر. وأن هذا الشخص لم يستخدم سوى أحد أركان هذا المكان الفسيح، بيد أنه كان يرحب بابنيْ أخيه اللذيْن كانا يأتيان عنده لقضاء الإجازة قبل أن يعتزل بالتمام. أما السيد "**إيفيدارو**" فلم يتزوج قط ولم ينفق أكثر من عُشْر دخله الواسع. بحيث أنه حتى بعد دفع حقوق الوراثة، تواجد البارون الصغير وصار مالكًا لثروة طائلة. أضاف "**بويد**" بعد أن أطلق زفيراً:

– لقد كان حقًّا شخصًا منعزلا. التزمت الصمت؛ لأني أنا ذاتي كنت شخصًا منعزلا؛ إذ إني اعتبرت نفسي نصف كائن بشريّ، بعد وفاة زوجتي العزيزة. ثم بعد لحظة، حاولت – متردداً – أن أوضح ما أشعر به. أجاب "**بويد**" بصوت هادئ:

– إني أفهمك. غير أنك عانيت شيئًا لم أعرفه أنا ذاتي. توقف لحظة ثم وافاني بمضمون مأساته. كانت زوجته مثالا للجمال الممتلئ سحراً. كانت قد تُوفيت إثر إفراطها في تناول المشروبات الكحولية كسائر أفراد أسرتها. وكانت قد استسلمت لهذا الداء بعد زواجها بعام واحد. وكان لا يذمّها في حياتها ولم يتحامل عليها بعد وفاتها؛ لأنه كان واثقًا بأنها كانت عاجزة عن مقاومة الطبيعة المتوارثة عن أسلافها، ومن جانبه فقد حزن عليها حزنًا عميقًا لم يفكر في الزواج مرَّة أخرى. وهكذا ختم حديثه:

– إن المرء يشعر بمزيد من الأمن عندما يكون بمفرده، تمتمت بعد لحظة:

– نعم، لقد أيقنت بأنك شعرت بذلك، على الأقل في البداية.

– أرأيت كيف أنه على الرغم من المظاهر بدا عليّ التقدم في العمر مظهراً شيخوخةً مبكرة. توقف ثانية، ثم استطرد قائلا:

– في الحقيقة، لقد واجهت تجربة لمرة واحدة. غير أن الفتاة كانت صغيرة جداً،

بحيث لا يكون من اللياقة جعلها ترتبط برجل كبير مثلي. حقًّا كنت أكبر منها سنًّا في حين أنها كانت لا تزال طفلة جميلة جداً، بل وطاهرة جداً. توقف ثانية وحكّ رأسه. سألته:

– أما كان من حقها أن تقرر هي ذاتها؟

– لا أدرى يا "**هاستنج**". لقد اعتقدت أنه لا، غير أني كنت أعتقد أنها معجبة بي، لكن كما أشرت قبل ذلك، كانت صغيرة السن. سأظل أراها كما رأيتها في المرة الأخيرة، الرأس مائل قليلا إلى الجانب، وعيناها الواسعتان شاخصتان إليّ، وما بدا على وجهها من عدم استقرار، ويدها الصغيرة. توقف مرة أخرى. وكانت لكلماته عندي أثر مألوف، أعجز عن معرفة سببه. بعد ذلك انتزعني صوته القاسي من الأفكار التي كانت تلاحقني.

– وحاليًّا لقد تحققت من أني –بداهة – تصرفت مثل شخص غبيّ؛ إذ إنه من الغباء ترك الفرص الطيبة تمر دون الاستفادة منها. وعلى أي حال، هأنا في هذا المنزل الفسيح الخالي من وجود أنثى تبهجه، ولو قليلا. سألته:

– وماذا أصبحت هذه الفتاة؟

– تزوجت بالتأكيد. أما أنا فقد واصلت مسيرتي كرجل مسن اكتسب خلال هذه السنوات بعض العادات. تعال نشاهد الحدائق التي لا تخلو من لمسة جمال على الرغم من أنها مُهمَلة بعض الشيء.

قمنا بالتجول حول هذا المنزل ذي المساحة الشاسعة. وكان "**بويد**" يعرف جيداً الأماكن المحيطة بـ "**كناتون**" وكذلك جميع الساكنين فيها، على الرغم من أن كثيرين وفدوا إليها منذ فترة قريبة. كما كان قد عرف القائد "**ليتريل**" قبل ذلك بسنوات عديدة، وعبَّر له عن تمنياته بنجاح مشروع "**ستيل**" ثم واصل كلامه قائلا:

– إن هذا المسكين "**توبي ليتريل**" يعاني حاليًّا، أنت تعلم ذلك. ودائمًا الشاب الجيد، يصبح رجلا عسكريًّا جيداً. وأيضًا قنّاصًا متميزاً ولقد اشترك ذات مرة في "**إفريقيا**" في رحلة صيد. وكان ذلك في أجمل فترة؛ لأنه كان قد تزوج منذ فترة قليلة بفتاة جميلة، إلا أنها كانت من النوع الشرس. وكم يعاني الزوج من زوجة بمثل هذه الصفة. كان في شبابه فارسًا ماهرًا، تخضع له الفرس التي يمتطيها. وها هو حاليًّا يرتجف أمام امرأة ويبدو خاضعًا، مغلوبًا على أمره. كان لهذه الزوجة لسان أفعى؛ كما

يجب معرفة أنها ذات تفكير عميق؛ إذ إنه إذا كان هناك من يستطيع الحصول على المال من "**ستيل**"، كانت هي؛ لأن الزوج لم يكن ذا خبرة بالمشاريع. أردفت معلقًا:

– وما هو محرج، هو طبعها الشرس؛ فهي تبدو وكأنها تريد أن تنقض عليك. بدا "**بويد**" راضيًا عن كلامي.

– أعلم ذلك، ظاهريًّا سحر ووداعة. لكن تُرى هل لعبت معها الـ "**بريدج**" ذات يوم؟ ابتسمت وأجبته:

– نعم.

– من عادتي أن أرفض اللعب مع السيدات خاصة الـ "**بريدج**" وليتك تحذو حذوي. اعترفت له بأني أنا و "**نورتون**"، كنا نشعر بالضيق، ليلة وصولي عندما كنا نقضي أمسية مع آل "**ليتريل**"، قال:

– نموذج جيد. يقضي وقته في مراقبة الطيور، دون أن يتربح واحدًا منها. فيما يخصني، أنا لا أرى المتعة التي يجدها المرء في التجوال في الغابات للتطلع إلى العصافير وسائر الطيور من خلال المنظار المكبّر.

لقد كنا نجهل في تلك اللحظة أن طريقة "**نورتون**" الساذجة ستقوم بدور مهم في الأحداث المقبلة.

الفصل الثامن
(1)

مرت الأيام وأنا في الانتظار الذي جعلني عصبيًّا، دون أن يحدث شيء. مع ذلك كانت هناك أحداث دقيقة وبعض الملاحظات عن مختلف ضيوف "**ستيل**". وبعض المحادثات الغريبة، وبعض التفاصيل التي قد تنيرني، إن لم أتمكن من جمعها.. وكان "**بوارو**" – كعادته – هو الذي أشار إلى شيء ما كنت قد غفلت عنه. كنت أشكو للمرة المائة من رفضه الباتّ بأن يجعلني كاتم سرّه ولقد أفصحت له عن أن ذلك غير مناسب من قِبله، مذكرًا إياه أننا كنا حتى ذلك الحين نتبادل معلوماتنا حتى في الفترات التي كان يظهر فيها غبائي للحصول على النتائج المفروضة. وحرّك يده بحركة تدل على الضيق ونفاد الصبر.

– اتفاقنا يا صديقي، غير لائق، وغير شريف وأنا ربما لا ألعب اللعبة، إنها ليست لعبة وليست رياضة. وفيما يخصك أنت تسعى إلى استنتاج شخصية "س"، لكن من أجل ذلك طلبت منك أن تأتي إلى "**ستيل**". ولا ضرورة لكي تهتم بهذا التفصيل ما دمت أعرف الجواب عن سؤالك مسبقًا، لكن ما كنت أجهله وما يجب أن أعلمه هو اسم الضحية المقبلة وليس المقصود هو أن تتسلى بحل الفوازير. إن هدفنا هو الحيلولة دون موت كائن بشري إذا كان ذلك في وسعنا. وكنت حاليًّا متأثرًا بعض الشيء. أجبته في هدوء:

– بالتأكيد، لقد سبق أن أخبرتني بكل ذلك، غير أني لم أتحقق منه بالضبط.

– حسنًا، لقد حان الوقت لكي تتحقق منه. أخبرني يا "**هاستنج**"، من هي – بحسب رأيك – الضحية المذكورة؟ كنت في هذه الأثناء أنظر إليه مذهولاً.

– ليست لديَّ أدنى فكرة. وتُرى لأي غرض ستكون هنا؟! تذكرت في الحال تعليقي على السؤال.

– لا بد وأن تكون هناك صلة بين الضحية والمدعو "س" بحيث إنك إذا بينت لي شخصية هذا الأخير.... حينئذ هزّ "**بوارو**" رأسه بحمية وقال:

– ألم أوضح لك أهم النظريات التي استخدمها الجاني في موضوع حديثنا؟! وليس هناك ما يربطه بوفاة ضحيته، هنا ما يؤكد الأمر.

– تقصد – على ما أعتقد – أن الصلة بين ضحية وسفّاح قد تختفي؟

– تختفي إلى الحد الذي عنده يعجز كلانا عن اكتشاف الحقيقة.

– لكن أخيرًا بدراسة ماضي هذا الـ "س" العجيب...

– لا، على أي حال، لن نتوصل إلى ذلك في وقت مناسب؛ لأنه من الممكن أن تُرتكب الجريمة ما بين لحظة وأخرى.

– والضحية ستكون أحد المقيمين في "**ستيل**"؟

– ليس من شك في هذه النقطة.

– ألا تعرف حقًّا من المتوقع قتله، ولا كيف؟!

– آه لو أنني كنت أعلمه.. لما طالبتك باكتشافه عوضًا عني.

– وأنت لا ترتكز في نظريتك إلاَّ على وجود "س" في "**ستيل**"؟ كان يجب أن

أبدو كمن تملكته الحيرة. أخيرًا صاح "**بوارو**":

– وبعـد، كم مـرة وجب عليّ أن أعـود إلى ذلك؟ تابعني جـيـدًا إذا حـدث أن مجموعة من مراسلي الحرب يهبطون فجأة على أية بقعة من الكرة الأرضية، ماذا يعني ذلك؟ الإجابة: الحرب! وإذا وفد بعض أطباء العالـم وتجمعوا في مدينة ما، تُرى أية خلاصة نستنتج من ذلك؟ إنه سوف ينعقد مؤتمر طبي في هذه المدينة، وعندما ترى بعض النسور تحلّق في السماء، تقول: "لا شك في أنه توجد في هذه البقعة جثة على مقربة من هذا المكان"، وإذا شاهدت بعض الصيادين في مكان ما، تقول: "لا شك في أنه سيكون في هذا المكان حلقة صيد". وإذا رأيت رجلا يتوقف فجأة على شاطئ نهر ويخلع سترته ويلقي بنفسه في الماء، إنك تستنتج من ذلك أنه يسعى إلى انتشال غريق. وإذا استنشقت رائحة إعداد طعام ثم تلمح في الدهليز عددًا من الأفراد يتخذون الاتجاه نفسه، ففي إمكانك أن تؤكد أنهم سوف يجتمعون حول مائدة عليها ما لذّ وطاب. وقفت أتأمل لحظة في أوجه الشبه هذه. أجبته بعد ذلك:

– على الرغم من أن مراسل حرب واحد، ليس دليلا على نشوب حرب.

– بالتأكيد لا. كذلك بلبل واحد ليس دليلا على إقبال الربيع، لكن يكفي يا"**هاستنج**" وجود سفاح واحد لارتكاب جريمة اغتيال أكثر من واحد.

– كان ذلك لا يقبل الجدال. لكن لقد وافتني فكرة – ويبدو أن "**بوارو**" لم تكن لديه الفكرة نفسها – وهي أن حتى السفاح يريد أن يستريح. و "س" كان قد تمكن من المجيء إلى "**ستيل**" فقط لقضاء عدة أيام أو بضع أسابيع إجازة، وذلك دون وجود أية نية لارتكاب جريمة. غير أني لم أشرك "**بوارو**" في نظريتي؛ لأنه كان متألمًا جدًا. غاية ما في الأمر اكتفيت بالإشارة إلى أن هذا الأمر يبدو بلا أمل. أطلقت زفيرًا ثم تمتمت وقلت:

– علينا أن ننتظر. قهقه "**بوارو**" وهو يقول:

– الانتظار ورؤية المجيء. مثل السيد "**آسكويث**" خلال الحرب الأخيرة. حسنًا ياعزيزي، هنا بالتحديد توجد السياسة التي يجب ألا تُتَّبع. أنا لا أؤكد أننا سوف ننجح؛ لأنه من الصعب القبض على شخص عزم على ارتكاب جريمة، على الأقل في إمكاننا أن نحاول. تخيل يا "**هاستنج**" أنك في مواجهة مشكلة "**بريدج**"، وأنك ترى كل الورق. كل ما هو مطلوب منك القيام به هو توقع النتيجة. هززت رأسي

وقلت:

– ليست لدي أدنى فكرة يا "**بوارو**" آه لو علمت من هو "س"... حينئذ صرخ صديقي:

– اسمع يا "**هاستنج**". إنك لست بالغباء الذي تتظاهر به. لقد اطلعت ودرست هذه المواقف الخمسة التي أعطيتك ملخصها. إنك لا تعرف من هو "س"، لكنك تعرف الخطة التي استخدمها لارتكاب جرائم الاغتيال التي قام بها وهي التي ما زال يتَّبعها.

– آه، إني أدرك ذلك.

– إنك تفهم وهذا أكيد إنما ما يضايقك هو أنك تستسلم لبلادة ذهنك. إنك تميل إلى اللعب من أجل التخمين، إنك لا تعمل على تشغيل مخك. ما هي الوسيلة التي استخدمها (س)؟ أليست الجريمة التي تمت تُعتبر تمت؟ أي كان لها دافع، وفرصة ووسيلة وما هو أهم أيضًا هو أن يقدم لنا أحد الجناة وهو على وشك الإدانة وتطبيق الحكم عليه. حينئذ تأكدت أني غبي فعلا. وبعد برهة صمت، أردفت قائلا:

– نعم، يلزمني إذن البحث عن الشخص الذي تنطبق عليه كل هذه الشروط، إنها الضحية. ألقى "**بوارو**" بنفسه على مسند مقعده وأطلق زفيراً. وقال:

– أخيراً لقد أدركت ما هي مهمتك. إنك شخص نشيط وقادر على التنقل واتباع الناس والتحدث إليهم والتجسس عليهم سرًّا. أوشكت على الاعتراض، لكنني تمالكت نفسي وامتنعت.

– في إمكانك الاستماع إلى الأحاديث وركبتاك ما زالتا محتفظتين بمرونتهما، وهما تساعدانك على التطلع من ثقوب الكوالين. فما كان مني إلا أن أعلنت بنبرة واثقة:

– لا لن أتطلع من ثقوب الكوالين. هنا أغلق "**بوارو**" عينيه. ثم أردف:

– حسنًا جدًّا. لن تنظر من الثقوب، ستظل (الجنتلمان) البريطاني الأصيل وأحدهم سوف ينتحر. لكن ليست لهذه النقطة الأخيرة أية أهمية؛ لأن البريطانيين يضعون الكرامة في الصف الأول، وكرامتك أغلى من حياة كائن بشريّ. هذا مؤكد، ومفهوم.

- وبعد يا "**بوارو**"؟ وأردف صديقي بنبرة فاترة فقال:
- انسحب وأرسل إليَّ "**كورتيس**" من فضلك. إنك عنيد وغبي إلى أقصى حد. وأتمنى لو أني وجدت شخصًا آخر لكي أضع ثقتي فيه، لكني أعتقد أنه كان يجب أن أكتفي بالتكيُّف مع أفكارك الغبية. ولما لم تتمكن من استخدام خلايا مخك على الأقل استخدم عينيك وأذنيك وأنفك إذا لزم الأمر. وبالتأكيد حسبما تسمح به ظروفك.

(2)

وفي اليوم التالي عرض عليّ "**بوارو**" فكرة كانت قد اخترقت ذهني على عدة دفعات. قمت بذلك في شيء من الحذر البالغ؛ لأني كنت أجهل كيف سيكون رد الفعل عنده. بادرت بقولي:

- لقد فكرت، إني بالتأكيد أعلم أني لست النموذج المثالي للإنسان الخارق، بل ولقد لقبتني بالغبي. وفعلا لقد أصبحت أقل من نصف المخلوق الذي كنت عليه قبل ذلك؛ لأنه منذ وفاة زوجتي... توقفت، وعبّر "**بوارو**" عن تعاطفه معي. ثم واصلت قائلا:

- لكني أعتقد أنه يوجد هذا الرجل المناسب. التفكير والخيال والمنبع. كما أنه معتاد أخذ القرارات ويتمتع بخبرة واسعة. أقصد بكلامي هذا "**بويد كارينجتون**"، إنه الشخص الذي يلزمك يا "**بوارو**"، ضع ثقتك فيه واسرد عليه تفاصيل الأمر. وقف "**بوارو**" يتأملني لحظة قبل أن يعلن:
- بالتأكيد لا.
- لماذا؟ إنك لا تستطيع أن تنكر أنه ذكي، أكثر ذكاءً مني بكثير على أيّ حال.
- اطرد هذه الفكرة من ذهنك يا "**هاستنج**". إننا لا نأتمن أحدًا على سرٍّ. ليكن مفهومًا لديك ذلك، وهانا أحذرك رسميًا بألا تذكر ذلك لأيّ إنسان كان.
- حسنًا جدًا، ما دامت هذه هي رغبتك. لكن حقًا "**بويد كارينجتون**"....
- عجبًا!.. إني أتساءل لماذا أراك متأثرًا بـ "**بويد**"؟ وفي النهاية من هو؟ صبي مكتمل معجب بذاته طالما يلقبونه بـ "صاحب الفخامة"، عندما كان محافظًا. إني

معك في الرأي بأن له بعض السحر، إلا أنه ليس متميزًا في شيء أو خارقًا كما تصفه، أؤكد لك ذلك. وعن ذاكرته فهي ضعيفة جدًا، بحيث إنك إذا سردت عليه قصة، فهو يوافيك بها هي ذاتها بعد حين. أتعتبره إذن شخصًا خارقًا؟ لا بالمرة. إنه شيء منتفخ أيْ شخص مغرور.

حقًا كانت ذاكرة "**بويد**" ضعيفة جدًا. ولقد تذكرت أنه بتصرفه الأخرق ترك أثرًا سيئًا عند "**بوارو**". كان "**بوارو**" قد حكى له قصة عندما كان في الشرطة البلجيكية، ثم بعد يومين فقط – عندما كنا مجتمعين بالحديقة – كان "**بويد**" قد سرد القصة نفسها على "**بوارو**" مدعيًا أنه سمع هذه القصة عن رجل شرطة باريسي.

لم ألح ولم أدافع عنه بل استأذنت من الصديق العجوز.

(3)

نزلت إلى الحديقة فوجدتها خالية من الناس. اخترقت الخضرة، ثم مجموعة أشجار وصعدت إلى مرتفع تنمو عليه الأعشاب، ووجدت أعلاه مستنبتًا زجاجيًا في حالة سيئة. جلست على أحد المقاعد وأشعلت غليوني واسترسلت في التفكير. تُرى، من في "**ستيل**" قد يكون له دافع إلى اغتيال أحدٍ ما؟ بعد التفكير لم أجد أحدًا من هذا النوع، وما كان يسبب لي الضيق هو أني لم أتزوّد بمعلومات كافية عن الأفراد المحيطين بي. ما هي الدوافع الأساسية للجريمة خاصة جريمة الاغتيال؟ أهو المال، أم الغيرة، أم الانتقام؟

على ما يبدو يعتبر "**بويد**" الرجل الوحيد الموهوب ضمن فريقنا. والثري أيضًا، وإذا اختفى، فمن الذي سيرث أمواله وممتلكاته وكل ثروته؟ تُرى، هل يكون أحد نزلاء "**ستيل**"؟ كنت أرى أن احتمال ذلك ضعيف جدًا.. غير أنها نقطة تحتاج إلى إيضاح. لقد كان في وسعه أن يهب ماله للأبحاث وأن يوصي "**فرانكلين**" بتنفيذ الوصية. وكان ذلك مضافًا إلى ملاحظات الدكتور الخاصة بنظريته بالنسبة إلى القضاء على نسبة 80% من الجنس البشري والتي قد تضع "**بويد كارينجتون**" في موقف خطير.

ومن الممكن أن يكون القائد "**ليتريل**" والآنسة "**كول**" ذويْ قرابة من الدرجة الثانية أو الثالثة والتي هي كفيلة باستحقاق الإرث. وكذلك القائد "**ليتريل**" الذي كان صديقًا قديمًا لـ "**بويد**"، ألا يستطيع هو أيضًا أن يظهر على وصية البارون الصغير؟ وهكذا أخذت أتخيل إمكانات أخرى. وكانت السيدة حرم "**فرانكلين**" مريضة؟ لكن ما هو أصل مرضها؟ أمن الممكن أن تموت بسبب تأثير سم بطيء كان قد وضعه لها زوجها؟! إذ كان في إمكانه ارتكاب مثل هذا العمل بصفته طبيبًا، لكن تُرى، ما هو المحرِّك والدافع؟ اعترتني حينئذ فكرة مفزعة فور التفكير في أنه من الممكن أن يكون لـ "**جوديت**" دخل في الموضوع. كانت عندي أسباب جيدة، عاطفية أكثر. وكذلك بمعرفة أن علاقتها بـ "**فرانكلين**" كانت صلة مهنية محدّدة. لكن، تُرى، هل الرأي العام سيقتنع بهذه الفكرة؟ ألا يشك في الأمر هذا الضابط؟ ضابط الشرطة الغبي؟! ولا جدال في أن "**جوديت**" جميلة جدًّا. والحال هذا، كم من معاونات الأطباء الحسناوات ومنهن ذوات القوام الرائع اللاتي كنّ السبب غير المباشر للعديد من الاغتيالات؟ هذه الفكرة كانت تزعجني.

بعد ذلك وضعت أمامي حالة "**أليرتون**". هل لأحد الأفراد مبرر للعمل على اختفائه؟ وإذا كان لا بد من حدوث جريمة قتل – كما كان "**بوارو**" يتوقع – لفضّلت أن تكون الضحية "**أليرتون**". وقد يكون من السهل إيجاد أسباب أو مبررات كثيرة لقتله. وكانت الآنسة "**كول**" – على الرغم من أنها ليست في أولى مراحل الشباب إلا أنها كانت جميلة جدًّا ومن الممكن تخيلها مدفوعة بالغيرة، واحتمال أنها كانت في فترة ما صديقة "**أليرتون**". من جانب آخر، ماذا لو كان "**أليرتون**" هو الشخص "س" السر الغامض؟

حركت رأسي علامة لنفاد صبري. لم يفدني كل ذلك بشيء. فجأة جذب انتباهي صوت خطوات على الحصى، أسفل مني. لقد كان "**فرانكلين**" متجهًا نحو المنزل، واضعًا يديه في جيبيه، خافضًا رأسه. كان يبدو حزينًا، مهزومًا. لقد أحسست بأنه تعيس حقًّا. وبينما كنت أتابع خطواته، فوجئت بوجود الآنسة "**كول**" على مقربة مني، ولكي أوضح سبب ما بدا عليَّ من دهشة – قلت لها:

– إني لم أسمع خطوات قِدومك! حينئذ ألقت الفتاة نظرة إلى المستنبت وقالت معلقة:

– هذا أثر قديم.

– وتغطيه خيوط العنكبوت. إذا كنت ترغبين في الجلوس فسأرفع لك الغبار عن المقعد. حدّثت نفسي بأن لي فرصة التعرف أكثر إلى أحد سكان "**ستيل**". وكنت أراقب رفيقتي خلسة في أثناء قيامي بنظافة المقعد. كانت تبلغ من العمر ما بين 35 و40 سنة، ذات وجه صغير وعينين واسعتين جميلتين، كانت تبدو متحفظة. فكرت في أنها لابد وأن تكون قد عانت كثيراً وأنها لا تثق بالحياة، وأحسست بأني مدفوع إلى محاولة معرفة المزيد عن "**إليزابيث كول**"؛ لذلك قلت لها في أثناء قيامي بآخر نفضة بمنديلي لإزاحة الغبار من على المقعد:

– هذا ما تمكنت من القيام به ولا أستطيع القيام بأفضل من ذلك.

– شكرًا. قالت هذا وابتسمت لي ثم جلست وجلست بالقرب منها. سمعت في الحال طقطقة في المقعد، لكن لم يحدث شيء مما كنت أتوقعه. وواصلت الآنسة "**كول**" حديثها قائلة:

– أخبرني، فيم كنت تفكر عند وصولي؟ يبدو أنك كنت في حالة تأمل. أجبت:

– كنت أتطلع إلى السيد "**فرانكلين**". فقالت:

– آه! ولم أجد أي مبرر حتى أوافيها بنتيجة تفكيري، لكني أردفت قائلا:

– لقد بدا لي حزينًا وتعيسًا جدًا. قالت رفيقتي بصوت هادئ:

– نعم، إنه هكذا دائمًا، ألم تلاحظ ذلك قبل الآن؟ أبديت دهشتي وتمتمت ثم قلت:

– صدقيني لا، لم الاحظ، لقد كنت أعتبره إنسانًا لا يهتم إلاّ بعمله.

– وهي حقيقة.

– وفي اعتقادك أن هذا هو سبب تعاسته؟ كان من المفروض بحسب رأيي أن تكون سعادته في ذلك.

– أنا لا أعارض هذا الرأي، لكن على شرط ألا يجد متاعب في هذه الأعمال التي يقوم بها أو حرجًا حتى يكون متفانيًا في العمل. كنت ألقي إليها نظرات حيرة. واصلت كلامها قائلة:

– لقد قُدمت إلى الدكتور "**فرانكلين**" فرصة الذهاب إلى "**إفريقيا**" لمواصلة أبحاثه هناك. إنه رجل مرموق، سبق له القيام بأعمال مهمة في مجال طب المناطق

الاستوائية.

– لماذا لم يسافر؟

– لأن زوجته اعترضت. كانت تشعر بأنها في حالة صحية لا تساعدها على احتمال المناخ هناك. كما أنها كانت ترفض فكرة البقاء بمفردها في "**إنجلترا**". خيّل إليّ أنه سوف لا يسافر بمفرده، نظراً لحالة زوجته الصحية. فاستطردت قائلة:

– هل أنت على دراية بحالتها الصحية يا سيادة القائد "**هاستنج**"؟

– يا إلهي! لا، لكنها مريضة، أليس كذلك؟

– وهي تتلذذ خاصة في مثل هذا الوضع. كانت اللهجة جافة وكان من السهل إدراك أن كل هذا التعاطف الصادر عن الآنسة "**كول**" موجّه إلى الزوج. أردفت متردداً:

– أعتقد أن النساء ذوات الصحة الرقيقة يملن إلى الظهور بالأنانية.

– بالتأكيد، إن المرضى – الحقيقيين – يظهرون أنانيين ومن الصعب العمل على تأنيبهم.

– إذن إنك لا تعتقدين ولا حتى تتوقعي أن حالة السيدة "**فرانكلين**" خطيرة.

– إنه ليس سوى شك. غير أنها – على ما يبدو – تعمل كل ما ترغب فيه في كل الظروف. أردفت قائلا:

– يبدو أنك تعرفين آل "**فرانكلين**" جيداً.

– آه، لا أبداً، إنما كل ما أعرفه عنهم من معلومات فهي من ابنتك؛ لأني لم أقابلهم قبل المجيء إلى هنا سوى مرة أو مرتين. حينئذ فكرت في أن "**جوديت**" تضع ثقتها في الغرباء أكثر من والدها. وواصلت الآنسة "**كول**" كلامها فقالت:

– إنها أيضاً مخلصة لرئيسها في العمل وهي تدين السيدة "**فرانكلين**" على أنانيتها.

– وأنت كذلك تتوقعين أنها أنانية؟

– نعم، لكنني أعرف وجهة نظرها، إني أفهم المرضى، بطريقة عامة، وأعتقد أنه يخضع لزوجته. ومن البديهي أن "**جوديت**" تفكر في وجوب متابعة أبحاثها في هدوء. إن ابنتك خبيرة علوم متحمسة. أجبت بنبرة حزينة:

– أعلم ذلك، ويحدث أحياناً أن تتسبب لي في حزن عميق مع أسىً. وهو ما يبدو

غير طبيعي... يبدو لي أنه كان عليها أن تستريح قليلا وأن تلهو... وأن تعشق أكثر من شاب. على أيّ حال إن مرحلة الشباب هي فترة اللهو والمرح. لا. إنه أمر غير طبيعي. إننا في جيلنا كم كنا نلهو ونغازل... أنتِ تعلمين ذلك ثم – بعد لحظة صمت – أعلنت الآنسة "**كول**" بنبرة فاترة وغريبة:

– لا، لست أدري. حينئذ شعرت بالخزي. كنت – دون انتباه – قد تحدثت وكأنها من جيلي، في حين أنها على ما يبدو أصغر مني بأكثر من خمسة عشر عامًا، وحاولت – جاهدًا – تحسين موقفي، لكنها قاطعتني قائلة:

– لا تعتذر. لقد نطقت بما كنت أريد قوله: لا أدري. كما أني لم أكن ذات يوم شابة كما أني لم ألْهُ قط. أحسست بالحرج بسبب المرارة والتحدي الصادرين عن كلماتها. تمتمت قائلا:

– المعذرة. أبدت ابتسامة فاترة، وأردفت قائلة:

– آه، لا يهم. لا داعي إلى العناد ولنتناول موضوعًا آخر، في الحال غيّرت مجرى الحديث. سألتُها:

– هل تعرفين الأشخاص الآخرين الموجودين هنا؟ قالت:

– أعرف آل "**ليتريل**" منذ طفولتي، يؤسفني أن أرى الزوجين وقد اضطرّا إلى أداء ما يقومان به حاليًا. إني أشفق على الزوج بصفة خاصة لأنه نموذج أنيق. أما الزوجة –في الواقع – فكانت لطيفة أكثر مما كنا نتوقع، إنها حياتها التي جعلتها مقتّرة.

– حدثيني عن السيد "**نورتون**".

– في الحقيقة لا وجود لما يقال عنه بالقدر الكافي. إنه شخص لطيف، خجول إلى حدٍّ ما وربما محدود الذكاء، وكانت صحته من جانب آخر دائمًا معتلة، وكانت والدته غبيّة ومتعسفة، تفرض إرادتها عليه. ولقد توفيت منذ عدة سنوات، وهو يعشق العصافير وسائر الطيور والزهور وأشياء أخرى من هذا النوع. وهو طيب القلب ويرى أمورًا وأشياءَ.

– من خلال منظاره المكبر؟ فابتسمت الآنسة "**كول**" وقالت:

– أنا لم أسرد ذلك بالمفهوم الحرفي، غاية ما في الأمر أقصد بكلامي أنه شديد الملاحظة للأشياء كما هي عادة الأشخاص الهادئين. وهو كريم جدًا، تُرى هل كلامي مفهوم؟

– نعم، إني مدرك ما تقصدين. حينئذ أردفت "**إليزابيث كول**" قائلة:

– وهو ما يعمل على الإحساس بالاكتئاب في بعض الأماكن كما هو الحال هنا. وكانت نبراتها تحتوي على الأسى من جديد.

يلاحظ أن أغلبية الذين يُقبلُون على الإقامة في الفنادق الصغيرة التي تديرها العائلات هُم المنتمون إلى الطبقة الطيبة، الذين لم يصلوا إلى أهدافهم في الحياة، المحطمون وذوو القلوب الحزينة. أنا ذاتي كنت وحيداً ومحطَماً، وهذه الفتاة الموجودة بالقرب مني في هذه اللحظة كانت هي أيضاً امرأة تعاني المرارة وخيبة الأمل. كذلك الدكتور "**فرانكلين**" كان قد رأى مشاريعه تنهار وزوجته كانت مريضة، و "**نورتون**" هذا الشخص الهادئ الذي يكتفي بتأمل العصافير من خلال منظاره المكبر و... "**بوارو**" مَن كان شخصيةً بارزة لا يهدأ فيما مضى أصبح حاليًا عجوزاً أشبه بالمعوَّق. كم كانت الأمور مختلفة فيما مضى عندما وفدتُ للمرة الأولى إلى "**ستيل**"! عندما شاهدت ذلك أطلقت زفير ندم. حينئذ سألتني رفيقتي:

– ماذا في الأمر؟

– لا شيء. غاية ما في الأمر لقد أقمت هنا في مرحلة شبابي وهانذا أقارن بين الأيام السالفة وأيامنا هذه وأرى هذا التناقض.

– لقد فهمت. وهأنا أتخيل أن الناس كانوا ينعمون بالسعادة في تلك الفترة. تحققت من أني نادم على الماضي وليس على الأحداث ذاتها؛ لأن السعادة الحقيقية لم تكن قائمة في "**ستيل**". تذكرت الأحداث الحقيقية دون أي تعاطف. كما كان صديقي "**جون**" وزوجته تعيسين، وقد خاب أملهما، وهما يعانيان هذه الإقامة التي فرضت عليهما. كان "**لورانس**" غارقًا في حزنه. و "**سينتيا**" كذلك... و"**إنجيلتيروب**" كان قد تزوج بسيدة ثرية من أجل ثروتها وكانت أكبر منه سنًّا، لا... لم يكن في "**ستيل**" من عرف السعادة. وحتى حاليًّا "**ستيل**" منطقة لا تجلب الحظ لسكانها. قلت:

– يبدو أنني انسقت إلى مشاعر زائفة. في الحقيقة لم يشعر أحد منا بالسعادة هنا. ولا حتى حاليًا، إننا لسنا سعداء.

– ابنتك...

– ولا حتى "**جوديت**" ، فهي أيضًا ليست سعيدة، وكنت قد صارحت بذلك وأنا كلي ثقة بما أقوله. لا.. لا "**جوديت**" ليست سعيدة. ثم استطردت قائلا:

– وأيضًا لقد أخبرني "**بويد كارينجتون**" ذات يوم أنه هو أيضًا لا يشعر بالسعادة، بل يشعر بأنه وحيد، غير أنه بدا لي أنه يجد متعة في مراقبة هذا المنزل ونزلائه.

– إن السيد "**ويليام**" يختلف عن الآخرين. وهو لا ينتمي إلى هذه المجموعة الصغيرة. إنه وافد من الخارج، من مجتمع يعرف فيه الاستقلال والنجاح. وهو شخص لاقى نجاحًا في حياته وهو يعرف ذلك جيداً... كما أنه غير معوَّق. وقد أحسنت اختيار هذه الكلمة، التفتُّ إليها ملقيًا إليها نظرة حيرة، سألتها:

– لماذا استخدمتِ هذه العبارة؟ قالت:

– لأنها الحقيقة. على أيّ حال، فيما يخصني، أنا شخص معوَّق.

– هل يجب أن أستخلص أنكِ لم تنعمي بالسعادة أنت أيضًا. سألتني بلهجة هادئة:

– إنك تجهل من أنا، أليس كذلك؟

– ربي! إني أعرف اسمك...

– "**كول**" ليس اسمي.... أقصد أن هذا الاسم كان اسم والدتي ولقد أصبح لي... وبعد ذلك...

– بعد ذلك؟

– نعم، لأني أدعى في الحقيقة "**ليتشفيلد**" . عجزت عن الربط بين هذه الأسماء في الحال. هذا الاسم كان مألوفًا لي ليس إلا. ثم تذكرت. وتمتمت قائلا:

– "**ماتيو ليتشفيلد**" ؟ فاومأت بـ "نعم" بإشارة من رأسها.

– أرى أنك على دراية بالأمر، وهانت قد أدركت حاليًّا ما كنت أقصده منذ قليل. لقد كان والدي شخصًا مريضًا وعنيفًا. كان يمنع عنا كل ما هو متعلق بالحياة الطبيعية ولم يكن لنا الحق في الخروج ولا في استقبال الصديقات بالمنزل... كما كان يحرمنا من المال على الرغم من ثرائه... توقفت برهة، رافعة عينيها نحوي، ثم قالت:

– حينئذ أختي... أختي... وتوقفت من جديد.

– أرجوكِ. كفى... لا تواصلي الحديث؛ لأنك تتألمين. لا داعي إلى سرد ذكرى مؤلمة.

– ليس في استطاعتك معرفة كل شيء. "**ماجي**"... شيء لا يُصدَّق. لقد ذهبتْ – وهذا مؤكد – لكي تسلم نفسها إلى الشرطة ولقد اعترفتْ. وحتى حاليًّا يساورني شك في أنها ليست حقيقة، أكاد لا أصدقها. ولست أدري لماذا لم يكن للأمور المجرى نفسه الذي أعلنته.

– تقصدين أن الأحداث كانت متعارضة مع هذا الاعتراف؟

– لا... لا. إنها "**ماجي**" التي... لكن هذا التصرف لا يناسبها... ليست هي. وإذ كنت أشعر بالكلمات تكاد تخرج من فمي، عملت على التحفظ. ولم يكن الوقت مناسبًا لكي أخبر "**إليزابيث كول**": "أنت على حق. إنها ليست "**ماجي**"".

الفصل التاسع

كانت الساعة السادسة تقريبًا عندما رأيت "**ليتريل**" وهو سائر بطول الدرب، متسلحًا ببندقية ذات عيار بسيط، وكان ممسكًا بزوج من الحمام البري كان قد اصطاده. انتفض عندما ناديته باسمه وقد فوجئ لتواجدنا في هذه الأنحاء. إذ أردف:

– آه، ماذا تفعلان هنا؟ إن هذا المستنبت ليس آمنًا، أتعلمان ذلك؟ إنه معرَّض للانهيار بين لحظة وأخرى. وعلى أيِّ حال. إن ملابسكما ستتسخ، خاصة ملابس "**إليزابيث**". أجابت الفتاة:

– لا. لقد أعطاني القائد "**هاستنج**" منديله مضحيًا به لحماية فستاني. تمتم القائد:

– حقًّا، في هذه الحالة، الوضع سليم. فنهضنا واقتربنا منه. بدا لنا شاردًا. استطرد:

– لقد اصطدت هاتين الحمامتين؛ إنهما تتسببان في خسائر جسيمة. قلت:

– أراك صيادًا ماهرًا يا سيد.

– مَن وافاك بهذه المعلومة، لا شكَّ في أنه "**بويد**". كنت كذلك فيما مضى، نعم، لكن لقد تقدم بي العمر وفقدت هذه المرونة. أردفت معلقًا:

– قد يكون بسبب ضعف نظرك.

– لا بتاتًا. إن نظري محتفظ بقوته، حقًّا إني أحتاج إلى وضع نظارة للقراءة؛ لكن هذه الرؤية ليست كاملة. ثم صمت لثوانٍ لكي يكرر بعد ذلك:

– نعم، نظري سليم... لا يهم على أيّ حال. ثم أطلق زفيراً. جالت الآنسة "**كول**" بنظرها إلى المنظر الريفي الجميل المحيط بنا. وقالت متعجبة:

– يا لها من سهرة ممتعة! في هذه الأثناء كانت الشمس تغرب وسط أشعة عبارة عن مزيج من اللونين الذهبي والأحمر القاني، وهي ألوان تبرز لون أوراق الشجر الأخضر الغامق. كانت إحدى الأمسيات الإنجليزية الهادئة، التي يسر المرء عندما يتذكرها في حالة تواجده معزولاً في إحدى المناطق الاستوائية، وهو ما كنت أحاول أن أعبر عنه بأسلوب غير سوي. أيّد القائد قائلاً:

– نعم، إنك على حق، كم من مرّة فكّرت في مثل هذه السهرة، عندما كنت في "**الهند**". فأشرت برأسي علامة الموافقة، ومن جانبه واصل بنبرة مضطربة:

– نعم، أن يستقر الشخص وأن يعود إلى داره... لكن عندما تأتي اللحظة، يحدث ما لا ينطبق على ما كان قد تخيله. حدثت نفسي بأنه لا بد وأن يكون ذلك مطابقًا لحالته. فهو لم يتوقع قط أنه سيكون ذات يوم صاحب فندق صغير، خاضعًا لزوجته. ثم سلكنا من جديد الطريق المؤدي إلى المنزل. لقد وجدنا على هذا الطريق "**نورتون**" و "**بويد**" جالسين تحت الشرفة فذهبنا للقائهما. بينما الآنسة "**كول**" ولجت إلى داخل المنزل. وهكذا تبادلنا الحديث لمدة بضع ثوانٍ. وكان يبدو عليه أنه استرخى. ووافانا ببعض أساليب المزاح. لم يسبق لي مشاهدته بمثل هذا المرح. وأردف "**نورتون**":

– حرارة الجو كانت مرتفعة جداً اليوم؛ لذلك أكاد أن أموت عطشًا.. أردف القائد:

– اسمحوا لي أن أقدم لكم كأسًا. شكرناه وهو ينهض لكي يتوجه إلى حجرة الطعام. كنا في هذه الأثناء جالسين في مواجهة باب النافذة، سمعناه يفتح (البوفيه) لأخذ زجاجة. وما هي إلا لحظات وإذا بنا نسمع صوت فتح صمامها. فجأة سُمع صوت السيدة "**ليتريل**":

– ماذا تفعل يا "**جورج**"؟ جاء رد القائد مجرد تمتمة، لم أستوعب منها سوى بعض الكلمات: الأصدقاء... نشرب كأسًا معًا. مرة أخرى سمع صوت زوجته يدوي معبراً عن ثورتها:

– لن تفعل شيئًا من ذلك يا "**جورج**" . أتعتقد أننا سوف نتمكن من التخلص من ذلك إذا واظبت على تقديم المشروب للجميع؟ إن ما يستهلك هنا يجب أن نحصل على ثمنه . من جانبي إني أحرص على كل كبيرة وصغيرة هنا وإلا قد يؤدي بنا هذا الإسراف إلى الإفلاس، لذلك وجب أن ألاحظ تصرفاتك مثل طفل صغير . حقًا إنك مجرد من التعقل . أعطني هذه الزجاجة يا "**جورج**" أعطني إياها، هأنذا أكرر لك .

تجرأ القائد وأبدى اعتراضه بصوت يكاد ألا يسمع غير أن زوجته قطعت عليه الحديث بجفاء قائلة :

– الزجاجة سوف تعود إلى (البوفيه) يا "**جورج**" . وسمعنا بعد ذلك صوت مفتاح يدور في الكالون .

– ها، لقد تم التنفيذ . ولقد وصل صوت القائد بوضوح إلى مسامعنا .

– إنك تذهبين إلى بعيد يا "**ديزي**" . أنا لا أحتمل تجاوزك الحدود بهذه النسبة .

– أنت، سوف لا تحتمله؟ من أنت حتى تعطيني الأوامر؟ أريد معرفة ذلك . من الذي يدير هذا المنزل؟ أنا . وأنصحك بالا تغفل عن هذه المعلومة . ومرت بضع ثوان قبل أن يعود "**ليتريل**" إلى الشرفة . بدا وكأنه تقدم في العمر، من جانبي أشفقت عليه من قلبي . قال :

– إنني متضايق جدًا يا أصدقائي، لكن يبدو لي أننا مفتقرون إلى الشراب . مع ذلك كان يجب أن يتحقق من أننا لم نتمكن من الامتناع عن الشعور بصدى المشهد الذي تم . ولقد تسرع "**نورتون**" عندما أعلن أنه لا يرغب في تناول أيّ مشروب قبل العشاء . ثم غيّر مجرى الحديث وأخذ يوجه ملاحظات مختلفة، أما أنا فقد شعرت وكأني مشلول و "**بويد**" – وكان الوحيد الكفيل بإنقاذ الموقف – لم يتمكن من السيطرة على الموقف أو انتهاز الفرصة .

لمحت حرم "**ليتريل**" وهي نازلة بخطى سريعة إلى أحد ممرات الحديقة، مزودة بقفاز من الجلد وبمعزق لانتزاع الأعشاب؛ كانت حقًا سيدة ذات إرادة قوية تعمل ما ترغب فيه . غير أني – أعترف بذلك – أحسست نحوها بشيء من الحقد . لأني موقن أنه ليس من حق أيّ إنسان أن يعمل على إذلال غيره من بني البشر .

وهكذا كان "**نورتون**" يواصل حديثه . كان قد تناول واحدة من الحمامتين اللتين

كان قد وضعهما في مكان قريب من "**ليتريل**" وأخذ يشرح لنا كيف أنهم سخروا منه عندما شعر بميل للقيء مع غثيان عندما رأى منظر أرنب مسلوخ. تحدثنا بعد ذلك عن مختلف الأحداث التي من نفس النوع. وتنحنح "**بويد**" ثم قال:

– حدث ذات مرة شيء عجيب جداً لأحد الضباط المرافقين لي. وكان قد توجه إلى "**أيرلندا**" سعياً إلى الحصول على تصريح. ولما سألته عند عودته إذا كان قد وفق في مهمته، قال: "بالتأكيد يا سيدي، إنها أجمل إجازة قضيتها في حياتي". وإذ فوجئت بما شاهدت عليه من حماس شديد أجبته: "غاية ما يسرني.. إجازة ممتعة". قال: "لقد قتلت أخي" فصحت "ماذا تقول؟ قتلت أخاك؟!" فأجابني "نعم يا سيدي الفاضل. قد مضت لي سنوات عديدة وأنا منتظر هذه الفرصة. ولقد نجحت هذه المرة. عندما كنت على أحد الأسطح شاهدته يمر أسفل العقار. وكانت بندقيتي معي. وكانت أجمل ضربة وأقواها. لقد أرديته مثل أرنب. لحظة رائعة، لن أنساها أبداً. كان "**بويد**" يجيد سرد القصص. فانطلقنا في الضحك. وعندما ابتعد معلناً أنه ذاهب للقيام ببعض التمرينات الرياضية، عبر "**نورتون**" عن رأينا المشترك فيه قائلا:

– إنه حقًّا شخص نادر، رائع. أردف "**ليتريل**" بدوره قائلا:

– حقًّا إنه شخص ممتاز. واستطرد "**نورتون**" قائلاً:

– وأعتقد أنه نجح في جميع المجالات. إنه يكلل بالنجاح في كل ما تمتد إليه يداه. إنه شخص يقظ ونشيط. قال "**ليتريل**":

– هناك بعض الأفراد، ينجحون في كل ما يعملون، وكأنهم معصومون من الخطإ... نعم إن بعض الأشخاص فعلا ينعمون بالتوفيق في حياتهم. حينئذ هزّ "**نورتون**" رأسه على ثلاث دفعات قائلا:

– لا، ليست مسألة حظ. إن مصيرنا يا سيد "**بروتوس**" ليس في الأبراج إنما داخلنا. فتنهد القائد وهو يقول:

– ربما تكون على حق. أردفت قائلاً:

– على أية حال فهو محظوظ بحصوله على أملاك عمه. ومن المفروض أن يتزوج ثانية. سيشعر بالارتياح في هذا المنزل الفسيح وهو بمفرده. ضحك "**نورتون**" وقال متعجباً:

– يتزوج للمرة الثانية؟ وإذا كانت زوجة من النوع المتسلط؟ كانت ملحوظة من الممكن أن تصدر عن أيّ شخص كان، لكنها كانت غير مناسبة في مثل هذه الظروف وتحقق "**نورتون**" من أنه تسرع في الكلام لذلك تلعثم وارتبك وأخيراً سكت، وهو مازاد من خطورة الموقف. حاولت إنقاذ الموقف بالتعليق على غروب الشمس وهذا اللون المائل إلى الحمرة. وتمتم "**نورتون**" معلناً أنه يرغب في لعب البريدج بعد العشاء. غير أن القائد لم يبدِ أي اهتمام لتعليقنا هذا. قال:

– لن يحدث ذلك لـ "**بويد كارينجتون**". إنه ليس الشخص الذي يخضع لسيدة إنه رجل بمعنى الكلمة. وكان موقفاً محرجاً؛ من جانبه واصل "**نورتون**" الحديث عن البريدج. في الوقت نفسه مرت حمامة ضخمة أعلى رؤوسنا واستقرت على شجرة. تناول القائد بندقيته.

– مَرَّة أخرى، هذه الحمامة القذرة. لكن الحمامة كانت قد عادت إلى تحليقها في الجو، قبل أن يصوب إليها. طارت واحتمت في مكان آمن، لا يستطيع أحد أن يصوب عليها منه. في تلك اللحظة استرعى انتباه "**ليتريل**" شيء آخر، كان هذا الشيء يتحرك على المنحدر في نهاية الحفرة. صاح:

– يإلهي. أرنب يقرض جزر إحدى شجيراتي المثمرة على الرغم من أني وضعت سياجاً حولها. واكتنف بندقيته بسرعة وضغط على الزناد. ولمّا سمع صوت امرأة تشكو. سقطت البندقية من يدي "**ليتريل**" وكاد يسقط هو ذاته.

– يإلهي! إنها "**ديزي**"... أسرعنا إليها... إنها زوجة "**ليتريل**". كانت جاثية لانتزاع بعض الأعشاب من حول شجرة مثمرة في اللحظة التي أطلق فيها النار. كان العشب مرتفعاً وقد رجحت أنه لم يلمح زوجته. لقد أصيبت الزوجة في كتفها، رفعت عيني نحو "**نورتون**" بعد أن تفحصت الجرح. وجدته مستنداً إلى شجرة، شاحباً يكاد أن يغشى عليه. تمتم:

– لا أستطيع مشاهدة الدماء وهي تسيل منها. قلت بنبرة جافة:

– استدع "**فرانكلين**" فوراً أو حتى الممرضة. انصرف جرياً. وكانت الآنسة "**كرافين**" أول من وصلت. عملت في الحال على إيقاف النزيف وأتى من بعدها "**فرانكلين**". حملا معاً المرأة الجريح إلى المنزل وصعدا بها إلى حجرتها. قام الطبيب

بتطهير الجرح وتضميده، ثم استدعى طبيب السيدة "**ليتريل**" الخاص. قابلته في القاعة في اللحظة التي كان يضع فيها سماعة التليفون. سألته:

– هل الحالة خطيرة؟

– لا، ستعافى منها بلا ألم، حمداً لله، الإصابة لم تلحق بأيّ عضو من أعضائها. لكن، كيف حدث ذلك؟ سردت له سبب الحادثة وكيفية وقوعها. قال:

– آه. لقد فهمت. أين "**ليتريل**" في هذه اللحظة؟ لا شك في أنه منهار، أتوقع ذلك. وهو بالتأكيد يحتاج إلى عناية مثل زوجته. إنه يتمتع بقلب رقيق. وجدنا القائد في حجرة التدخين، كان شاحبًا وشفتاه بلون ضارب إلى اللون البنفسجي. كما أنه كان يبدو مضطربًا. تمتم الزوج:

– كيف حالها؟ طمأنه الطبيب في الحال:

– اطمئن الحالة بسيطة جدًّا.

– ظننته أرنبًا.... لست أدري كيف... قمت بهذه الغلطة، لا شك في أن الضوء وقت الغروب أعمى عينيّ... و... أردف الطبيب بنبرة جافة:

– كثيراً ما تحدث مثل هذه الأمور. لقد شاهدت حالتين أو ثلاث حالات من هذا النوع. سأعطيك دواءً مهدئًا...

– لا، أنا في أحسن حال. أفي إمكاني أن أراها؟

– ليس في الحال. سوف يتواجد الدكتور "**أوليفييه**" هنا من حين إلى آخر وعندي كل الثقة بأنه سيكون له الرأي نفسه. تركت الرجلين معًا وخرجت إلى الحديقة. كانت "**جوديت**" و "**أليرتون**" يسيران في الاتجاه نفسه الذي أسلكه. وكان الشاب يميل برأسه على رأس ابنتي وكلاهما يضحكان، الأمر الذي أثارني خاصة بعد هذا الحادث المؤسف. ناديت ابنتي بنبرة جافة. رفعت عينيها في دهشة. وتقدمت نحوي. سردت لها باختصار ما قد حدث منذ قليل. قالت:

– أمر عجيب. وكانت هذه الكلمات هي كل ما علّقت به على مثل هذا الموقف. شعرت بأنها لم تتأثر كما كان يجب أن يكون شعورها إزاء هذا الحادث. أما ردة الفعل عند "**أليرتون**" فإنه قد اعتبر ذلك مزاحًا وأردف معلقًا:

– يخيل إليّ أن هذا العجوز تعمد القيام بما حدث. فصحت فيه فوراً:

– بالتأكيد لا. إنه حادث مؤسف.

– أعرف جيداً هذا النوع من الحوادث. إنه متعمد.

– لا تكن واثقًا إلى هذا الحد. لقد عرفت زوجين قتلا زوجتيهما، أحدهما كان ينظف مسدسه والآخر أطلق الرصاص على سبيل المزاح. ودفاعًا عن نفسه قال إنه كان لا يعرف أن المسدس كان محملا. وكلٌّ منهما برّأ ذاته. أردفت معترضًا:

– القائد "**ليتريل**" ليس من هذه الفئة من الناس.

– لكن عليك أن تعترف بأن مثل هذا الحادث يمنحه ارتياحًا. أما تشاجرا قبل هذا الحادث ولو مصادفة؟ وإذ شعرت بالارتباك، عدت على عقبيّ. هل يتكلم "**أليرتون**" بالحقيقة؟ ولأول مرَّة تسلل الشك إلى ذهني. ولقائي بـ"**بويد**" قد لا يفيد في العمل على تحسين الموقف، كان عائداً من نزهته وعندما وافيته بما حدث سألني في الحال:

– إنك لا تصدق أنه أراد أن يقتلها، أليس كذلك؟ صرخت:

– أرجوك.

– المعذرة، كان لا يجب أن أنطق بمثل هذا الأمر... تساءلت... تذكر أيضًا أنها كثيراً ما كانت تثيره. التزم كلانا الصمت لبضع ثوانٍ وكل منا يتذكر المشهد الذي تم أمامنا، وبعد ذلك وقد ازدادت مخاوفي وهمومي عدت إلى المنزل وقرعت باب "**بوارو**"، كان قد أحيط علمًا من "**كورتيس**" بما حدث، لكنه كان ينتظر تفاصيل أخرى بفارغ الصبر. وكنت قد اعتدت منذ وصولي إلى "**ستيل**" أن أوافيه بكل مايدور في أحاديثي مع الآخرين. وكان يساورني إحساس بأن العجوز المسكين يشعر – بتصرفي ذلك – أنه ليس معزولا عن العالم. كما أنه كان يمنحه إحساسًا باشتراكه في الحياة اليومية في منطقتنا. كنت دائمًا أتذكر كل شيء لأن ذاكرتي قوية. استمع إليّ بكل انتباه. وأتعشم أن تزول من ذهني الفكرة التي كانت راسخة فيه. لكنه لم يجد الوقت الكافي لموافاتي برأيه لأننا سمعنا قرعات على الباب. كانت الآنسة "**كرافين**" دخلت واعتذرت لإزعاجنا ووضحت سبب مجيئها:

– ظننت أن الدكتور هنا. لقد أفاقت السيدة "**ليتريل**" وهي قلقة بشأن زوجها. إنها تطلب مشاهدته، هل تعرف أين هو يا سيد "**هاستنج**"؟ عن نفسي أنا لا أستطيع ترك مريضتي. اقترحت الذهاب للبحث عن القائد وأيدني "**بوارو**" بإيماءة من رأسه. ومن جانبها شكرتني الممرضة بحرارة.

عثرت على "**ليتريل**" في حجرة طعام صغيرة نادراً ما تستخدم. كان واقفًا بالقرب من النافذة، شاخصًا إلى الحديقة، التفت فور دخولي ملقيًا إليّ نظرات استجواب، والخوف بادٍ في عينيه. أعلمته قائلاً:

– لقد أفاقت زوجتك وهي تطلب مشاهدتك. حينئذ علت الحمرة وجنتيه، فتحققت من أني لم أره قبل الآن بمثل هذا الشحوب. تمتم قائلا:

– إنها.. إنها تطلبني؟ حالا.. حالا، سأحضر حالا. قال هذا واتجه نحو الباب بخطى متوترة، وكان يترنح بشدة، فاضطررتُ إلى مساندته. كان يضغط على ذراعي وارتقينا السلم معًا. وكان يتنفس بصعوبة، حينئذ أدركت أن الصدمة التي كان يتوقعها الدكتور "**فرانكلين**" كانت قاسية. فور قرعي باب الحجرة التي تقيم فيها السيدة "**ليتريل**"، سمع صوت الآنسة "**كرافين**":

– ادخل. دخلنا إلى الحجرة واجتزنا الساتر الذي يحجب السرير إلى منتصفه. كانت السيدة ترقد على فراشها شاحبة، وعيناها مغلقتان. فتحتهما عندما شعرت باقترابنا وتمتمت وهي تلهث:

– "**جورج**"... "**جورج**".

– "**ديزي**" عزيزتي... كان أحد ذراعي السيدة "**ليتريل**" مضمداً وبلا حركة، وبالذراع الآخر أشارت إلى زوجها لكي يقترب. تقدم هذا الأخير وتناول يد زوجته. كرر:

– "**ديزي**". حولت رأسها نحوه ولمحت ما بدا في عينيه الدامعتين من قلق وحنان. وخجلت مما صدر عنا من شكوك وتوقعات وخرجت من حجرته وكلي ارتياح. سرت بطول الدهليز، عندما سمعتُ صوت جرس إعلان وجبة العشاء في الموعد المعتاد، فوجئت لأني كنت قد غفلت عن الموعد بعد هذا الحادث، لكن الطاهية لم تتأثر وواظبت على إتمام عملها، أغلبية الأفراد كانوا حتى هذه اللحظة لم يبدلوا ملابسهم والقائد لم يظهر. وبالعكس كانت السيدة "**فرانكلين**" قد نزلت إلى حجرة الطعام. مشرقة في فستانها الوردي الأنيق... لكن زوجها كان يبدو مهموماً.

مرَّة أخرى بعد العشاء، أحسست بالضيق عندما لاحظت اختفاء "**أليرتون**" و"**جوديت**" معًا في الحديقة. قضيت لحظة جالسًا للاستماع إلى "**فرانكلين**"

و"**نورتون**" وهما يتناقشان في أمر الأمراض الاستوائية. كان "**نورتون**" مستمعًا ظريفًا ومهتمًّا حتى عندما يفتقر إلى قدر كافٍ من المعلومات الخاصة بموضوع الحديث. وكانت السيدة "**فرانكلين**" تتبادل الحديث مع "**بويد**" في الطرف الآخر من الحجرة، كان "**بويد**" يريها رسومًا لستائر ويطلب رأيها في نوع القماش المناسب لها.

كانت "**إليزابيث كول**" ممسكة بكتاب ومنهمكة في القراءة. فكرت في أنها قد تكون محرجة لتواجدي. أردت أن أطمئنها بأني حريص على عدم إفشاء أسرارها التي ائتمنتني عليها، لكني لم أجد الفرصة المناسبة لذلك. مرة أخرى صعدت إلى حجرة "**بوارو**"، هناك وجدت "**ليتريل**". كان "**بوارو**" يصغي إليه باهتمام، لكني أحسست وكأن القائد يحدث ذاته أكثر من أنه يوجه الكلام إلى محدثه.

– أتذكر جيداً... نعم، كان ذلك في حفل راقص، كانت ترتدي فستانًا أبيض من التل (على ما أعتقد) فضفاضاً يدور حولها، وأنت تعلم أنها كانت فتاة جميلة. فاستسلمت لسحرها فوراً. وحدثت نفسي في تلك الليلة عندما عدت إلى منزلي "هذه هي التي سأتزوجها". كانت جذابة بما لها من حركات إغراء وخفة. ثم كتم ضحكة خفيفة. ثم واصل كلامه قائلاً:

– ولقد كانت دائماً عنيدة. تخيلت حينئذ "**ديزي ليتريل**" في بداية زواجها. بالتأكيد كانت رائعة الجمال، لكنها تطورت مع تقدم العمر. في تلك الأمسية كان يفكر في تلك السيدة الشابة وهي في أوج جمالها، وفي مرحلة حبها الأول وفي حبه الأول... هذا ما كان يفكر فيه القائد العجوز. شعرت في البداية بالخجل لمجرد فكرة ما قصدناه قبل ذلك. وعندما انسحب "**ليتريل**"، بدأت في سرد القصة إلى "**بوارو**" الذي كان يصغي إليّ دون أن يقاطعني. بعد أن انتهيت من سردها، قال لي:

– إذن لقد ظننت أن الطلقة قد صدرت قضاءً وقدراً على السيدة "**ليتريل**".

– أعترف بذلك. والآن، لقد شعرت بالخجل، لكن حاليًّا عمل "**بوارو**" على محو شكوكي، بحركة من يده.

– وهذه الفكرة أتتك فجأة أم أن أحدهم اقترحها عليك؟ تمتمت ثم قلت:

– كان "**أليرتون**" قد نطق بما يعني ذلك. ليس هناك ما يدهش من جهته بداهةً.

– ولا أحد غيره؟

- "**بويد كارينجتون**" هو أيضًا كانت له وجهة النظر نفسها.
- آه! "**بويد كارينجتون**".
- إنه رجل يحب الحياة وذو خبرة.
- بالتأكيد بالتأكيد. لكنه لم يحضر الحادثة، أليس كذلك؟
- لا، لأنه كانَ قد ذهب لتبديل ملابسه قبل تناول العشاء.
- أفهم ذلك. ثم استطردت قائلا:
- لا أظن أنه اتجه نحو هذه النظرية. إنما كان... قاطعني "**بوارو**":
- لا فائدة من الندم على شكوكك يا "**هاستنج**". وهذه الفكرة قد تساور أيّ شخص كان، وكان ذلك أمرًا طبيعيًّا.... وكانت تبدو عليه علامات التحفظ، كما كان يراقبني بنظرات غريبة. أجبت:
- لا شك في ذلك. لكن عندما أرى حاليًّا إلى أيّ مدى يحب "**ليتريل**" زوجته ويخلص لها... حينئذ أردف "**بوارو**" قائلاً:
- بالضبط. وهو دائمًا الوضع نفسه. لا تنسه، وراء الخلافات والمشاجرات والعداوة الظاهرة يوميًّا من الممكن أن تكون هناك - وكثيرًا ما يحدث ذلك - مودة حقيقية. اتفقت معه على هذه النقطة. وتذكرت نظرة زوجة "**ليتريل**" الحانية عندما مال زوجها على سريرها. لقد زال الحقد والضجر أو المزاج السيئ. وعندما دخلت إلى حجرتي فكرت في أن الزواج حقًّا شيء عجيب، لكنني شعرت بالارتباك لنظرة "**بوارو**" الغريبة. وكأنه ينتظر أن أرى... لكن ماذا أرى؟

ثم بعد قليل، في اللحظة التي دخلت فيها إلى مخدعي، أدركت كل شيء. لو كانت السيدة زوجة "**ليتريل**" قتلت لتقدم الموضوع مثل الحوادث الأخرى. القائد قاتل زوجته ظاهريًّا وبالتالي تحسب حادثة غير أنه ليس من يستطيع البت في أمر مقتل الزوجة. والآن، ما معنى ذلك؟

هذا يعني أن المسؤول الوحيد لم يكن القائد، إنما "س" مع ذلك قد يكون مستحيلاً. لقد كنت شاهداً وأعلم يقينًا أن "**ليتريل**" أطلق الرصاص ببندقيته. ومن الممكن احتمال وجود شخص قد انتهز فرصة إطلاق "**ليتريل**" رصاصة من بندقيته على أرنب، فقام هو - مستغلا الفرصة - بقتل السيدة "**ليتريل**". وفي تلك الظروف كافة سوف يسمع صوت طلقة واحدة وحتى لو سُمع صوت طلقتين لنُسب ذلك إلى

صدى الصوت والحال هذا – بالتفكير الجيد – بدا لي أنه كان هناك صدى صوت.

لكن لا. كل ذلك كان غامضاً. في أيامنا هذه توجد وسائل لتحديد السلاح الذي تمت به الجريمة؛ لأن الماركات مسجلة على الطلقات والشرطة تستخدم هذا الأسلوب. وحتى لا يرتاب القائد.أو يشك في أنه أطلق الرصاصة لا إراديًا، من الممكن الالتجاء إلى هذه الوسيلة. ويبقى الشك فيما إذا كانت الجريمة تمت عمداً أم أنها لحظة مشؤومة أدت إلى ما حدث.

بناءً على ذلك يصبح الأمر مطابقًا للحوادث الأخرى... لقضية "**ريجس**" الذي كان لا يتذكر أنه ارتكب الجريمة إنما يعتقد أنه ارتكبها؛ لقضية "**ماجي ليتشفيلد**" التي سلمت نفسها كسفاحة لجريمة قتل لم ترتكبها. نعم، إن هذا الموقف لا يختلف كثيراً عن الحوادث الأخرى. والآن، أصبحت أكثر إدراكًا لموقف "**بوارو**".

الفصل العاشر
(1)

استأنفت المناقشة مع "**بوارو**" منذ صباح اليوم التالي وكان يؤيد كلماتي بإشارات من رأسه وعندما أنهيت كلامي، استنار وجهه، وقال:

– يا سيدي الفاضل "**هاستنج**"، كنت أتساءل عما إذا كنت ترى التباين. لكني لم أشأ اقتراحه عليك.

– إذن أنا لم أخطئ: هانحن نواجه عملا آخر من "س".

– بلا شك.

– لكن لماذا؟ وما هو الدافع لذلك؟ حكّ "**بوارو**" رأسه وقد بدا مستغرقًا في التفكير، أردفت ملحًا:

– ألا تعلم؟ أليست لك فكرة عن ذلك؟ أجابني بعد فترة صمت:

– بلى. عندي فكرة.

– هل وجدت الصلة بين هذه الأحداث؟

– أعتقد ذلك.

– وبعد؟

– لا يا "**هاستنج**" .
– مع ذلك يجب أن أعلم.
– بل من الأفضل أن تبقى فيما أنت عليه من الجهل بالأمر.
– ولأي سبب؟
– السبب الوحيد هو أن تضع ثقتك فيَّ. فصحت:
– إنك حقًّا ممل. أراك وأنت هنا في مقعدك بلا حركة، تسعى إلى أن تكون المحرك الوحيد.
– لا تفكر في ذلك. بالعكس إنك أنت مركز العملية، أنت عيناي وأذناي. وأنا لا أرفض منحك بعض المعلومات خشية أن تكون خطيرة وضارة بك.
– يخيَّل إليَّ أنك لا ترغب في أن يعرف المجرم أنك تلاحقه؛ لكن أتعتقد أني لست كفيلا بحماية نفسي؟
– عليك أن تتذكر أمرًا يا "**هاستنج**" : إن من يقتل مرَّة لا يخشى من تكرار هذه الجريمة. أردفت قائلاً:
– لكن في الوضع الحالي، لا وجود لجريمة.
– وهو من حسن الحظ حقًّا، وكما سبق وأخبرتك بأنه من الصعب احتمال وقوع هذه الحوادث. قال هذا وأطلق زفيرًا وقد بدا مهمومًا. انصرفت وأنا موقن – والحزن يخيم عليّ – أن "**بوارو**" أصبح من الآن فصاعداً عاجزًا عن القيام بأي مجهود. كان ذهنه محتفظًا بقوته، لكن بدنه كان قد تهالك. كان قد أوصاني ألا أسعى إلى الدخول في أعماق شخصية "س" ؛ لكني كنت متوقعًا أني في طريقي إلى اكتشاف شخصيته. ولا يوجد في "**ستيل**" سوى شخص واحد، يبدو لي أنه مريب، وسؤال واحد يساعدني على التأكد من أمر ما. لا شك في أنه سيكون اختباراً سلبيًّا، لكنه سيأتي بنتيجة. بعد تناول الإفطار عملت على التحدث مع "**جوديت**" بادرتها بقولي:
– من أين كنت آتية مع القائد "**أليرتون**" عندما قابلتكما بالأمس؟ فوجئت لرد الفعل العنيف الذي بدا عند ابنتي. أجابتني:
– في الحقيقة يا والدي، أنا لا أرى ما يخصك في هذا الأمر. تفرست فيها دهشًا:
– إنه مجرد سؤال أنا لم أوجه إليك سوى سؤال، ليس إلا.

– نعم، لكن لماذا؟ لماذا تقضي وقتك في توجيه أسئلة؟ ماذا كنت أفعل؟ إلى أين ذهبت، ومع من؟... أمر مُنَفِّر... وأغرب ما في الموضوع هو أن سؤالي في هذه المرَّة كان لا يخص "**جوديت**" بقدر ما كنت مهتمًّا بتحركات "**أليرتون**"؛ لذلك عملت على تهدئتها.

– حقًّا يا "**جوديت**" لست أدري لماذا يحدث لي أن أكثر من استجوابك ولماذا أسالك عن هذا الأمر.

– وأنا لست أدري لماذا يهمُّك معرفة الرد عليه.

– لا أنا لست متمسكًا بالرد. غاية ما في الأمر أنني كنت دهشًا لعدم معرفتكما بالأحداث التي تجري.

– تقصد ما حدث لزوجة "**ليتريل**". طالما يهمك هذا، فإني كنت قد توجهت إلى المدينة لشراء طوابع بريد.

– ماذا؟ إذن "**أليرتون**" لم يكن معك؟ قالت غاضبة:

– لا، لقد قابلته بالقرب من المنزل. أرجو أن تكون قد سررت للحصول على الرد. وأود أن أؤكد لك أني حتى لو كنت قد قضيت اليوم كله معه، ليس لك شأن في ذلك. لقد بلغت عامي الحادي والعشرين وأصبحت مسؤولة عن جميع تصرفاتي، عن طريقة تفكيري وعن الطريقة التي أقضي بها وقتي؛ لأن ذلك لا يهم أحداً سواي. ولكي أهدئ من ثورتها قلت:

– لقد وثقت حاليًا بأنك على حق يا بنتي.

– يسعدني أن تعترف بذلك. وهكذا بدا لي أنها هدأت لا سيما وأنها ألقت إليّ ابتسامة وإن كانت بها شيء من الحزن. واستطردت قائلة:

– ياإلهي! حاول يا والدي، أن تكفّ عن القيام بدور الآباء النبلاء. إنك لا تقدِّر كم أن هذا التصرف مثير. آه، ليتك لا تهتم بكل صغيرة وكبيرة.

– أعدك بألا أعود إلى مثل هذا التصرف. في هذه الأثناء كان "**فرانكلين**" آتيًا بخطًى واسعة. قال:

– صباح الخير يا "**جوديت**". تعالي، لقد تأخرنا.

لقد بدا حادًّا ملتزمًا وإن كان يبدو مؤدبًا، وعلى الرغم مما كنت أشعر به من ضيق

إلا أني كنت أعلم أنه مادامت ابنتي "**جوديت**" تعمل عنده وأنها تأخذ منه أجراً، أصبح من حقه أن يملي عليها أوامره. حقًا إن هذا الشخص يتعامل مع الآخرين بالإجماع بكل لباقة، لكنه يبدو دائمًا جافًا مع "**جوديت**"؛ لذلك كنت أحدث نفسي بأن هذا السلوك متعارض تماماً مع ما يبديه "**أليرتون**" نحو ابنتي من اهتمام. ليس من شك في أن "**فرانكلين**" يفوق "**أليرتون**" في المستوى الاجتماعي، لكن مقارنتي ليست لهذا المنطلق إنما لما هو مختص باللباقة في المعاملة والمودة والسحر التي يبديها "**أليرتون**" للابنة العزيزة.

وبينما كان "**فرانكلين**" متجهًا نحو معمله، لاحظت كيف أنه خال من كل الصفات المناسبة للياقة البدنية. بالتأكيد، كل قوته مركزة في ذهنه وذكائه. لكن أعتقد أن ابنتي غير كفيلة باكتشاف أو تقييم قيمة "**أليرتون**". وإذا حدث وأعجبت به؟ إن ما بدا عليها من ثورة فهو علامة غير مطمئنة لأن "**أليرتون**" كان شخصًا قذراً. وكان من المحتمل أن يأتي بما هو أكثر من ذلك. ولو كان هو "س" فهذا ليس من المستحيل؛ لأن في لحظة إطلاق الرصاصة على زوجة "**ليتريل**" لم يكن موجوداً مع "**جوديت**" كما كنت متوقعًا في بادئ الأمر. كنت واثقًا بأنه ليس مجنونًا إذ كان يبدو مكتمل الإدراك والوعي، لكن تُرى، ما هو الدافع الأساسي عنده؟! وإن كان يبدو هكذا إلا أنه كان مفتقراً إلى المعنويات والأوهام. والحال هذا، ها هي "**جوديت**" ابنتي كانت تتردد عليه كثيراً.

(2)

حتى ذلك الحين – وإن كنت قلقًا بشأن ابنتي – كان احتمال ارتكاب جريمة من حين إلى آخر قد طرد من ذهني اهتماماتي الشخصية. والآن – وقد فشلت محاولة الاغتيال – أصبح في إمكاني التركيز في السؤال. ولكن كلما تعمقت في التفكير ازداد قلقي. ولقد أفادتني بعض الكلمات العابرة بأن "**أليرتون**" كان متزوجًا. ولقد ألقى لي "**بويد**" مزيداً من الضوء؛ لأنه على قدر كبير من معرفة أخبار الناس. لقد كانت زوجة "**أليرتون**" قد تركته بعد الزواج بعدة أشهر فقط ولما كانت تتبع المذهب الكاثوليكي، رفضت فكرة الطلاق وبإصرار.

– وإذا أخذت رأيي، إن هذا الشخص متوافق تمامًا مع هذا الموقف. كانت نياته لا تتسم بالنزاهة، وزوجته تشير إلى ذلك في الصورة. خبر ممتع – في الحقيقة – بالنسبة إلى أب.

ومرَّت الأيام التالية لهذه الحادثة بلا أيّ أطوار جديدة، غير أن القلق كان يلازمني دومًا. كان القائد "**ليتريل**" يقضي معظم وقته في حجرة زوجته، وكانت قد حضرت ممرضة جديدة منذ فترة قليلة، بحيث أن يكون في إمكان الآنسة "**كرافين**" التفرغ التام لخدمة السيدة "**فرانكلين**". غير أن هذه الأخيرة كانت لا تستحسن الاهتمام بزوجة "**ليتريل**"؛ لأنها كانت تميل إلى أن ينصب كل الاهتمام عليها، كانت تجلس في تراخٍ على مقعد مريح واضعة يدها على ثديها الأيسر، تشكو من اضطراب في ضربات قلبها. كما كانت لا توافق قط على ما يقدم إليها من غذاء إذ إنه كان لا يناسبها لكنها كانت تخفي ذلك تحت قناع الخضوع. وذات يوم قالت لـ "**بوارو**" بأسلوب يدل على الشكوى:

– أنا أمقت التسبب في المتاعب. كما أني أخجل بأن أبدو عليلة؛ لأني أعتقد أن المرض جريمة في حق المجتمع؛ لأنه إن لم يكن الشخص في أتم صحة فهو لا يعتبر ضمن المنتمين إلى العالم الحالي، ويجب أن... أن يعزل في هدوء. حينئذٍ صاح "**بوارو**":

– آه لا، لا يا سيدتي، إن الزهرة الجميلة المجلوبة لها الحق في البقاء في مستنبت بعيد عن العوامل الجوية. لقد أصبحت عاجزًا عن التنقل بمفردي، ومع ذلك لا أفكر في ترك الحياة. كما أني أستفيد بكثير من الأمور: المائدة الجيدة والشراب الممتاز والمتعة الفكرية. أطلقت السيدة "**فرانكلين**" زفيرًا، وتمتمت قائلة:

– الوضع يختلف بالنسبة إليك. إنك لست مسؤولا عن الاهتمام إلا بنفسك، لكن أنا مطلوب مني العناية بالمسكين "**جون**"، ولا أنكر أني عبء ثقيل عليه، مجرد زوجة مريضة وغير نافعة. هل تدرك ذلك؟ حقًّا، ليس على هذا النحو. لكن كم أن الناس واضحون، و "**جون**" لا يعرف كيف يخفي الأمور، فهو شخص واضح. إنه بالتأكيد لا يتعمد أن يكون شرسًا لكنه يبدو مجردًا من المشاعر فهو يفتقر إلى العمق في تفكيره وفي تصرفاته ويجهل أن الآخرين يختلفون عنه وذلك من حسن حظه.

حينئذٍ أكد "**بوارو**" :

- أنا لا أرى الأمور بهذه الطريقة.

- إذن إنك لا تعرف مثلي تمامًا. من البديهي، أني أتوقع أنه قد يشعر بأنه حر التصرف مع عدم تواجدي. وكثيرًا ما أشعر باكتئاب حتى إني أتمنى أن أشعر بالارتياح النهائي.

- لا، لا يا سيدتي لا تنطقي بمثل هذه الأفكار.

- لماذا؟ في النهاية أنا لست نافعة. قالت هذا ثم حكّت رأسها وقد بدت مثقلة بالهموم.

- سأرحل إلى المجهول... و... "**جون**" بذلك يصبح حرًّا. عندما نقلت فيما بعد هذه المحادثة للآنسة "**كرافين**" أعلنت لي بلا حرج:

- كل هذه خرافات. ولن تنفذ شيئًا من كل ذلك، أؤكد لك ذلك. إن أولئك الذين يكثرون من الكلام بلا توقف ليست لهم أبسط نية للتنفيذ. وعليّ أن أعترف بأنه بعد مرور فترة التوتر التي تلت الحادثة التي لحقت بالسيدة "**ليتريل**" وعندما تعود الآنسة "**كرافين**" إلى عملها بالقرب من السيدة "**فرانكلين**"، سوف تتحسن حالة هذه الأخيرة بنسبة ملحوظة.

ثم حدث ذات صباح أن اصطحب "**كورتيس**" "**بوارو**" تحت شجرة ضخمة مجاورة للمعمل، وكان من الأماكن المحببة إلى نفس صديقي العجوز لأنه يحميه من الريح. وكان مناسبًا له تمامًا لأنه يحميه من تيارات الهواء. كان في بدء الأمر يفضل البقاء في المنزل، لكنه أخيرًا وافق على الخروج على شرط أن يتدثر بالغطاء. وفي اللحظة التي لحقت به، كانت السيدة "**فرانكلين**" خارجة من المعمل. كانت تلبس ملابس أنيقة ذات ذوق رفيع كما كانت تبدو مسرورة ومرحة. وافتنا بأنها سوف تقوم بنزهة مع "**بويد**" الذي كان قد طلب منها أن تمنحه نصائح عند اختيار الستائر، كما كان عليهما كذلك التوجه إلى "**كناتون**" لتفقد سير العمليات. ثم أضافت:

- لقد عثرت على حقيبة يدي التي كنت قد نسيتها في المعمل، بالأمس عندما ذهبت للتحدث مع "**جون**". ثم بعد فترة صمت لا تتجاوز الثواني قالت:

- لقد سافر إلى "**تادكاستر**" مع "**جوديث**" لإحضار بعض المستحضرات الطبية الكيميائية التي كان يحتاج إليها. جلست بعد ذلك على أحد المقاعد وحكت

رأسها بشكل مضحك وقالت:

– يا لهما من مسكينين. حمداً لله على أني لست كيميائية... إذ يبدو لي أن مثل هذا الموقف يبدو غير مناسب في مثل هذا اليوم المشرق. أجاب "**بوارو**" ضاحكًا:

– احرصي على ألا تكرري هذه الكلمات لهما.

– لا، بالتأكيد. وفجأة غيرت أسلوبها وعادت إلى جديتها قائلة:

– خاصة أنك يا "**بوارو**" تتصور أني لست معجبة بزوجي. وبذلك تكون مخطئًا.... إني معترفة بأن حياته القاصرة على عمله ليست إلا حياة رهيبة. كان صوتها يرتجف بعض الشيء، من جانبي ساورني شك في أنها تقوم بأدوار مختلفة. وفي الوقت نفسه كانت الزوجة الوفية والمحبة.

– في هذه الحالة، لا شك في أنه كان سيتخذ الاحتياطات اللازمة. حكت السيدة رأسها بابتسامة حزينة وقالت:

– أنت لا تعرفه. ألم تسمع قط عمّا عمل – ذات مرة – بأحد الغازات؟

– لا.

– كان المقصود غازاً يرغبون في معرفة خواصه. وقدم "**جون**" نفسه للتجربة. وأغلقوا عليه –خلال واحد وثلاثين ساعة– صندوقا مليئا بهذا الغاز مع مراقبة نبضه ودرجة حرارته وتنفسه لمعرفة تأثير هذا الغاز في الجسم، وتحديد ما إذا كانت المؤثرات هي نفسها في الإنسان وفي الحيوان. وكانت في ذلك مخاطرة كما صارحني أحد الأساتذة فيما بعد وتمكن "**جون**" من البقاء فيه، لكن قبل كل شيء لقد تقدم "**جون**" بدافع حبه للعلم غافلا حتى عن أمنه وسلامته. عن نفسي أؤكد لك أني لا أستطيع القيام بمثل هذه المغامرة. ثم واصلت:

– "**جون**" نوع قديسي أنت تعلم. الأمر الذي كان يخيفني. إن تشبيه "**فرانكلين**" بقديس فيه شيءٌ من المبالغة. هكذا حدثت نفسي. غير أن السيدة واصلت وعيناها تلمعان:

– إنه كفيل بالقيام بأي شيء والتعرض للمخاطر من أجل نمو وتقدم الفكر البشري، أليس هذا شيئًا جميلاً؟ تمتم "**بوارو**" ثم قال:

– بالتأكيد، بالتأكيد. مع ذلك أجدني أشعر بشيء من القلق بشأنه. إني

أتساءل. . . . إلى أي مدى سيستمر، على سبيل المثال مع هذه الحبة؛ حبة فول "**كالابار**" التي يجري عليها أبحاثه وكم أخشى من أنه يجري هذه التجارب على نفسه. أردف "**بوارو**" معترفًا:

– بالتأكيد لا بد من أن يكون شخصًا شجاعًا للتقدم لمثل هذا التطوع مع رباطة جاشٍ.

– بالتأكيد وأنا فخورة به ومع ذلك فإن تصرفه يثير قلقي؛ لأنه بعد مرحلة معينة بدأت الفئران والضفادع تباد؛ لذلك وجب معرفة التأثير في الإنسان من أجل ذلك أجد نفسي مرتعبة لئلا تقع على "**جون**" مساوئ هذه التجربة. تنهدت السيدة مرة أخرى قبل أن تستطرد قائلة:

– أما هو فما عليه إلا أن يسخر من مخاوفي. إنه فعلا قديس. أؤكد ذلك. حينئذ تقدم "**بويد**" نحونا وقال:

– هل أنت مستعدة يا "**بابس**"؟

– أتعشم ألا تسبب لك هذه النزهة متاعب.

– بالتأكيد لا. إني أشعر بارتياح لم أشعر به من قبل. ثم نهضت وألقت إلينا ابتسامة وانصرفت مع فارسها الخادم. وإذا بـ "**بوارو**" يتمتم:

– هيه. الدكتور "**فرانكلين**" قديس متحضر. أردفت معلقًا:

– تغيير كلي. لكنني أعتقد أنها هكذا.

– كيف؟

– إنها تميل إلى القيام بعدة أدوار أو بالإحساس بانها في مواقف مختلفة، فهي تشعر أحيانًا بأنها الزوجة المهملة التي لا يعرف أحد قدرها. وفي اليوم التالي تقوم بدور السيدة التي تضحي بنفسها وتعلن أنها عبء على زوجها الذي تحبه. استطرد "**بوارو**":

– إنك إذن تظن أن السيدة "**فرانكلين**" غبية إلى حد ما؟

– ياإلهي. أنا لا أقصد ذلك. إنما أقصد أنها ليست على قدر كافٍ من الذكاء.

– آه، بالتأكيد إنها ليست من مستواك. سألته في حمية:

– ما هو مستواي؟ وجاء رد "**بوارو**" بما هو غير متوقع:

– افتح فمك وأغلق عينيك وانظر ما أرسلته إليك الساحرات. عجزت عن الرد

عندما وجدت أمامي الآنسة "**كرافين**". اخترقت مسطحات الخضرة بخطى هادئة وشملتنا بابتسامة عذبة. دخلت إلى المعمل وخرجت منه في الحال ومعها قفاز. تنهدت وهي تقول:

– أولا حقيبة يدها والآن قفازها. إنها تنسى دائمًا شيئًا ما. ابتعدت متجهة نحو المكان الذي كانا –السيدة "**فرانكلين**" و "**بويد**"– ينتظران فيه. حدثت نفسي بأن "**بربارا**" إحدى أولئك السيدات اللواتي يتركن دائمًا شيئًا حتى يؤتى لهن به. بل ويلاحظ أنهن يفخرن بهذا التصرف. وكثيراً ما سمعت السيدة "**فرانكلين**" تتمتم وتقول بنبرة شكوى: "إن رأسي يؤلمني جدًّا". تابعت بنظري الآنسة "**كرافين**" وهي تخترق مسطحات الخضرة ولاحظت أنها تتمتع بقوام ممشوق وأنها تجري برشاقة. أردفت دون تفكير:

– قد أعتقد أن أية سيدة تمل هذه الحياة. ولا أظن أن السيدة "**فرانكلين**" من هذه الفئة أو أنها من النوع الذي يعترف بالجميل. وإذا بـ "**بوارو**" يغلق عينيه و – دون مبرر واضح – يتمتم ويقول:

– شعر ذهبي. بالتأكيد هكذا كان شعر الآنسة "**كرافين**" لكني لا أدرك لماذا اختار هذه اللحظة لإعلان تلك الملحوظة.

الفصل الحادي عشر

كان صباح اليوم التالي، قبل تناول وجبة الإفطار عندما تمت محادثة جعلتني حالمًا. كنا أربعة: أنا و "**جوديت**"، و "**بويد كارينجتون**"، و "**نورتون**". لست أدري كيف بدأت المناقشة، لكن حدث أننا تناولنا موضوعًا عن الموت الهادئ، كان "**بويد**" هو الذي أطال الحديث و "**نورتون**" كان يُدلي بمعلومة من حين إلى آخر و "**جوديت**" مكثتْ صامتة، لكنها كانت مصغية، أما عن نفسي فأعترف بأني كنت أشعر بالنفور. وأضفت أن قبوله عالميًّا سوف يجعل مزيداً من السلطة بين يدي أهل المريض. وكان "**نورتون**" يشاركني الرأي، مضيفًا أن الموت البطيء (الهادئ) لا يجب أن يسمح به إلا بناءً على طلب المريض ذاته بشرط أن يكون الموت مؤكّدا.

استطرد "**بويد**" قائلاً:

– فقط هل الشخص موضوع القرار سيقبل وضع نهاية لآلامه لاستخدام عبارة خاصة؟ ثم حكى لنا قصة مشابهة. وهي أن أحد مرضى السرطان طلب من طبيبه المعالج أن يعطيه شيئًا ما يساعده على إنهاء حياته بأقصى سرعة. وكان الطبيب قد أجابه بأن مثل هذا التصرف مستحيل. لكن فيما بعد عندما همّ بالانصراف ترك أقراصًا منومة في متناول يد المريض، محدداً له الكمية التي يجب أن يتناولها دون التعرض للخطر. إذًا كان في إمكان المريض أن يتناول منها بلا حدود لكي ينهي حياته، لكن حدث أنه لم يتأثر وكأنه متمسك بالحياة. فما كان من "**جوديت**" إلا أن تكلمت للمرة الأولى. قالت:

– مفهوم، كان لا يجب أن يترك له القرار. سألها "**بويد**":

– ماذا تقصدين؟

– الشخص الذي يعاني المرض والآلام ليست له الإرادة اللازمة لاتخاذ قرار مهم؛ لذلك يجب ألاَّ يلجأ الطبيب إليه وهو واجب المحيطين به ومحبيه. كررت دهشًا:

– الـ. . . واجب؟ والتفتت ابنتي نحوي.

– نعم لقد قلت الواجب. من الضروري أن الذي يتحمل المسؤولية يكون على وعي وبكامل قواه العقلية. هزّ "**بويد**" رأسه. وقال:

– وفي النهاية يكون مصيره محكمة الجنايات بتهمة القتل.

– ليس بالضرورة، ثم إذا كنت تحب حقًّا شخصًا ما، ستكون على أتمّ استعداد لتحمل المسؤولية.

– لا أعتقد. وعامة الناس يخشون المسؤولية. إذا كانوا يعملون على الحد من آلام كلب، فلِمَ لا يتصرفون بالمثل مع البشر؟! الوضع يختلف كثيرًا. أعلنت "**جوديت**" بوضوح:

– نعم؛ لأنه وضع أكثر أهمية. تمتم "**نورتون**" قائلاً:

– إنك تفزعينني. ثم استطرد "**بويد**" موجهًا كلماته إلى ابنتي:

– أنتِ من ستتحملين المسؤولية.

– أعتقد ذلك. المسؤولية لا تفزعني.

– أما أنا فلا أتوقع أني كفيل بالقيام به، لا يمكن السماح للناس باتخاذ قرار حياة أو

موت. قال "**نورتون**" :

– في الحقيقة إن أغلبية الناس قد لا يجدون الشجاعة الكافية لتحمل مثل هذه المسؤولية. ثم ابتسم ونظر إلى "**جوديت**" وقال:

– ولا أعتقد أنه من الممكن أن تكون لك هذه الشجاعة.. والوضع قائم. اعترفت ابنتي قائلة بنبرة هادئة:

– من البديهي أنه لا يمكن أن يثق الشخص بأي شيء كان، لكني أعتقد أنه كان في إمكاني أن تكون لديّ هذه الثقة.

– أشك في ذلك. هذا إلا إذا كانت لك منفعة شخصية في الموضوع. علت الحمرة وجنتي "**جوديت**" واستطردت:

– إن ملاحظتك تثبت أنك لا تدرك شيئًا بالمرَّة. لو كان لي غرض شخصيّ، لما تمكنت من إنجاز أيّ عمل كان. وقال "**نورتون**" مؤكداً:

– وعلى الرغم من هذا قد لا تقومين بمثل هذا العمل. ثم توجهت "**جوديت**" إلى الجميع وقالت:

– من الضروري أن يكون هذا العمل خاليًا من كل غرض شخصي. كما أني لا أعترف بأن الحياة هي شيء مقدس كما يدَّعون، ليت من يقومون بأعمال نافعة للمجتمع هم الذين ينعمون بالحياة، والحيوات عديمة الفائدة ليتها تُباد. ثم التفتت إلى "**بويد**" :

– إنك متفق معي في الرأي، أليس كذلك؟ أجابها في هدوء:

– بالنسبة إلى القاعدة، بلى. ويجب أن ينعم بالحياة من يستحقها. ومرَّة أخرى تدخل "**نورتون**" :

– قد يتقبل البعض نظريتك، أما بالنسبة إلى اتباعها.... استطردت "**جوديت**" :

– اتباعها ليس منطقيًا.

– بالتأكيد لا، إنها مسألة شجاعة وإذا سمحتم لي بالإدلاء برأيي: إن الأغلبية ليست لها الجرأة الكافية للانخراط في مثل هذا العمل.

– أتعتقد؟

– إني واثق بذلك. وأردف "**بويد**" قائلاً:

– عن نفسي أعتقد أنك تخطئ يا "**نورتون**"، "**جوديت**" شجاعة جداً... ولحسن الحظ نادراً ما تحدث مثل هذه الحالة. فجأة دق الجرس داخل المنزل، حينئذ نهضت "**جوديت**" ووجهت بعض الكلمات إلى "**نورتون**":

– أتعلم أنك مخطئ تماماً. لأني على قدر من الشجاعة أكثر مما تتصور. ثم اتجهت إلى المنزل بخطى سريعة. وتبعها "**بويد**" مناديا:

– "**جوديت**"، "**جوديت**" انتظري. وخرجت أنا أيضاً وأنا لا أعرف سر إحساسي بالضيق. وكان "**نورتون**" شخصاً لماحاً يلاحظ ما يبدو على قسمات غيره من ردود فعل. حاول أن يمنحني ارتياحاً. وقال:

– إنها لا تتكلم بجدية وأنت تعلم ذلك. وهو الأسلوب الذي يتبعه الشباب عند عرض نظرياتهم –حمداً لله– أنها لا تطبق. أعتقد أن "**جوديت**" سمعت هذه الفكرة؛ لأنها حولت رأسها نحوه ملقية إليه نظرة ثائرة. و "**نورتون**" خفض صوته وواصل:

– يجب ألا تنزعج للنظريات، لكن ليتك تسمعني يا "**هاستنج**".

– نعم. وكان يبدو محرجاً.

– إني لا أرغب في التدخل فيما لا يعنيني. مع ذلك إنه... ماذا تعرف عن "**أليرتون**"؟

– وما شأن "**أليرتون**" في الموضوع؟

– اغفر لي تدخلي، لكن بصراحة لو كنت مكانك لما تركت هذه الصبية ترافقه. إنه... إنه لا يتمتع بسمعة طيبة. قلت وقد بدت المرارة في نبراتي:

– لقد رأيت منذ فترة، من هو الشخص الذي يتعامل معه، لكن حاليًا ليس من السهل...

– نعم، أعلم ذلك. إن الفتيات يدعين أنهن كفيلات بحماية أنفسهن في أغلب الأحيان، إنها حقيقة. فقط... "**أليرتون**" له خطة شخصية وأسلوب خاص، له تأثيره ولقد ثبتت نتائجه. ثم واصل بعد لحظة تردد:

– اسمعني، لقد رأيت أنه من واجبي أن أنبهك. وطبعًا لن تكرر كلامي الذي صارحتك به.. كما أني على علم بحدوث شيء يخصه. ثم حكى لي الموضوع ومن جانبي عملت على التحقق من صحته. كانت قصة فتاة عصرية، متحررة وواثقة

بنفسها، وكان "**أليرتون**" من جانبه قد استخدم أسلوبه الخاص. وبعد عدة شهور عملت الفتاة على إنهاء حياتها (انتحرت) وذلك بتناولها جرعة كبيرة من أقراص عقار منوم. وما يثير الرعب هو أنها كانت من فئة "**جوديت**". إحدى الفتيات المتحررات والفخورات باستقلالهن، والمتعاليات، أولئك اللاتي عندما تمنح أيّ منها قلبها تمنحه كاملا. بعد ذلك انصرفت لتناول الغداء وأنا فريسة إحساس مشؤوم.

الفصل الثاني عشر
(1)

وفي اليوم نفسه في فترة ما بعد الظهر سألني "**بوارو**":

– هل هناك ما يقلقك ويشغل بالك؟ اكتفيت بحك رأسي. ووجدت أنه ليس لي الحق في أن أُسبب له ضيقًا بمشكلة شخصية لا سيما وأن ليس بوسعه أن يساعدني بأي شكل. وحتى لو كان قد لمح "**جوديت**"؛ لا شك في أنها قابلته بتلك الابتسامة المعتادة الفاترة التي تبديها الفتيات المتحررات لكل من يقدم لهن نصيحة.

وهأنا من الصعب عليّ حاليًّا أن أعبر عما يساورني من قلق وما أعانيه من هموم منذ أن تواجدت في "**ستيل**" وكأن المكان هو مصدر كل ما يخطر على البال من مخاوف. غير أن الماضي ليس وحده السبب، كان هناك أيضًا حاضر مثير للقلق. سفاح يتردد على المنزل والتهديد بجريمة يحلق في الجو.

وحسب ما تراءى لي: "**أليرتون**" هو المجرم، وابنتي "**جوديت**" تقع في حبه. كان أمرًا رهيبًا لا يصدق، عجزت عن التصرف إزاءه. بعد أن تناولنا الغداء، جذبني "**بويد**" على انفراد، وقبل أن يدخل في الموضوع، تنحنح، وأخيرًا قال:

– لا تظن أني معتزم التدخل فيما لا يعنيني. لكن لو كنت مكانك، لوضعت ابنتي تحت الحراسة. إن سمعة "**أليرتون**" سيئة جدًا... ويبدو أن "**جوديت**" قد انجذبت إليه. من السهل أن يتكلم الشخص على هذا النحو عندما لا يكون له أبناء. وضع "**جوديت**" تحت الرقابة مع "**أليرتون**"؟ بم يفيد طالما حاولت قبل الآن؟ وقد يتسبب في زيادة خطورة الموقف. آه لو كانت زوجتي بيننا في مثل هذه الظروف، لكانت أحسنت التصرف؛ لأنها كانت خير من يعرف متى تتكلم ومتى تصمت.

كنت معتزمًا – أعترف بذلك – ألا أتناول هذا الموضوع مع ابنتي. لكني بعد ذلك فكرت في أن مثل هذا التصرف قد يكون دليلا على الجبن... غير أني ما زلت مترددًا. في الحقيقة، إني أشعر بالخوف من ابنتي الجميلة المتعالية "**جوديت**". أخذت أتجول في الحديقة فريسة توتر متزايد. هناك عند شجيرات الورد، شعرت فجأة بالقرار يأتيني. كانت "**جوديت**" جالسة على أحد المقاعد ولم يسبق لي رؤية مثل هذا الحزن باديًا على ملامح امرأة. لقد سقط القناع، لقد انكشفت كل مشاعر الضيق عندها.

أخيرًا جمعت كل شجاعتي واتجهت نحوها؛ قلت لها بنبرات رقيقة جدًا:

– عزيزتي "**جوديت**"، ليتك لا تتشقلين بالهموم هكذا، أستحلفك بالله يا بنتي.

وإذ كانت مستغرقة في التفكير، فيبدو أنها لم تسمعني عندما اقتربت منها. ولما فوجئتْ بي، رفعت رأسها بسرعة:

– آه يا أبي، ماذا كنت تقول؟

– يا بنتي العزيزة، لا تعتقدي أني عاجز عن الفهم، لكن أؤكد لك أنه لا يستحق الذكر. تفرّست فيّ وقد بدت مرتبكة، ثم سألتني بنبرة هادئة:

– أتعرف حقًّا عما تتكلم؟

– نعم أعلم ذلك جيدًا. إنك تحبين هذا الرجل، لكن يا عزيزتي، إن مثل هذا التصرف غير متعقل. أبدت الابنة العزيزة ابتسامة كاد قلبي يذوب لها. واصلتُ الحديث:

– "**جوديت**" يا عزيزتي. ما الذي تتوقعين أن ينتج من مثل هذا الموقف؟ إنه شخص متزوج. ولن تحصلي منه على شيء سوى الحزن والخزي. وإذا بابتسامتها تتسع، مع الاستمرار في الظهور بمظهر حزين.

– إنك تتكلم جيدًا، أليس كذلك؟

– ليتك تتخلين عنه يا "**جوديت**".

– لا.

– أؤكد لك أنه لا يستحق أي تعاطف. أعلنت قائلة:

– إنه بالنسبة إليّ كل شيء في الدنيا.

– "**جوديت**" أتوسل إليك. حينئذ اختفت الابتسامة من شفتيها. وفي الحال انتصبت وصاحت:

– كـيـف تجـرؤ أن تتـدخل في شـؤوني؟ لا تـكرر الكلام بـشـأن هـذا الموضـوع. أنا أكـرهك، أنا أكـرهك. هـذا الأمر لا يخـصك. إنما يخـصني وحـدي ويخص حيـاتي. قالت هذا ودفعتني ثم انصرفت. لاحقتها بنظري وهي تبتعد، ومشاعر الفشل والندم تلاحقني.

(2)

كنت واقفًا دهشًا، عاجزًا عن التفكير، عندما ظهرت بعد ربع ساعة الآنسة "**كول**" و "**نورتون**". ولقد أظهرا لي كل مودة، ولقد تحققت من ذلك فيما بعد. وفهمت أنهما لاحظا ما بدا عليَّ من اضطراب، غير أنهما حرصا على ألا يلفتا النظر وطلبا مني أن أرافقهما في نزهتهما. وكان كلاهما من عشاق الطبيعة و "**إليزابيث كول**" أشارت إليّ بالزهور البرية، بينما كان "**نورتون**" يلفت نظري إلى العصافير من خلال منظاره المكبر. وبالتدريج استعدت سكينتي، على الأقل ظاهريًّا؛ لأني كنت مضطربًا داخليًّا. هذا بالإضافة إلى أني – كما يحدث كثيرًا – كنت مقتنعًا أن كل ما يحدث كانت له علاقة بحالتي النفسية الحالية. في تلك اللحظة التي كان "**نورتون**" يضع فيها المنظار المكبر على عينيه، صاح:

– أراهن أنه الطائر النقار. ثم توقفت فجأة فساورتني شكوك كثيرة. لذلك بسطتُ يديَّ نحو المنظار المكبر. ثم قلت في تردد:

– دعني أرى. أردف "**نورتون**" في تردد وبدت لي نبرته غريبة:

– أعتقد... أعتقد أني أخطأت... لقد طار الطائر وعلى ما يبدو أنه كان عصفورًا عاديًّا. وكان قد شحب متجنبًا نظراتنا. وكان يبدو متوترًا، ولقد تأكدت وقتئذ أنه اعتزم منعي من استخدام المنظار المكبر المصوب على غابة صغيرة تقع على مسافة قريبة.. ترى ما الذي لمحه؟ كررت:

– دعني أنظر. فأمسكت بالمنظار المكبر وانتزعته من يديه على الرغم من أنه كان يحاول التمسك به. تمتم:

– في الحقيقة لم يكن... لقد انطلق العصفور. كنت أريد... أن... صوبت

المنظار المكبر بيد مرتجفة نحو المكان الذي كان "**نورتون**" يراقبه، لكني لم أرَ شيئًا، سوى شيء أبيض... قد يكون فستانًا؟... واختفى بين الأشجار. أخفضتُ المنظار وأعدته دون أن أنطق بكلمة أوجهها إلى "**نورتون**". ولقد بدا أنه كان يتجنب نظراتي. كان يبدو حائرًا ومتضايقًا. وفي صمت اتخذنا الطريق المؤدي إلى المنزل.

(3)

بعد قليل عادت السيدة "فرانكلين" و "**بويد كارينجتون**" بعدنا. وبعد أن قاما بزيارة منطقة "**كناتون**" توجها إلى "**تادمينستر**" حيث كانت السيدة ترغب في القيام ببعض المشتريات، ولأنها أخرجت من السيارة كمية كبيرة من المشتريات كانت تبدو مرحة، تتكلم وتضحك وقد علت الحمرة وجنتيها من الإثارة. ولقدعهدت إلى "**بويد**" بأحد مشترياتها القابلة للكسر، وأنا أيضًا كنت أتحمل مسؤولية عدد معين من المشتريات بكلِ ترحاب. أردفت:

– الجو حار جدًا.. إنهم يتوقعون هبوب عاصفة. ويقال إن الناس سوف يفتقرون إلى الماء. كم ستكون حالة رهيبة! يبدو أنه لم يعاصر مثل هذا الجفاف منذ سنوات مضت. كانت تتكلم بسرعة تفوق السرعة المعتادة، كما كانت تبدو عصبية. سألت متوجهة إلى "**إليزابيث كول**":

– ماذا فعلت في فترة ما بعد الظهر؟ أين "**جون**"؟ لقد أعلن أنه يشعر بصداع وأنه يحتاج إلى التنزه. لا يناسبه جيدًا أن يكون عنده صداع. أعتقد أنه قلق من أجل تجاربه. إنها لا تتقدم كما كان يتمنى. وعن نفسي أتمنى سماع المزيد عن أعماله. ثم – ملتفتة إلى "**نورتون**" – قالت:

– ما بالك صامت... ماذا يشغل بالك؟ إنك تبدو قلقًا. هل قابلت – بالمصادفة – شبح السيدة... لا أدري من؟ حينئذ اقشعر بدن "**نورتون**":

– لا، لا. اطمئني أنا لم أرَ أشباحًا، غاية ما في الأمر، كنت أفكر في أمرٍ ما. وإذا "**كورتيس**" يظهر في اللحظة نفسها على عتبة الباب، وهو يدفع بمقعد "**بوارو**"، توقف في القاعة، استعدادًا لنقل سيده إلى الطابق الأول، لكن المخبر تفرس في كل منا. سادت بعد ذلك لحظة صمت، ثم أجابته السيدة "**فرانكلين**" وعلى شفتيها ابتسامة مصطنعة:

– لا، أبداً يا سيد "**بوارو**"، لماذا كنت تتمنى؟ إنها ليست سوى عاصفة تقترب. ياإلهي، كم أني أشعر بتعب شديد! هل تسمح لي يا سيد "**هاستنج**" بإصعاد هذه المشتريات وأكون لك شاكرة؟ تبعتها في السلم. كانت حجرتها تقع في نهاية الجناح الغربي. فتحت الباب، وتوقفت فجأة على العتبة. تسمرت خلفها وذراعاها مثقلتان بالمشتريات. وبالقرب من النافذة كانت الآنسة "**كرافين**" تفحص يد "**بويد**". فرفع "**بويد**" رأسه وضحك، وقال:

– الآنسة "**كرافين**" تنبئ بالمغامرة الجيدة. إنها قارئة كف ممتازة. أردفت "**بربارا فرانكلين**" بنبرة جافة:

– حقًّا، لم تكن لديّ أية فكرة عن ذلك. لقد بدا لي أنها كانت مضطربة لما بدا من الممرضة، وقفت تتأملها لحظة في صمت قبل أن تواصل:

– ليتكِ تحررين القائد "**هاستنج**" من هذه المشتريات، أرجوكِ. ثم تعدين لي حساء وسوف أدخل إلى مخدعي في أقرب فرصة.

– بالتأكيد يا سيدتي. وتقدمت الممرضة لتتناول المشتريات. وكان وجهها لا يعكس أي اضطراب داخلي. ثم استطردت السيدة "**فرانكلين**":

– انصرف يا "**بيل**" أرجوك. أنا متعبة. كان "**بويد**" يبدو مهموماً.

– هل أرهقتكِ هذه النزهة يا "**بابس**"؟ المعذرة. كم أني تصرفت بغباء، كان من واجبي أن أحرص على ألا تتعبي فوق ما تحتملين. وبعد ذلك وجهت السيدة "**فرانكلين**" إليه ابتسامة حزينة، وأردفت:

– لم أكن راغبة في أن أتكلم أو أن أنطق بأيّ شيء كان. أنت تعلم أني لا أميل إلى أن أكون مزعجة. بعد ذلك قدمت للسيدة تحية المساء متمنياً لها ليلة سعيدة وغادرت الحجرة برفقة "**بويد**"، وما إن تواجدنا في الدهليز حتى قال لي هذا الأخير «كم أني غفلت عن حالتها الصحية، أتعشم أن أجدها غداً في أتم صحة». واتجه نحو السلم. وبعد ثانية واحدة من التردد اتخذت الممر المؤدي إلى الجناح الآخر، وللمرة الأولى اتجهت نحو "**بوارو**" غير راضٍ، إذ كنت أفكر في العديد من الأمور كما كنت أعاني آلاماً بمعدتي، كما حدث لي بعد حديثي مع "**جوديث**". عند مروري أمام حجرة "**أليرتون**" سمعت صوتاً، توقفت لحظة. فجأة فتح الباب وظهرت منه

"**جوديت**". تسمرت مكانها عندما رأتني، أمسكت بذراعها في صمت واقتدتها إلى حجرتي، وأحسست وقتئذ بأني فريسة غضب شديد.

– ما معنى توجهك إلى حجرة هذا الرجل؟ تفرست فيّ بكل برود، والتزمت الصمت وأخفت ثورتها. عملت على هزّ ذراعها. وقلت:

– أنا لا أقبل ذلك، هل سمعتني؟ إنك –وصدقيني– لا تعين ما أنت مقبلة عليه. إنك تتصرفين بلا وعي. أخيرًا أجابت:

– يخيل إليّ أن عقلك قد تحول.

– لا شك في أن في كلامك تأنيبًا. افهميني يا "**جوديت**" هأنذا أحذرك من التردد على هذا الشخص.

– إلى اللقاء. لقد حددت موقفي.

– أتنكرين أنك وقعت في حبه؟

– أنا لا أنكر شيئًا.

– ألا تعلمين من هو؟ وباختصار لكن دون إخفاء أي تفصيل، سردت لها ما علمته عنه. وختمت حديثي قائلا:

– الآن، هل رأيت من هو؟

– إني لم أعتبره ذات يوم قديسًا.

– وما أخبرتك به حاليًا يا "**جوديت**"، ألا يدفعك إلى التفكير؟ من المستحيل أن تكوني فاسدة إلى هذا الحد.

– اعتبره كما تشاء، لا يهمني لا بكثير ولا بقليل.

– "**جوديت**"، إنك لست... ليس لكِ... وهكذا شعرت بأني عاجز عن التعبير عن مشاعري وعما أريد أن أقنعها به. وكنت ممسكًا بذراعها. تخلصت مني بحركة عنيفة. وقالت:

– اسمع يا أبي، إني افعل ما يروق لي. ومهما عملت لن تثنيني عن رأيي. وبعد لحظة خرجت من الحجرة. شعرت بركبتيّ ترتجفان وإذا بي أقع على مقعدي... لقد كان الوضع أسوأ مما كنت أتخيل. إن هذه الفتاة مسحورة تمامًا؛ وليس لي مَن ألجأ إليه: لقد ماتت أمها وهي الوحيدة التي كانت كفيلة بحل هذه المشكلة. حقًّا لم يسبق لي معاناة ما أعانيه الآن من آلام.

(4)

وأفقت من نومي، بعد ذلك اغتسلت وقمت بحلاقة ذقني وبدلت ملابسي واضطررت أن أتصرف بطريقة تكاد تكون طبيعية؛ لأن بذلك لن يلمح أحد ارتباكي. لقد رأيت "**جوديت**" مرتين وهي تلقي بنظرات غريبة. لا شك وأنها كانت دهشة بأن تراني قادراً على إخفاء مشاعري، ومع ذلك كان داخلي يغلي من الثورة. وكنتُ قد اتخذتُ قرارات وعلى استعداد لتنفيذها... وكان لا ينقصني إلا الشجاعة اللازمة.

ثم بعد العشاء خرجنا إلى الحديقة. وبينما كنا نتحدث عن العاصفة المهددة، لمحت "**جوديت**" وهي تختفي عند زاوية المنزل. ثم بعد دقيقة، اتخذ "**أليرتون**" الطريق نفسه. أنهيت حديثي مع "**بويد**" وابتعدت بدوري. فأمسك "**نورتون**" بذراعي محاولا منعي، مقترحًا أن نقوم بجولة من جهة أحواض الورد. غير أني لم أهتم به. ومع ذلك استمر بجواري يلازمني إلى أن وصلت إلى المنزل حيث لحقت بهما. كانا هناك، رأيت "**جوديت**" وهي ترفع وجهها والرجل يميل عليها، وجذبها إليه وقبلها، لكنهما انفصلا فوراً. تقدمت بخطوة، ولكن "**نورتون**" أمسك بذراعي مرة أخرى وجعلني أتراجع. قائلا لي:

– هيّا بنا، إنك لا تستطيع... قاطعته بنبرة جافة:

– آه! تعتقد ذلك؟

– إن تصرفك هذا لن يفيد بشيء. حقًّا إن الوضع مؤلم، لكن لن يكون في وسعك التدخل. لم أجبه. لا شك في أنه كان يعبر عن فكرته العميقة، لكنني كنت لا أستطيع الأخذ برأيه. واصل:

– أعلم كم أن هذه الأوضاع تثيرك! والشيء الوحيد الذي يجب أن تقوم به هو أن تقبل الهزيمة. حرصت على عدم معارضته وألقيت مرة أخرى نظرة نحو المنزل. "**جوديت**" و "**أليرتون**" كانا قد اختفيا، غير أنه كانت لي فكرة راسخة عن المكان الذي يكونان قد اختبآ فيه: بالقرب من المستنبت. اقتربت من هذا المكان في صمت، وحرصت على ألا أصدر صوتًا. أعتقد أن "**نورتون**" كان دائمًا خلفي، لكني لا أؤكد ذلك. بعد قليل سمعت صوت "**أليرتون**".

– والآن يا عزيزتي الصغيرة، مفهوم هكذا. ستذهبين إلى "**لندن**" غداً؛ ومن جانبي سأقول إني متجه إلى "**إبسويتش**" عند أحد أصدقائي لقضاء يوم أو يومين. ومن جانبك ستتصلين هاتفيًّا وتقولين إنك لا تستطيعين العودة، ومن سيكون في شقتي على مأدبة العشاء؟ أعدك بأنك لن تخسري شيئًا. و – مرة أخرى – شعرت بأن "**نورتون**" يجذبني من كمي. لم أعترض والتفتُّ واستسلمت له إلى أن قادني إلى المنزل، متظاهراً بأني خاضع تماماً له. وإن كنت موقنًا بما سوف أقوم به، أردفت:

– لا تقلق إنك على حق عندما قلت إنه من الصعب العملِ على تعديل تصرفات الشباب. لاحظت أنه بدأ يطمئن. فاخبرته بأني أعاني صداعاً وأني ذاهب إلى فراشي بذلك لم يساوره أدنى شك.

(5)

توقفت لحظة في الدهليز. كان الهدوء يشمل المكان كله ولا يوجد من يتجول في الأنحاء المحيطة و "**نورتون**" مكث في الطابق السفلي على الرغم من أن له حجرة في هذا الطابق. وكانت "**إليزابيث كول**" تلعب البريدج و "**كورتيس**" كان يتناول عشاءه، إذن المجال أمامي معدّ، سررت بأني حريص.

"**أليرتون**" لن يقابلِ غداً "**جوديت**" في "**لندن**" ولن يقابلها في أي مكان. إذن لقد أصبح الأمر بسيطاً. دخلت إلى حجرتي لتناول الأسبرين، ثم ولجت إلى حجرة "**أليرتون**" واتجهت فوراً إلى دولاب الحمام. كانت الأقراص المنومة موضوعة في مكانها المعتاد. حدثت نفسي بأن ثمانية أقراص تكفي لأداء الغرض المطلوب. إذا كانت الجرعة المعتادة هي قرص أو على الأكثر قرصان فهذا العدد يكفي تماماً. ولقد أخبرني "**أليرتون**" ذاته ذات يوم بأن الجرعة السامة ليست بالضرورة مرتفعة جداًّ. عندما ألقيت نظرة على البيان المدون على العلبة قرأت: "يجب عدم تجاوز الجرعة المحددة لأن في ذلك خطورة". ابتسمت داخليًّا. وفتحت الصمام وقد حرصت على لف يدي بمنديل حتى لا أترك بصمة.

وكان للأقراص الحجم نفسه الذي للأقراص التي أستخدمها؛ لذلك رفعت ثمانية منها واستبدلت بها أقراص الأسبرين. الآن ها هي الزجاجة كما وجدتها. سوف لا

يلاحظ "**أليرتون**" عملية الاستبدال. بعد ذلك عدت إلى حجرتي. وإذ كانت عندي زجاجة من الشراب في دولابي أخرجتها ومعها كوبان و"**سيفون**" ولم يسبق لي رؤية "**أليرتون**" يرفض تناول كأس. وسأعمل على جعله يتناول كأسًا أخرى. سأسعى إلى إذابة الأقراص في قليل من الكحول: عملية مناسبة جدًا. غير أنه قد يكون أكثر مرارة من الشراب النقي، لكن سوف لا يشعر به أحد.

في اللحظة التي سأسمع فيها "**أليرتون**" سأصب له كوبًا ومن بعده أصب لنفسي كوبًا آخر. حركة سهلة وطبيعية. من جانبه سوف لا يشك فيما أشعر به نحوه من حقد، هذا إلا إذا كانت "**جوديت**" وافته بذلك. فكرت لحظة في الأمر، لكني في النهاية أيقنت أني لن أتعرض لأي خطإ. بالتأكيد لم تخبره "**جوديت**" بشيء. وكما أنه بداهة لا يعرف أني على علم بمشاريعه للغد.

فما كان عليّ إلا الانتظار، ولا شك في أنه كان يلزمني شيء من الصبر؛ لأن "**أليرتون**" لا ينام أبدًا في ساعة مبكرة؛ لذلك جلست في مقعد ذي مساند في ارتياح. وعندما سمعت من يقرع بابي انتفضت. لقد كان "**كورتيس**" أتى لكي يخبرني بأن "**بوارو**" يطلبني. استعدت هدوئي. "**بوارو**". لم أفكر فيه طوال السهرة. لا بد وأن يكون قد تساءل عن حالي. وكان ذلك يضايقني قليلا. أولا: لأني كنت أشعر بالخجل فأنا لم أذهب لمشاهدته، وثانيًا: لأني لم أعمل على الانتباه إلى شكوكه. على كلٍّ لقد تبعت "**كورتيس**". حينئذ صاح "**بوارو**" عندما رآني مقبلا:

– يبدو لي أنك أهملتني أو تكون قد تخليت عني. ثم كتمت تثاؤبًا وابتسمت وقد بدا عليّ الرضا. أجبته:

– آسف جدًا. لكني أُعاني نوعًا من انفلونزا شديدة حتى أني أفتح عينيّ بصعوبة.

وتمامًا كما توقعت... بدا لي "**بوارو**" وكله اهتمام. في الحال اقترح لي بعض الأدوية، سرد العديد من القصص ولامني على جلوسي في تيار الهواء. وكان اليوم من فصل الصيف الشديد الحرارة. رفضت الأسبرين الذي عرضه عليّ، قائلا له إني سبق وتناولت قرصين. لكني لم أتمكن من الهرب من تناول قدح من الكاكاو الساخن والمحلى بكثير من السكر. أعطاني إياه قائلا:

– إنه مهدئ للأعصاب. أتعرف ذلك؟ ابتلعت ريقي. تناولت هذا المشروب بلا اعتراض أو مناقشة، ثم استأذنت وعدت إلى حجرتي وأغلقت الباب. لكن بعد

ذلك، واربته بكل حرص. هذا لكي أترقب وصول "**أليرتون**" عندما يصعد، لكن كان عليَّ أن أنتظر لفترة أخرى لا بأس بها. عدت إلى مقعدي ذي المساند واستسلمت للتفكير في زوجتي. وفي لحظة ما وجدت نفسي وأنا أتمتم لاإراديًّا وأقول في نفسي: «أتفهمين يا عزيزتي، يجب أن أنقذها». كانت قد رحلت تاركة ليَ أمر العناية بـ "**جوديت**"، ولم يكن من حقي أن أهمل في واجبي نحو ابنتي، كنت في هذه الفترة وفي هذا السكون الشامل أشعر وكأن زوجتي التي كم أحببتها موجودة بالقرب مني. وهكذا واصلت الانتظار....

الفصل الثالث عشر
(1)

نعست في أثناء ما كنت في انتظار "**أليرتون**"، الأمر الذي لا يسبب أية دهشة؛ لأني كنت متعبًا في الليلة السابقة. هذا بالإضافة إلى أني جلست في الهواء الطلق طوال النهار، وكنت متعبًا من تأثير اضطراب الجهاز العصبي. كان للطقس الثقيل والعاصف شأن بالموضوع، وعلى أيِّ حال لقد نمت بملء جفوني في مقعدي، وعندما استيقظت كانت العصافير تزقزق على الأشجار، وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء. فعلا كنت أعاني آلامًا في ظهري المسببة من الإنفلونزا اللعينة.

ومع كل ماكنت أشعر به من تقزز، كنت في غاية الاطمئنان. إذن من الذي كتب: "اليوم المعتم يبقى إلى اليوم التالي الذي يُبدده"؟ وهي فعلا حقيقة. هأنا أرى حاليًّا كيف وإلى أي مدى كنت مخطئًا في حكمي. كنت قد فقدت كل معنى للمقاييس. كانت لي نية قتل كائن بشري. وإذا بنظري يقع على كأس الشراب الموضوع أمامي. اقشعر بدني و – بعد أن أزحت الستر – سكبت السائل من النافذة. حلقت ذقني واستحممت وبدلت ملابسي. هأنا حاليًّا أشعر بتحسن. توجهت بعد ذلك إلى "**بوارو**" لأني أعلم أنه يستيقظ مبكرًا، جلست في مواجهته وسردت له القصة كاملة. يجب أن أعترف بأني وجدت في هذا التصرف راحة نفسية. أردف وهو يحك رأسه:

– آه! يا للغباء، أنت كفيل بإسقاط من تريد! لقد ابتهجت؛ لأنك صارحتني بهذا

الأمر، لكن لماذا لم تفصح لي مساء أمس عما كان يدور بخلدك؟

– لا شك في أني خشيت من أن تثنيني عن قراري.

– وهو بالضبط ما كنت سوف أقوم به. أتعتقد أني كنت أرضى أن أراك وأنت تقضي باقي أيام حياتك بالسجن بسبب شخص حقير مثل القائد "**أليرتون**"؟

– في هذه الحالة كنت لن أتعرض للقبض عليّ؛ لأني كنت متخذاً الاحتياطات اللازمة.

– وهو ما يتوهمه كل مجرم، لكن دعني أخبرك يا صديقي بأنك لم تكن حاذقًا بالقدر الذي كنت أتوقعه.

– لقد محوت بصماتي من على قنينة الأقراص المنومة.

– بالضبط، لكنك بذلك محوت أيضًا بصمة "**أليرتون**"، وما الذي كان سيحدث إذا وجد ميتًا؟ في هذه الحالة كانوا سيلجؤون إلى التحليل وربما تشريح الجثة والوقوف على سبب الوفاة الذي سيظهر أنه نتيجة تناول جرعة كبيرة من الدواء، وكذلك كانوا سيكشفون زوال بصماته من على العلبة، لماذا؟ إذ أنه ليس له أيّ مبرر لمحو البصمة. في هذه الحالة، عندما يفكرون في تحليل الأقراص الموجودة بالعلبة، سيكشفون أن البعض قد استبدل به الأسبرين. تمتمت قائلا:

– أغلبية الناس عندهم أسبرين.

– لكن لا يوجد من يحتفظ بها في علبة الأقراص نفسها التي تشكل خطرًا عند تجاوز الجرعة. من جانب آخر هذه الأغلبية ليست لديها ابنة يُلاحقُها "**أليرتون**" وبالتالي تُجرى ضده محاولة قتل. والحال هذا، لا تنس أنك تشاجرت مع "**جوديت**" بشأن هذا الأمر في الليلة نفسها. وهناك اثنان قد يعلنان عما تكن من عداء لـ"**أليرتون**" وهما "**بويد**" و "**نورتون**" لا، لا يا "**هاستنج**" إنها عملية فاشلة بلا شك، وذات عواقب وخيمة، ومن يدري ربما رآك أحد ما وأنت تبدل الأقراص.

– مستحيل، لم يكن هناك ولا حتى ظل إنسان.

– أذكرك بأن للنافذة شرفة ومن الممكن أن يتواجد فيها أيّ شخص كان. ومن الممكن أن يتطلع أحدهم من ثقب كالون الباب.

– لا يوجد من يفكر فيما تفكر فيه أنت بالنسبة إلى كالون الباب. حينئذ أغلق

"**بوارو**" عينيه قائلا لي:

– إني دائمًا صاحب نية سليمة، ومسالمة للغاية. ثم أضاف:

– ثم دعني أخبرك بأن ثَمة أمورًا غريبة تجري في هذا المنزل فيما يختص بالمفاتيح. عن نفسي أحب دائمًا التأكد أن بابي مغلق بالمفتاح، حتى لو كان "**كورتيس**" متواجدًا بالغرفة المجاورة. ولقد فقدت مفتاحي بعد وصولي إلى هنا بفترة قليلة، لقد اختفى واضطررت إلى عمل غيره. أطلقت زفير ارتياح ثم أجبت بالآتي:

– على أية حال، لم يتم ما كنت معتزمًا القيام به. ثم أخفضت صوتي وأردفت:

– ألا تعتقد يا "**بوارو**" أن يكون مناخ "**ستيل**"... ملوثًا نسبيًّا بالجريمة التي ارتكبت هنا فيما مضى؟

– فيروس القتل؟ يا لها من نظرية طريفة! أردفت وقد عملت على أن أظهر مستغرقًا في التفكير:

– إن للمنازل مُناخًا. وهذا المُناخ له قصة مشؤومة. فأيَّد "**بوارو**" كلامي بإيماءة من رأسه.

– نعم، يوجد هنا أناس يتمنون وفاة أشخاص آخرين، إنها حقيقة.

– أعتقد أنه قد يكون لذلك تأثير. والآن، أخبرني كيف سأتصرف بشأن... "**جوديت**" و "**أليرتون**"، يجب العمل على منع هذه الصلة مهما كلفني الأمر. أجابني صديقي:

– لا تفعل شيئًا.

– لكن...

– صدقني إنك بعدم تدخلك، ستخفف من النتائج السيئة.

– وإذا تناولت الموضوع مع "**أليرتون**"....

– ما الذي في إمكانك أن تقوله أو تفعله؟ "**جوديت**" أصبحت رشيدة وليست طفلة كما كانت. إنها حرة التصرف في كل أمورها.

– مع ذلك، يجب أن أتصرف.

– لا يا "**هاستنج**". لا تتصور أنك على قدر كاف من الذكاء أو أنك صاحب حيلة حتى تفرض ذاتك عليهما، لقد تعامل "**أليرتون**" قبل ذلك مع والدين ثائرين. ومن

يدري، قد يجد في ذلك مزاحًا. من جانب آخر، "**جوديت**" ليست هذا النوع من الفتيات اللاتي يخضعن بسهولة. إذا كانت هناك نصيحة أقدمها لك فلتكن: "لو كنت مكانك، لمنحتها ثقتي" . فكان أن ألقيت إليه نظرة دهشة. واصل كلماته:

– "**جوديت**" فتاة ممتازة وإني معجب بها. أجبته:

– وأنا كذلك معجب بها. لكنها تخيفني. حينئذ أيد "**بوارو**" كلامي بإشارة من رأسه. ثم أردف:

– وهي تخيفني أيضًا، لكن ليس بالطريقة نفسها. نعم أخاف خوفًا شديدًا. وأجد نفسي عاجزًا.... إذ أكاد أن أكون هكذا. الأيام تمر والخطر يقترب يا "**هاستنج**" .

(2)

كنت أعلم مثله أن الخطر قريب. كما كان عندي من المبررات أكثر منه حتى أتحقق بعد محادثة ليلة أمس. غير أنه في أثناء نزولي السلم للذهاب إلى حجرة الطعام لتناول وجبة الإفطار، كنت أفكر في ملحوظة "**بوارو**" : "لو كنت مكانك لمنحتها ثقتي" . ولقد منحتني هذه الكلمات البسيطة ارتياحًا –وتقريبًا– في الحال شعرت بما تحتويه من حقيقة وحكمة؛ لأن "**جوديت**" – وهو أمر بديهي – كانت قد تخلت عن فكرة التوجه إلى "**لندن**" اليوم. ومنذ فترة ما بعد وجبة الإفطار، توجهت كعادتها إلى المعمل بصحبة "**فرانكلين**" وكان يبدو على كليهما أنهما يتهيئان لمواجهة يوم عمل شاق.

أحسست بارتياح كامل. وتبين لي كم كنت غبيًا ثم اقتنعت أن "**جوديت**" قبلت اقتراحات "**أليرتون**" ، غير أني اقتنعت حاليًا بأني لم أسمع موافقة "**جوديت**" . لا، إنها شريفة جدًا ولا يمكن أن تستسلم بمثل هذه السرعة. وبداهة لقد رفضت هذا الموعد. علمت كذلك أن "**أليرتون**" كان قد تناول وجبة الغداء في ساعة مبكرة ومن بعدها رحل إلى "**إبسويتش**" . إذن لقد تمسك بخطته، كان عليه أن يفترض أن "**جوديت**" سوف تلحق به في "**لندن**" ، كما سبق وعرض عليها ذلك... وحدثت نفسي قائلا إنه يسعى إلى خيبة أمل. "**بويد**" الذي وصل في اللحظة نفسها لاحظ أني أبدو مسرورًا، أجبت:

– نعم لقد حصلت على أخبار طيبة. فقال لي بأنه لا يستطيع أن يقول بالمثل. كان قد حصل على مكالمة تليفونية مزعجة من المهندس المدني، وكذلك خطابات أثارت قلقه. بالإضافة إلى أنه كان يخشى أن يكون قد أرهق السيدة "**فرانكلين**" خلال الجولة التي قاما بها ليلة أمس. اضطرت الممرضة إلى التخلي عن إجازتها التي كانت ستقضيها مع الأصدقاء؛ لأن السيدة "**فرانكلين**" كانت لا ترغب في ابتعادها عنها ثانية واحدة. كانت لا تكف عن طلب مشروبات ساخنة أو حساءً أو.... إذ كانت تشكو بلا توقف من آلام بمنطقة القلب وبآلام روماتيزمية حادة... وغيرها.

يجب أن أشير إلى أنه لم يتأثر أحد البتة لها؛ لأننا جميعًا نسبنا هذه التصرفات إلى ميلها إلى جذب انتباه الناس لها، وحتى الدكتور "**فرانكلين**" و الآنسة "**كرافين**" كانا يشتركان معنا في الرأي. وعندما استدعوا الدكتور من المعمل. وهذا الأخير بعد أن استمع إلى شكواها سألها عمًّا إذا كان من الضروري استدعاء الطبيب المحلي. "**بربارا**" رفضت بإصرار. فأعد لها زوجها مُسكنًا عمل على تهدئتها، ثم عاد إلى عمله. وأردفت الآنسة "**كرافين**":

– لا شك في أنه يعلم أنها تقوم بمسرحيتها.

– ألا تتوقعين أنها ربما يكون قد أصابها شيء آخر تتألم منه؟

– إن درجة حرارتها طبيعية ونبضها في معدله الطبيعي... إنها حركاتها المعتادة. وإذكانت الممرضة عصبية، وأصبحت تتكلم بلا تحفظ، قالت:

– إنه يحلو لها أن تمنع من حولها من الاستمتاع بحياتهم وهي تميل إلى جعل زوجها قلقًا بشأنها وألا أكف عن التردد عليها. يجب أيضًا إحاطة السيد "**ويليام**" بأنه ليس سوى شخصية فظة؛ لأن نزهة الأمس أضعفت هيبتها. وهي عادتها. كان واضحًا أن الآنسة "**كرافين**" كانت ترى مريضتها جسورة في ذلك اليوم. ومن جانبي لاحظت أنها – أي السيدة "**فرانكلين**" – من هذا النوع من السيدات اللاتي يصعب على من تقوم بتمريضها وكذلك الخدم احتمالها. مرة أخرى أود أن أسرد ما أتى إلى ذهني.

لقد بدا الضيق على "**بويد**". وكأنه يشعر بأنه مسؤول عما صدر عنه ليلة أمس عندما اقترح هذه النزهة التي أرهقت السيدة؛ لذلك صعد إلى حجرتها مرتين في

خلال هذا اليوم للاطمئنان على صحتها. لكن الآنسة "**كرافين**" كانت تستقبله بكل جفاء، وعندما توجه إلى القرية واشترى علبة شوكولاتة وأرسلها إلى السيدة، أعادتها إليه الممرضة معلنة أن السيدة "**فرانكلين**" لا تحب الشوكولاتة. فما كان منه إلا أن فتح العلبة في حجرة التدخين وقام بتوزيع ما بداخلها علينا. بالنسبة إلى "**نورتون**" لقد شعرت بأنه يعاني في هذا الصباح ضيقاً؛ لأني لاحظت أنه شارد على غير عادته. ومن حبه للشوكولاتة تناول منها عدداً كبيراً وهو يتطلع إلى الفضاء بنظرات زائغة، وإذا حالة الطقس تسوء والمطر يتساقط بغزارة.

حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً، كان "**كورتيس**" قد أجلس "**بوارو**" في البهو حيث كانت الآنسة "**كول**" قد توجهت للقائه ولكي تعزف له على البيان. وهي عازفة مرنة، عزفت لـ "**باخ**" و"**موتسارت**". وحوالي الساعة الواحدة إلا ثلثاً عاد "**فرانكلين**" و "**جوديت**" من المعمل. وكانت ابنتي شاحبة وقسمات وجهها مشدودة؛ ألقت إلى من حولها نظرة شاردة وكأنها غارقة في حلم بعيد، ثم انصرفت دون أن تفرج عن شفتيها، جلس "**فرانكلين**" معنا. وهو أيضاً كان يبدو متعباً ومهموماً. أتذكر أنه عندما تكلمت عن المطر الذي يمنحنا بعض الرطوبة أجابني بحمية:

– يحدث أحياناً، عندما تكون الأمور في حالة تغيير... لست أدري لماذا اعتبرته لا يقصد حالة الطقس فقط. ولما كان يتعثر في خطواته ارتطم بالمائدة وقلب علبة الشوكولاتة. بدا وكأنه يوجه الكلام إلى علبة الحلوى وقال:

«آه المعذرة». ثم انحنى وتناول قطع الشوكولاتة المتناثرة. سأله "**نورتون**" عما إذا كان متعباً. ثم نهض والابتسامة تعلو شفتيه فجأة. أجاب:

– لا، لا. لقد تحققت من أني أخطأت وعلينا أن نجد حلا أسرع وأبسط. وبعد ذلك نتمكن من الاتجاه مباشرة إلى هدفنا. وكان في هذه الأثناء يتأرجح، واضعاً قدماً على الأخرى وهو ما زال شارداً. استطرد:

– نعم، إنها أفضل وسيلة. وإن كنا قد تأثرنا بحالة الطقس الصباحية.

(3)

إذ كنا عصبيين، إلا أن فترة ما بعد الظهر مرت ممتعة جداً وهو ما كنا لا نتوقعه. وعندما ظهرت الشمس، لم تؤثر في رطوبة الجو وكانت السيدة "**ليتريل**" قد نزلت وأجلسوها تحت الشرفة. كانت تتمتع بصحة جيدة وكعادتها كانت تستخدم سحرها وتداعب زوجها الذي بدا هو أيضاً مشرقاً. وكان "**بوارو**" أيضاً – وقد وافق حينئذ على الخروج – يتمتع بمزاج حسن. حدثت نفسي بأنه قد يكون قد سُرّ عندما رأى وضع "**ليتريل**" وزوجته. كان "**ليتريل**" يبدو وكأنه أصغر من سنه بعشر سنوات. كما أنه بدا مستقراً وقد كفّ عن شدّ شاربيه، بل وعرض أن تقام مسابقة بريدج في المساء.

– إن "**ديزي**" مفتقرة لذلك. هكذا قال معلقاً. أيدت زوجة "**ليتريل**" هذا الكلام عندما قالت:

– إنها حقيقة. ثم أضافت:

– سألعب دون أخطاء متبعة القاعدة ولن أتحامل على "**جورج**" المسكين. وإذا بزوجها يعترف بأنه لاعب بريدج غير متمكن. وهنا أردفت الزوجة:

– ما المانع من أني أغيظك قليلا، إذا كنت أجد في ذلك متعتي؟ ثم واصلت:

– إني معترفة بعيوبي، لكن قد تقدم بي العمر وأصبح من الصعب أن أصححها. إذن أصبح لزاماً على "**جورج**" أن يحتملني على وضعي الحالي. وهكذا بعد أن شوهد الزوجان في حالة مزاجية جيدة، دارت المناقشة حول الزواج والطلاق. هل الرجال والنساء كانوا حقًّا سعداء أكثر إزاء فكرة تسهيلات إجراءات الطلاق؟ أم أنه كثيراً ما يحدث أن تعود المودة بين الزوجين بين فترة يشعركل منهما بالنفور من الآخر أو بعد مناقشة حادة.

وما يدعو كذلك إلى الدهشة، مدى تناقض آراء بعض الناس مع تصرفاتهم وخبراتهم الخاصة. أما عن نفسي فقد كانت زيجتي سعيدة وموفقة. وعلى الرغم من ذلك فهو لا يعارض فكرة الطلاق، وكان "**نورتون**" يشاركني الرأي على الرغم من أنه لم يتزوج وليست لديه أية خبرة عن الحياة الزوجية. أما "**فرانكلين**" فقد كان ضد فكرة الطلاق، وكان يؤيد نظرية أن من يتحمل بعض المسؤوليات عليه أن يفي

بوعوده. ومن رأيه أن العقد هو العقد، ومن يتقبله بمحض إرادته عليه أن يحترمه. وأخيراً أعلن وقد بدا مقتنعاً:

– إن الرجل الذي اختار لنفسه زوجة، عليه أن يكون مسؤولا عنها إلى أن يفصل الموت بينهما.

– وقد يكون انفصالاً مريحًا. حينئذ أردف "**بويد**":

– إنك يا عزيزي لا تستطيع تناول الحديث في مثل هذا المجال؛ لأنه لم يسبق لك زواج. هنا حك "**نورتون**" رأسه وهو يقول:

– إنها حقيقة، لكن لقد فات الأوان. وإذا "**بويد**" يلقي إليه نظرة ساخرة. ويقول:

– هل أنت واثق بذلك؟ وفي اللحظة نفسها، لحقت بنا "**إليزابيث كول**". وسواء أكان من وحي خيالي أم تحت تأثير نظرة "**بويد**" الذي كان ينتقل من وجه "**نورتون**" إلى وجه السيدة، وإذا فكرة جديدة تساورني جعلتني أراقب الآنسة "**كول**" بمزيد من الانتباه. كانت تبدو شابة بالنسبة إلى سنها، كما كانت جميلة كما هي. كانت في نظري امرأة رائعة ولطيفة كفيلة بمنح الرجل السعادة الكاملة. تذكرت أنها هي و"**نورتون**" كانا قد قضيا فترة من الزمن معًا. ولقد كانت نزهاتهما سعيًا للبحث عن العصافير والطيور المختلفة والزهور سبب خلق علاقة صداقة بينهما. أؤكد أنه إذا كانت الأمور على هذا النحو حقًّا، لابتهجت من أجلها ولن تذهب سدى. وسوف لا يقف حزنها والمأساة التي كانت قد حطمت حياتها حائلين لسعادتي المستقبلة. ولما واصلت التطلع إليها، خيل إليَّ أني أراها للمرة الأولى يوم وصولي. "**إليزابيث كول**" و "**نورتون**"؟ نعم، لم لا؟ ثم – في لحظة غير متوقعة – اعتراني إحساس بالقلق. ليس من الحذر القيام بمشاريع للسعادة هنا. إن مناخ "ستيل" مشبع بشيء غير صحي، وإذا بي أشعر فجأة أني أصبحت عجوزاً ومتعباً بل وخائفًا أيضًا. غير أنه في اللحظة التالية، كان هذا الإحساس قد تلاشى تمامًا، ولم يلمح أحد اضطرابي. عدا – وهو أمر طبيعي – "**بويد**" الذي اقترب مني بعد بضع دقائق وسألني:

– ماذا بك يا "**هاستنج**". هل من متاعب أو ضيق؟ أجبته:

– لا، لكن لماذا هذا السؤال؟

– ياإلهي، يبدو عليك... لا أدري كيف أوضح...

– ربما أنه شيء من التوقع؟

– أو أنه شعور مسبق.

– إذا شئت. إحساس بأنه سوف يحدث شيء.

– أمر عجيب، إنه الشعور نفسه الذي لازمني أنا أيضًا مرتين أو ثلاث مرات. لكن... ترى ما الذي يمكن أن يحدث؟ وكان يتفحص وجهي، وكأنه يسعى إلى قراءة الرد على سؤاله فيه، أما أنا فقد كنت مكتفيًا بأن أحك رأسي. لأن إحساسي المسبق لم يكن مستندًا إلى شيء محدد أو أكيد. ولم يكن سوى نتيجة هذا الضيق وهذا الحزن اللذين يلحقان بي من حين إلى آخر.

خرجت "**جوديت**" من المنزل بخطًى بطيئة، مرفوعة الرأس وشفتاها مضمومتان وقد بدت جادة. كم كانت تشبه والدتها وتشبهني أيضًا. كان من يراها يجدها أشبه بكاهنة صغيرة. ولا شك في أنها كانت أيضًا فكرة "**نورتون**" لأنه رفع عينيه إليها قائلا لها:

– يبدو أنك تشبهين من لك اسمها نفسه قبل أن تقطع رأس "**هولوفيرن**". رفعت "**جوديت**" حاجبيها وابتسمت وقالت:

– على أية حال، أنا لا أستطيع أن أتذكر سبب ما قامت به.

– كان ذلك من أجل الرفع من معنويات الجالية. فكان بما في نبراته من سخرية خفيفة، قد ضايق ابنتي. علت الحمرة وجهها ومرت أمامه في صمت، ثم جلست بجوار الدكتور وأعلنت:

– إن زوجة الدكتور "**فرانكلين**" تشعر الآن بتحسن ملحوظ، وترغب في أن نصعد كلنا عندها لنتناول القهوة.

(4)

حدثت نفسي بعد العشاء بأن "**بربارا فرانكلين**" كانت – ولا شك في ذلك – من أولئك السيدات اللاتي لهن نزوات هوائية، وكان ذلك في أثناء ارتقائي السلم للصعود إلى حجرتها تلبية لدعوتها، كانت طوال الفترة الصباحية قد بدت غير محتملة. وفي المساء كانت في غاية الوداعة. كانت ممدَّدة على أريكتها في فستان غاية في الأناقة، وبالقرب منها وُضعت مكتبة دوارة تعلوها مشروبات. فكانت

السيدة بأناملها المرنة تعد لنا المشروب الذي وعدتنا به وذلك بمعاونة الآنسة "**كرافين**" ، وكنا كلنا حاضرين عدا "**بوارو**" الذي كان من عادته أن ينسحب قبل العشاء، و "**أليرتون**" الذي لم يكن قد عاد بعد من "**إبسويتش**" ، والسيد "**ليتريل**" وزوجته اللذان مكثا في الطابق الأول.

بعد قليل ملأت الجو رائحة عطرية جذابة، أنعشتنا جميعًا. من المعروف أن للقهوة شهرتها في "**ستيل**" بأنها عديمة الطعم، وكنا في انتظار المشروب الذي سوف تكرمنا به زوجة الدكتور "**فرانكلين**" . كان زوجها جالسًا عند الجانب الآخر للمكتبة الدوّارة يعمل على مرور الأقداح التي تملؤها. وكان "**بويد**" واقفًا بالقرب من الأريكة، أما أنا فقد كنت جالسًا في مقعد ذي مساند ممسكًا بجريدة الـ "**تايمز**" منهمكًا في حل الكلمات المتقاطعة. "**إليزابيث**" و"**نورتون**" كانا أمام النافذة، والآنسة " **كرافين**" أبعد منهما بقليل. من جانبي كنت أقرأ بعض تعريفات الكلمات بصوت عالٍ:

– "حب هادئ... أو التعرض للابتزاز" ثمانية خطابات. حينئذٍ أردف "**فرانكلين**" قائلا:

– بداهة إنه جناس تصحيحي (القيام باستبدال حروف الكلمة لتكوين كلمة أخرى منها) فكرنا خلال دقيقة واحدة. ثم واصلت قولي:

– و "الصدى مهما سألناه يجيب..." . إنها نظرية "**تينيسون**" . أردفت زوجة "**فرانكلين**" قائلة:

– إذا نطقنا كلمة (where) (معناها أين بالإنجليزية) فالصدى أيْ صدى الصوت يجيب (ju) (ومعناها أين بالفرنسية)؟ حينئذ عملت على حك رأسي من الشك.

– قد يمنحنا كلمة منتهية بالحرف (w).

– حسنًا، هناك العديد من الكلمات المنتهية بهذا الحرف: (how) كيف (now) الآن و (snow) ثلج. فكان دور "**إليزابيث كول**" أن تتكلم وكانت واقفة بالقرب من النافذة:

– إن مقولة "**تينيسون**" هي: "والصدى صدى الصوت مهما طلبنا منه فهو يجيب: الموت" . ومن خلفي شعرت بمن يكتمُ أنفاسه. كانت "**جوديت**" . ابتعدت من جهة النافذة وعبرت الشرفة. وسمعت صوت الملعقة في قدح السيدة

"**فرانكلين**" . أعطيت التفسير الآتي :

– الغيرة هي وحش ذو عينين خضراوين .

– قال ذلك "**شكسبير**" . هكذا أعلن "**بويد**" . أما زوجة الدكتور "**فرانكلين**" فقد اقترحت :

– "**أوتللو**" أو "**إميليان**" . وهكذا أعطى كل واحد رأيه وفجأة سُمعت "**جوديت**" تدوي على الشرفة وهي تقول :

– انظروا . كوكب سيّار . . . آه، واحد آخر . واستفسر "**بويد**" :

– أين يجب عمل تقدمه؟ ثم خرج لكي يلحق بالآنسة "**كول**" و "**نورتون**" و"**جوديت**" . ثم تبعت الآنسة "**كرافين**" ومن بعدها السيدة "**فرانكلين**" . واصلت جلوسي ورأسي منحنٍ على الكلمات المتقاطعة . لأي سبب غريب أتمنى مشاهدة الكوكب السيار؟ لم تكن لي أمنية أنطق بها . فجأة ظهر "**بويد**" ثانية في الحجرة . وقال :

– تعاليْ يا "**بربارا**" . أجابت السيدة "**فرانكلين**" :

– لا، أنا متعبة جداً .

– لا، يا "**بابس**" يجب أن تنذري نذراً . ثم استطرد "**بويد**" ضاحكًا :

– ولا تعترضي . سأحملك . ثم انحنى عليها وحملها بين ذراعيه . وإذا بالسيدة تنطلق في الضحك وهي تردد :

– دعني يا "**بيل**" . لا تتظاهر بالغباء .

– على الفتيات أن ينذرن نذراً . هذا ضروري . اجتازا الباب و "**بربارا**" ما زالت على ذراعيه، ثم أنزلها بهدوء على الشرفة . ملت أكثر على جريدتي، ولقد تذكرت ليلة استوائية مضيئة وكوكبًا سياراً . كنت واقفًا أنا أيضًا بجوار الباب . كنت قد التفتُ وحملت زوجتي الشابة بين ذراعيَّ لكي أُريها كوكبًا سياراً ولكي تنذر نذراً . وإذا بسطور الكلمات المتقاطعة تبدو مشوَّشة أمامي، وإذا بشبح يظهر في إطار الباب، ثم يدخل إلى الحجرة، إنها "**جوديت**" . كان لا يجب أن ترى الدموع في عينيّ . عملتُ على جعل المكتبة تدور، وتظاهرت بأني أبحث عن كتاب . أتذكر أني كنت قد لمحت طبعة قديمة لـ "**شكسبير**" . وجدتها بسهولة وبحثت عن "**أوتللو**" . سألتني

"**جوديت**" :

– ماذا تفعل يا أبي؟ تمتمت بكلمات غير معروفة عن تعريف للكلمات المتقاطعة، دون أن أكف عن تقليب صفحات الكتاب. نعم لقد كان "**إياجو**" هو الذي نطق بهذه الكلمات :

احذر الغيرة يا سيدي
إنها الوحش ذو العين الخضراء
الذي يتغذى على لحمه هو ذاته"

وواصلت "**جوديت**" كلامها بصوتها العذب :

– لا يوجد ما سيعيد إليك نعاسك الهادئ الذي كنت تنعم به بالأمس. وإذا بالآخرين يعودون وهم يضحكون وتمددت السيدة "**فرانكلين**" على الأريكة، واتخذ زوجها مكانًا من الجانب الآخر من المكتبة. وأخذ يحرك ملعقته في قدحه وهو شارد. واستأذن "**نورتون**" والآنسة "**كول**"؛ لأنهما كانا قد تواعدا مع آل "**ليتريل**" على لعب البريدج. وبعد أن شربت السيدة "**فرانكلين**" قهوتها، طلبت النقط. ولما كانت الآنسة "**كرافين**" قد تأخرت لبضع لحظات، توجهت "**جوديت**" لإحضارها من الحمام. في هذه الأثناء كان "**فرانكلين**" يتجول عبر الحجرات وفي النهاية تعثر وارتطم بمنضدة صغيرة. حينئذ صاحت زوجته :

– انتبه يا "**جون**". إنك فعلا أرعن.

– المعذرة يا "**بربارا**". كنت شاردًا؛ لأني كنت أفكر في أمر ما. استطردت السيدة وقد تأثرت نسبيًّا :

– كم أنك حقًّا بليدٌ يا عزيزي! ألقى إليها نظرة غير معبِّرة ثم قال :

– الأمسية جميلة ولي رغبة في القيام بنزهة. ثم خرج. وعندما اختفى، أعلنت "**بربارا**" :

– إن من يراه لا يمكن أن يصدق أنه نابغة. كم أني معجبة به وبتفانيه في العمل. أردف "**بويد**" قائلا :

– بالتأكيد، إنه شاب ذكي. وإذا "**جوديت**" تغادر الحجرة فجأة وتصطدم بالآنسة "**كرافين**" التي كانت تدخل في اللحظة نفسها. واستطرد "**بويد**" :

– ليتنا نتسلى بالشطرنج أو الطاولة أو الكوتشينة.

– فكرة رائعة. أفي إمكانك يا آنسة "**كرافين**" العثور على أوراق اللعب؟ في الحال أحضرت الممرضة اللعبة وناولتها لزوجة "**فرانكلين**" . قدمت الشكر للسيدة "**فرانكلين**" على ضيافتها لي متمنيًا لها ليلة سعيدة، ثم انسحبت. وعند خروجي من الحجرة لمحتُ "**جوديت**" و "**فرانكلين**" يقفان جنبًا إلى جنب بالقرب من النافذة. فحوَّل الدكتور رأسه عندما شعر بي مقبلا. ثم تقدم خطوتين مترددًا كعادته وسأل:

– أترغبين في التنزه يا "**جوديت**" ؟ حينئذ هزَّت ابنتي رأسها قائلة:

– لا، شكرًا. لا داعي إلى التنزه هذه الليلة. ثم أضافت بنبرة اعتبرتُها جافة:

– سأدخل إلى مخدعي. طاب مساؤك. خَرَجْتُ مع "**فرانكلين**" وكان مبتسمًا، وكان أيضًا يطلق صفيرًا خفيفًا من بين أسنانه. أردفت معلقًا:

– أراك مسرورًا هذا المساء. أجابني:

– نعم، لقد نجحت في أمر، طالما أجّلته، لذلك تجدني راضيًا ومسرورًا. تركته أسفل السلم وتوجهت إلى البهو حيث شاهدت لعب البريدج... وكان يُجرى هناك. فغمز "**نورتون**" لي بعينه على غير علم من زوجة "**ليتريل**" . وكانت الأمور تسير في انسجام غير مألوف ولم يكن "**أليرتون**" قد عاد حتى تلك اللحظة. ولقد بدا لي أن جوَّ المنزل في غيابه لم يكن ثقيلا كالمعتاد. ثم بعد لحظة، صعدت وذهبت لكي أقرع باب حجرة "**بوارو**" . وجدته يتبادل الحديث مع "**جوديت**" . وإذا بابنتي تبتسم لي. وقال "**بوارو**" :

– لقد عفتْ عنك يا صاحبي. تمتمت قائلا:

– أحقًّا... أكاد ألا أصدق! فنهضت "**جوديت**" واقتربت مني وحوَّطتني بذراعيها قائلة:

– مسكين يا والدي. أنت من يجب أن تغفر لي. سامحني وقل لي طاب مساؤك. أردفتُ في هدوء وبصوت خافت قلت:

– سامحيني يا بنتي. لم يكن في نيتي... لست أدري لماذا نطقت بهذه الكلمات... حينئذ قاطعتني ابنتي:

– عفوًا، ليتنا لا نذكر ذلك بعد الآن. إن الأمور على ما يرام حاليًّا. ثم ابتسمت لي مرة أخرى قبل أن تنصرف. وعندما انصرفت رفع "**بوارو**" عينيه نحوي وقال:

– ما الذي حدث هذا المساء؟ قمت بحركة غير معبّرة. ثم أجبته:

- ليس من شيء غير عادي. ولا أشعر بأنه سيكون لذلك أيّ صدى. وكنت مخطئًا فعلا! لأنه حدث للأسف ما لم أكن أتوقعه. حدث في تلك الليلة أن عانت السيدة "**فرانكلين**" آلامًا مبرحة. بعد أن فحصها زوجها استدعى طبيبين آخرين، لكن كان ذلك عبثًا. في صباح اليوم التالي كانت قد فارقت الحياة، ولم نعرف الحقيقة إلا بعد أربع وعشرين ساعة: لقد توفيت "**بربارا**" متأثرة بالسم.

الفصل الرابع عشر

تم التحقيق بعد يومين. وكان التحقيق الثاني الذي حضرته في "**ستيل سان ماري**". سمعنا أولا شهادة الطبيب الشرعي. وكان هناك تقرير يفيد بأن وفاة "**بربارا فرانكلين**" ترجع إلى تسمم بمادة الـ "فيزوستجمين" -وهو اسم آخر للـ "إيزيرين" وهما من المواد السامة. غير أن التحاليل أظهرت أنواعًا أخرى من القلويات ترجع إلى حبوب الفول "**كالابار**" ولا شك في أنه تم تناول هذا السم في الليلة السابقة للوفاة فيما بين الساعة السابعة ومنتصف الليل.

وأما الشاهد الثاني فقد كان الدكتور "**فرانكلين**" شخصيًّا. ولقد حرص هذا الدكتور بعد وفاة زوجته على حصر جميع المحاليل الموجودة بمعمله، واكتشف ما هو مزعج: قنينة معينة بها محلول مركّز من القلويات الموجودة في حبوب الفول "**كالابار**" كانت قد امتلأت بماء عاديّ. وكان الدكتور لا يستطيع تحديد متى تم الاستبدال بالتأكيد؛ لأنه لم يستعمل هذه التركيبة منذ عدة أيام. وعندما وُجه إليه السؤال عن وضع المعمل، أكد الدكتور "**فرانكلين**" على أنه يحرص على غلقه والاحتفاظ بالمفتاح في جيبه، والآنسة "**هاستنج**" هي الوحيدة التي معها نسخة من المفتاح وعلى كل من يريد الدخول إلى المعمل أن يطلب المفتاح منه أومنها. وإنه كثيرًا ما كانت زوجته تطلب المفتاح لأخذ شيء ما من المعمل تكون قد نسيته بالداخل. ولقد أعلن الدكتور كذلك أنه لم يأتِ قط بمادة الـ "فيزوستجمين" إلى المنزل.

وللإجابة عن سؤال آخر، كان الدكتور قد أجاب بأن زوجته كانت لا تعاني أي مرض عضوي. وأنها كانت في الآونة الأخيرة تعاني انحرافًا في المزاج يرجع إلى

حالات عصبية، ومع ذلك كانت - منذ عدة أيام - تبدو مرحة وحالتها المعنوية مرتفعة، مضيفًا بانهما -هو وزوجته- دائمًا على اتفاق. ولا يحدث بينهما أية خلافات، وأن زوجته ليست من تلك الفئة من النساء اللاتي يفكرن في الانتحار. ولقد ذكر الزوج أنه حقًا كان قد سمع زوجته تتمنى أن يضع الله حدًا لحياتها، لكنه لا يشك في أنها تفكر في إنهاء حياتها بنفسها. تلته للاستجواب الآنسة "**كرافين**" وقد كانت إجابتها لا تقل وضوحًا ودقة عن أجوبة الدكتور، كما أعلنت وقتئذ أنها كانت تهتم بالسيدة زوجة الدكتور "**فرانكلين**" منذ عامين. وأن مريضتها لا تعاني سوى حالات عصبية. وردًا على هذا السؤال:

- هل كان يحدث أحيانًا أن يكون بينهما خلافات؟ أجابت:

- لا، بتاتًا. بل عُرضت على زوجها فرصة عمل مرموقة بالخارج ورفضها حتى لا يترك زوجته.

- وبالتالي مثل هذه الحادثة أضافت مزيدًا من الضيق إلى نفس الزوجة؟

- نعم. وكثيرًا ما كانت تبدو عنيدة وتطلب الموت.

- وهل الدكتور "**فرانكلين**" كان على علم بذلك؟

- لا أعتقد أنها كانت تحدثه عن ذلك.

- لكنها كانت معرضة لمزيد من الاكتئاب.

- آه، بالتأكيد.

- ألم تعلن ذات يوم أنها سوف تنتحر؟

- إنها كانت تردد بصفة عامة: "ليتني أنتهي من عذابي هذا". هكذا كانت تعبّر عن ضيقها.

- تُرى، هل أشارت ذات يوم إلى الطريقة التي ستنهي بها حياتها؟

- أبدًا.

- ألم يحدث ما يثيرها أكثر في الأيام الأخيرة؟

- لم أشعر بحدوث أي تغيير، بل بالعكس، لقد كانت مرحة في أيامها الأخيرة.

- هل أنت متفقة في الرأي مع الدكتور "**فرانكلين**" بأن مزاجها كان معتدلا ليلة وفاتها؟ ترددت الآنسة "**كرافين**" ثم أعلنت:

- حسبما كنت أراها، لقد كانت عصبية بعض الشيء. كما كانت قد قضت يومًا

سيئًا، وكانت تشكو من آلام ودوار، لكن هذا صحيح، إنها في المساء كانت قد تحسنت حالتها... ومع ذلك... كانت لا تشعر بالارتياح.

– هل لديك أية علبة دواء أخرى قد تكون محتوية على هذا السم؟

– لا.

– وما الذي تناولته السيدة من أطعمة في العشاء ليلة وفاتها؟

– شوربة خضار وشرائح من اللحم وبطاطس وبسلة، وكانت قد شربت كأسًا من نبيذ "**بورجوني**" الفاخر.

– ومن أين كان هذا النبيذ؟

– كانت عندها زجاجة من هذا النوع في حجرتها. على أيّ حال لقد تم تحليل ما تبقى في الزجاجة، وأعتقد أنه لم يُعثر على أيّ أثر لسم.

– تُرى، هل من الممكن أن تكون قد سكبت السم في كوبها على غير علمكم؟

– من المحتمل؛ لأني لا أراقبها بدقة؛ إذ كنت مشغولة في ترتيب الحجرة. وهي تحتفظ بحقيبة يدها وبالصندوق الطبي (صيدلية شخصية) بالقرب منها ومن الممكن أن تكون قد سكبت أي شيء كان في النبيذ الذي شربته أو في القهوة أو في الحليب (اللبن) الذي شربته قبل النوم؟

– هل لديك فكرة عمّا تكون قد قامت به بالنسبة إلى القنينة التي من المحتمل أن يكون بها السم؟ بعد تفكير لبضع ثوانٍ أجابت الآنسة "**كرافين**":

– حسب رأيي، من الممكن أن تلقي بها من النافذة، أو ببساطة في سلة مهملات الورق. ومن الممكن أن تغسلها وتعيدها إلى دولاب (عبارة عن صيدلية) بالحمام وفيه دائمًا قنينات فارغة.

– متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها الفقيدة؟ في الساعة العاشرة والنصف. عندما أحضرت لها الحليب (اللبن) الساخن وكانت قد طلبت مني قرص أسبرين.

– وكيف كانت حالتها الصحية في تلك الفترة؟ فكرت الممرضة ثانية وقالت:

– كالمعتاد. هكذا بدا لي، لكن لا. كانت تبدو متوترة.

– لكنها ليست بالتالي مكتئبة؟

– لا بتاتًا، لكن الشخص الموشك على الانتحار يشعر بالاكتئاب.

– أتتوقعين أنها من فئة السيدات اللاتي يملن إلى الانتحار؟ بعد فترة صمت بدت

فيها مترددة، أجابت الآنسة "**كرافين**".

– ياإلهي! أعتقد أنه من الصعب أن أؤكد ذلك، أعتقد أن الإجابة نعم؛ لأنها لم تكن متوازنة في الأيام الأخيرة. ثم تم استدعاء السيد "**ويليام بويد**" وكان يبدو مضطربًا، لكن شهادته كانت واضحة جدًا على الرغم من ذلك. وكان قد لعب مع زوجة "**فرانكلين**" في الليلة نفسها ولم يلمح عليها أي اضطراب، غير أنها كانت قد لَمحتْ إلى أنها ترغب في الانتحار. كانت سيدة كريمة تقدِّر عمل زوجها وتشجعه، إلا أنها كانت تبدو مكتئبة في بعض الأحيان..

تلت "**جوديت**" "**بويد**"، لكن لم يكن لديها إلا القليل من المعلومات. كانت تجهل كيف تم أخذ محلول الـ"فيزوستجمين" من المعمل، وأكدت أن السيدة كانت في ليلة وفاتها في حالة طبيعية. وأخيرًا أعلنت "**جوديت**" أنها لم تسمع زوجة "**فرانكلين**" تتمنى الموت قط. وآخر شاهد كان "**بوارو**". وكانت شهادته قد تمت في شيء من الثقة. وكان قد بدأ بسرد حديث كان قد دار بينه وبين الفقيدة ليلة المأساة. وأنها كانت وقتئذٍ تعاني إحباطًا شديدًا وتتمنى أن تفارق الحياة، وأنها كانت قلقة بشأن حالتها الصحية، كما كانت قد صارحته بأنها تعاني لحظات اكتئاب تبدو لها من خلالها عديمة الفائدة. وكانت تركز في أن أفضل شيء هو أن تنام كي لا تستيقظ في الصباح. وكان لرد "**بوارو**" على السؤال التالي صدى أوسع.

– لقد كنت بالقرب من المعمل صباح يوم العاشر من حزيران (يونيو)، أليس كذلك؟

– بلى.

– وهل شاهدت السيدة الفقيدة خارجة منه؟

– نعم.

– وهل كانت ممسكة بشيء ما؟

– نعم، كانت تضم قنينة في يدها اليمنى.

– هل أنت واثق بقولك هذا تمامًا؟

– بالتأكيد.

– تُرى، هل ارتبكت عندما رأتك؟

– لقد بدت لي وكأنها فزعت بعض الشيء. توجه المحقق بعد ذلك إلى الجنة

التحكيم، قائلا:

– عليكم الآن يا سادة أن تحكموا وتقرروا سبب وفاة هذه السيدة بعد أن أثبت التقرير الطبي بأنها ماتت متأثرة من سم الـ "فيزوستجمين". عليكم أن تصدروا قراركم بأنها تناولته بنفسها طوعًا أو أن شخصًا دخيلا قد دسه لها. ولقد أقر أكثر من شاهد أنها كانت تعاني حالات اكتئاب علي الرغم من أنها كانت لا تشكو من أيّ مرض عضوي. من جانب آخر ها هو السيد "**هركيل بوارو**" يشهد بأنه رآها خارجة من المعمل وبيدها قنينة. على لجنة التحكيم أن تقر الآن أن هذه السيدة أخذت سُمًّا بغرض إنهاء أيامها على الأرض. من جانب آخر، كان مشهودًا لزوجها الدكتور "**فرانكلين**" أنه كان يحبها ولم يُبدِ يومًا أيَّ تذمر بالنسبة إلى حالتها الصحية. وها هو أصبح من الصعب حاليًّا تحديد كيف تم الانتحار وما هي مسبباته. كما وأنه من وجه الغرابة عدم العثور على القنينة الفارغة. كما وأنه من الممكن أن تكون السيدة قد غسلت القنينة ووضعتها في الدولاب كما توقعت الآنسة "**كرافين**". والآن أيها السادة المستشارون، عليكم تحديد بيانكم.

بعد مداولة قصيرة، أصدرت لجنة التحكيم حكمها الآتي: "لقد انتحرت السيدة زوجة الدكتور "**فرانكلين**" وهي في حالة جنون عابرة!"

(2)

ثم بعد نصف ساعة تواجدتُ في حجرة "**بوارو**" وكان يبدو منهكًا، كان "**كورتيس**" قد وضعه على سريره وكان منهمكًا في إعطائه الدواء. وكان عليّ أن أصمت إلى أن ينصرف الخادم وبعد ذلك انفجرت:

– أخبرني يا "**بوارو**" هل هي الحقيقة التي اعترفت بها كشاهد؟ هل أنك حقًّا رأيت قنينة في يد السيدة زوجة "**فرانكلين**"؟ وفي اللحظة التي كانت خارجة فيها من المعمل؟ وإذا بابتسامة عابرة تبدو على شفتي الضابط العجوز.

– ألم ترها بنفسك يا صديقي؟

– بلى.

– ربما أنك لم تنتبه لها.

– أتتوقع أني كذبت؟

– من الممكن.

– إنك تفاجئني يا "**هاستنج**" وتجرح شعوري. أين ثقتك بي إذن.

– لا أستطيع تصديق أنك أدليت باعتراف كاذب. مرة أخرى ابتسم "**بوارو**" وقال:

– هذه لا تعتبر شهادة زور طالما ليست بقسم.

– غير أنها كذب. فقام بحركة غير مفهومة بيده.

– إن ما قيل قد قيل ولا فائدة من الرجوع إليه.

– حقًّا أنا لا أفهمك.

– ما الذي لا تفهمه؟

– اعترافك: تُرى، هل صارحتك الراحلة بأنها تعتزم الانتحار.

– لقد سمعتها أنت نفسك وهي تبدي مثل هذه الرغبة، أليس كذلك؟

– بلى، لكن لم يكن ذلك سوى واحدة من خواطرها. إنك لم تذكر هذه النقطة.

– ربما أني لم أقصد ذلك. ثم بنبرة هادئة قال:

– أعتقد يا "**هاستنج**" أنك غير مقدِّر خطورة الموقف. نعم كنت أبغي فعلا إصدار بيان بالانتحار.

– ومع ذلك إنك لا تعتقد أن هذه السيدة انتحرت. هزّ رأسه ببطء. سألته بإلحاح:

– إذن، إنك متوقع أنها أُغتيلت.

– لماذا – في هذه الظروف – حاولت خمد الموضوع والعمل على إصدار بيان يضع نهاية للبحث؟ هل هذا هو ما كنت تبغيه؟

– نعم.

– يا إلهي! ولأيّ غرض؟!

– أمن الممكن ألا تدرك ذلك؟ على أيّ حال لا يهم. ليتنا لا نركز في هذه النقطة، لكن في إمكانك أن تصدق كلامي: إننا أمام جريمة قتل. لقد سبق يا "**هاستنج**" وأخبرتك بأنه سوف تُرتكب جريمة هنا، وكان من الصعب أن نحول دون ارتكابها؛ لأن الجاني متمكن. شعرت بقشعريرة، وقلت له:

– وماذا سوف يحدث بعد؟ بدت ابتسامة أخرى من "**بوارو**" وقال:

– لقد تم اعتبار الوفاة انتحاراً، لكنك أنت وأنا يا "**هاستنج**"، علينا مواصلة عملنا في الخفاء. ،عاجلا أم آجلا سيقبض على الشخص (س).

– وإذا تم – ونحن في الانتظار – حدوث جريمة قتل أخرى؟

– لا أعتقد أنه يكون ممكنًا. هذا إلا إذا كان – بداهة – قد شاهد أحدهم شيئًا ما أو علم به، لكن في هذه الحالة لكان الشاهد قد أدلى بما رآه أو علمه في أثناء التحقيق.

الفصل الخامس عشر
(1)

إن ذكرياتي مشوشة فيما يختص بالفترة التي تلت التحقيق في مقتل أو وفاة زوجة الدكتور "**فرانكلين**". وبالتأكيد لم أغفل عن ذكر مراسم الجنازة التي حضرها لفيف من الفضوليين في "**ستيل سان ماري**". وحدث في هذه المناسبة أن التقيت بسيدة عجوز عند باب المقبرة بالتحديد، فاقتربت مني وقالت لي:

– إني أتذكرك يا سيد. تمتمت قائلا:

– يا إلهي! أمن الممكن! واصلت كلامها دون أن تهتم بكلماتي:

– الفترة طويلة جداً، أليس كذلك؟ كانت أول جريمة ارتكبت في "**ستيل كور**"، وكنت قد قلت وقتئذ: "لن تكون الأخيرة. العجوز هي السيدة زوجة "**إنجلتروب**" والذي قتلها هو زوجها. ثم قالت ملقية إليّ نظرة خبيثة:

– وقد تكون هذه المرة الشيء نفسه. سألتها بنبرة جافة:

– ماذا تقصدين؟ ألا تعلمين أن لجنة التحكيم أصدرت بيانها بالانتحار؟

– وأولئك الرجال أخطؤوا، أليست حقيقة؟ دفعتني بكوعها ثم أردفت قائلة:

– إن الأطباء يجيدون التصرف عندما يرغبون في التخلص من شخص ما. ألقيت إليها نظرة ثائرة، فحولت نظرها عنّي معلنة أنها لا تقصد شيئًا، غير أنها أضافت قائلة:

– على أيّ حال، أمر عجيب أن تتكرر هذه المأساة وأنت ما زلت هنا. خلال لحظة

واحدة، تساءلت عمّا إذا كانت هذه السيدة تشك في أني مَن ارتكب الجريمتين، الأمر الذي جعلني أرتبك. كم هو أمر يتصف بالغرابة عندما يكون للشبهات فرصة للانتشار واتخاذ شكل مغاير خاصة في القرى.

في النهاية، أفكار هذه العجوز ليست بعيدة عن الحقيقة، ما دمت أنا ذاتي أعلم أن زوجة الدكتور "**فرانكلين**" أُغتيلت. وكما أشرت قبل ذلك، أنا لا أذكر جيداً الأيام التي تلت المأساة. أولا؛ لأني قلق بشأن حالة "**بوارو**" الصحية؛ إذ حدث أن "**كورتيس**" أتاني ذات صباح - وكان وجهه شاحبًا وقد بدا مضطربًا - لكي يخبرني بأن سيده يعاني أزمة شديدة تفوق المرات السابقة. ثم أضاف قائلا:

- أعتقد أنه يجب أن يذهب إلى الطبيب أو أن يعوده طبيب بالمنزل. أسرعت بالتوجه إلى حجرة صديقي العجوز الذي عارض بشدة فكرة استدعاء طبيب. عجبت لذلك؛ لأن من عادته القلق على حالته الصحية حتى إذا ما اعترته وعكة خفيفة، كان يتجنب تيارات الهواء، ويحوط عنقه بكوفية من الصوف أو من الحرير، ويخشى من أن يبلَّ قدميه، ويقيس درجة حرارته، كما كان يلجأ إلى الفراش إذا أصابته نوبة برد. وهو يستشير طبيبه الخاص بانتظام.

والحال هكذا، وكان فعلا في حالة مرضية شديدة، ولكنه اتبع عكس تصرفاته المعتادة وربما لأنه حتى الآن لم يعانِ إلا اضطرابات خفيفة. لكنه حاليًّا يخشى من الوقوف على الحقيقة؛ لذلك كان لا يمنح الأزمة التي لحقت به أهمية قصوى. قال:

- كم استشرت كثيراً من الأطباء، لقد استشرت المتخصصين وكانوا قد أشاروا إليّ بالتوجه إلى "**مصر**". وكانت هذه الرحلة عوضًا عن أن تعمل على تحسين حالتي زادتها خطورة. ثم ذكر لي اسم طبيب لندني متخصص في أمراض القلب، ذي شهرة عالمية. سألته بحرارة:

- وماذا قال لك؟ حينئذ ألقى إليّ نظرة جانبية. شعرت بقلبي ينقبض إثرها، وأعلن بنبرة هادئة:

- لقد أجرى لي كل ما يمكن عمله، ووصف لي أدوية وبالتالي إن استشارة أطباء آخرين تصبح بلا فائدة. لاحظ يا عزيزي أن الماكينة أصبحت قديمة. وا أسفاه! من المستحيل مثلا استبدال القلب كما يستبدل (الموتور) في السيارات.

– وبعد يا "**بوارو**"، لا بد وأن هناك أسلوبًا علاجيًّا آخر. إن "**كورتيس**"...
– "**كورتيس**"؟
– نعم، لقد حضر لكي يخبرني أنه قلق، على ما يبدو إنك تعاني أزمة جديدة.
– آه. قد تكون هذه الصدمات الخفيفة مؤلمة لمن سبق أن عاناها و"**كورتيس**" لم يعتدها.
– حقًّا إنك رافض فكرة أن يفحصك أحد الأطباء حاليًّا؟
– أكرر لك أن مثل هذه الفكرة لن تأتي بفائدة. كان قد تكلم بنبرة هادئة لكنها حاسمة وفي كل مرَّة كان قلبي ينقبض ثم ابتسم لي وقال:
– إن الأمر الذي يشغلنا – يا "**هاستنج**" – سيكون الأخير، آخر ما نفكر فيه. بل وسيكون شائقًا جدًّا؛ لأن ما يشغلنا هو سفاح فريد من نوعه؛ إذ إنه يستخدم خطة فنية خارقة، لقد أعجبت بها كثيرًا، لقد هزمني أنا "**هركيل بوارو**".
– لو كنت متمتعًا بقوتك السابقة... حقًّا لقد نطقت بهذه الكلمات بلهجة مطمئنة، لكن في الواقع لم يكن وقعها طبيا.
– كم مرة كان يجب عليّ أن أكرر لك أنه لا حاجة إلى القوة البدنية لاكتشاف جانٍ أو سفّاح أو القبض عليه. إنما الأمر يحتاج إلى تفكير.
– نعم وهو أمر طبيعي، وبالنسبة إليك في وسعك أن تفعله، بل وبإتقان.
– بإتقان؟ أتريد أن تكدرني؟ نعم إني كفيل بالقيام بهذا العمل وبإتقان. حقًّا لقد ارتخت ركبتاي وقلبي لا يكف عن القيام بألاعيب مختلفة من حين إلى آخر، لكن عقلي يعمل جيداً فكما تعلم أنه – أي عقلي – من أجود العقول.
– رائع! حرصت على النطق بذلك بصوت خافت. ومع ذلك، لاحظت أن ذهن "**بوارو**" الذي يعتبره فريداً من نوعه قد اقترب من الأحداث الأخيرة. أولا، زوجة "**ليتريل**" التي نجت من الموت بأعجوبة، ثم زوجة السيد "**فرانكلين**"، التي لم تحظ بالحظ نفسه، ثم ما الذي قمنا به لمهاجمة المجرم؟ لا شيء.

(2)

وفي اليوم التالي قال لي "**بوارو**" :

– لقد اقترحت يا "**هاستنج**" أن أستشير طبيبًا .

– أؤكد لك أنني سوف أطمئن لو أنك استشرت طبيبًا .

– ليكن، سوف تُسرّ لأني وافقت، وسأذهب إلى الدكتور "**فرانكلين**" . وإذ فوجئت كررت :

– "**فرانكلين**" ؟

– إنه طبيب، أليس كذلك؟

– بالتأكيد لكنه يكرس كل وقته للأبحاث .

– أعلم ذلك جيداً، وأعتقد أنه سوف لا يجيد مثل طبيب ممارس . قد لا يكون له الأسلوب نفسه . ومع كلٍّ، إنه متخصص . وهو في الواقع يعرف عمله أكثر من كثيرين من زملائه الأطباء . لم أقتنع تمامًا بهذا العرض . . ليس لأني أشك في خبرة الدكتور "**فرانكلين**" إنما بحسب رأيي، إني أراه غير مهتم بالأمراض الشائعة . بيد أن "**بوارو**" كان – بموافقته على العمل بما عرض عليه – يقوم بعملية تساهل . هذا بالإضافة إلى أن طبيبه الخاص غير موجود حاليًّا، والدكتور "**فرانكلين**" رحب باستقبال المريض، على أنه إذا كانت حالة المريض تبدو في حاجة إلى علاجه لفترة طويلة، حينئذ لابد من استدعاء دكتور آخر . لقد قضى فترة طويلة في حجرة "**بوارو**" . وعندما خرج منها، أخذته عندي وأعدت غلق الباب . سألت وقد بدا القلق في نبراتي :

– وبعد ؟

– إنه إنسان متميز . أردفت قائلا :

– هذا أعرفه جيداً، لكن بالنسبة إلى صحته؟

– آه! صحته، من البديهي أنها ليست على ما يرام . كان "**فرانكلين**" قد فوجئ بسؤالي وكأنه سؤال غير ضروري . وقد يكون رده عليّ أحد أساليب الأطباء المألوفة . ومع ذلك كانت ابنتي قد أكدت لي مراراً أن "**فرانكلين**" كان من الطلاب المتميزين البارزين . كررت ملحًا :

– ماذا به؟ تفرس فيَّ لحظة ثم أردف قائلا:

– أتريد أن تعرف؟

– بالتأكيد. تُرى، ما الذي سيتخيله هذا المخلوق العجيب؟ استطرد قائلا:

– أغلبية الناس لا يتمنوْن أن تحدد حالتهم. إنهم يرغبون في أن من حولهم يطمئنونهم، وبذلك يحصلون على بارقة أمل، كما يحدث أن تشاهد حالات شفاء مذهلة وغير متوقعة، لكن للأسف لن تكون حالة "**بوارو**".

– هل تقصد... أحسست في الحال وكأن أحشائي تعتصر. أجابني وهو يومئ برأسه:

– نعم. لقد... فقد... بل وأخشى ألا تطول أيامه على الأرض، ومن البديهي أني لن أسمح بذلك.

– إنه إذن... في طريقه إلى...

– بالتأكيد. وهو يعلم أن قلبه معرّض للتوقف بين لحظة وأخرى. وبالتأكيد، من المستحيل توقع اللحظة التي سوف يتم فيها ذلك بالتحديد. توقف لحظة ثم واصل بصوت خافت قائلا:

– حسبما فهمت منه أنه يخشى ألا يجد الوقت الكافي لإتمام... شيء ما قد بدأه. هل تعلم ما هو؟

– نعم أعلمه. فألقى "**فرانكلين**" إليّ نظرة حائرة وقال:

– كان يرغب في التأكد أنه أنهى المهمة التي بدأها. تساءلت عمّا إذا كانت للطبيب فكرة عن هذه المهمة، ثم واصل قائلا:

– أتعشم أنه سوف يصل إلى غايته التي بدت لي ذات أهمية قصوى عنده. إنه رجل عبقري.

– ألا يمكن إجراء أية محاولة؟ وألا يوجد عقارٌ يفيد في... هزّ رأسه ببطء وقال:

– لا، عنده أمبولات "أميلنترات"، يتناولها عند الإحساس ببداية أزمة، وعدا ذلك ليس هناك شيء آخر. ثم أضاف بعد عدة ثوانٍ من التردد قائلا:

– إنه يحترم حياة الإنسان، أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك. قد تكون حقيقة. كم من مرَّة سمعت "**بوارو**" يردد: "أنا لا أؤيد الاغتيال".

– إنه على خلافنا؛ إذ إنه ليس لي الاحترام نفسه. وقفت أتطلع إليه وهو يميل برأسه إلى الجانب محاولا أن يبتسم.

– وهي حقيقة، ما دام الموت لابد من أن ياتي بأيّ شكل. ولا يهم أن ياتي مبكرًا أو متأخرا؟ لا فرق بين الحالتين. سألته:

– إذا كان هذا رأيك، فلماذا اخترت مهنة الطب؟

– إن الطب يا عزيزي، لا يقتصر على تأخير ساعة الوفاة، إنما يعمل على تحسين حالة المريض الصحية. إذا تُوفي رجل ذو شأن وهو بصحة جيدة، تجد أن هناك أهمية كبرى للبحث عن سبب الوفاة، لكن إذا مات شخص أبله فلا أهمية لذلك. لكن إذا تم اكتشاف وسيلة لتحويل هذا الأبله إلى شخص طبيعي. على سبيل المثال، بتعديل غدده، تكون في ذلك أهمية نافعة. وقفت أتأمله باهتمام متزايد محدثًا نفسي بأنه ليس الطبيب الذي أعمل على استدعائه إذا ما أصبت بإنفلونزا، لكني أعجبت بما له من صراحة وإخلاص وقوة شخصية. كنت قبل الآن قد لاحظت أنه تبدل بعد وفاة زوجته. وإن كان قد عانى الحزن، إلا أن ذلك لم يفقده حيويته، بل بالعكس لقد تضاعفت طاقاته للعمل وتجددت عزيمته. فجأة أضاف قاطعًا عليّ أفكاري:

– إنك أنت و "**جوديت**" مختلفان، أليس كذلك؟

– أعتقد، بلى.

– هل هي تشبه أمها؟ بعد أن فكرت لحظة ثم عملت على حك رأسي، قلت:

– ليس تمامًا؛ لأن زوجتي كانت دائمًا مرحة ومبتسمة. كانت لا تنظر إلى الأمور من الجانب المظلم والمأسوي، ولقد عملتْ على تطويري وانضمامي إلى فكرتها، حتى إن كانت بلا نجاح. أخشى ذلك. ابتسم وهو يردد:

– إنك من سلالة النبلاء. أليس كذلك؟ على الأقل هذا ما تتوقعه "**جوديت**" دائمًا، أما هي فلا تضحك كثيرًا. إنها فتاة جادة وأعتقد أنها تعمل كثيرًا، لكنها غلطتي. ثم بدا أنه عاد إلى تأملاته ثانية. أردفت مبديًا ملحوظة عادية قائلا:

– يبدو أن عملك مشوِّق.

– قد يكون كذلك في نظر نصف دستة من الأشخاص، لكن بالنسبة إلى الآخرين فهو ممل بالنسبة إليهم. وقد يكونون على حق. ثم ألقى برأسه إلى الخلف وهز كتفيه، وهكذا ظهر بمظهره المألوف: ممتلئًا حيوية.

– وهانا ساحصل على فرصتي. لقد أبلغني اليوم مكتب الوزير أن المنصب ما زال شاغراً وهو من نصيبي، ومن جانبي لي رغبة فيه. وسوف أرحل خلال عشرة أيام.

– إلى "إفريقيا"؟

– نعم. إنها رائعة.

– بهذه السرعة؟ يجب أن أعترف بأني صدمت.

– ماذا تقصد؟ لا شك في أنك تفكر في وفاة "**بربارا**". عجباً! لماذا أخفي أن اختفاءها يُعتبر بالنسبة إليّ حالة اطمئنان؟ بالنسبة إليّ، ليس لي وقت أفقده في التفكير. لقد أحببت "**بربارا**" عندما كانت فتاة جميلة... وتزوجتها، وفتر حبي لها بعد عام. لا شك في أني عملت على أن يخيب أملها فيّ؛ لأنها فكرت في التمكن من التأثير فيّ، لكنها لم تتمكن. أعترف بأني شخص أناني، لي عقل خنزير يفعل مايشاء فقط...

– ومع ذلك رفضت حينئذٍ وظيفة في "**إفريقيا**".

– نعم، لكن لأجل أسباب مالية، ودفعت بـ "**بربارا**" إلى التصرف كما كانت تفعل قبل الزواج، وإذا كنت سافرت لتواجدت في موقف بسيط. ثم ابتسم وهو يستطرد قائلا:

– غير أن الأمور سارت على ما يرام بطريقة مذهلة. حقًّا إن أغلبية الرجال الذين يفقدون زوجاتهم لا يخرجون عامة من هذه المأساة بقلوب محطمة، وهو سائد بين الجميع، غير أن الحالة واضحة جداً عند "**فرانكلين**". كان يتفحص وجهي دائماً، ولكنه كان لا يبدو مضطرباً عند مشاهدة ما يبدو عليّ من شك. واستطرد قائلا:

– إنهم لا يقدرون الحقيقة إلا نادراً، وإن كانت تساعد على توفير الوقت والحدّ من الأحاديث غير المجدية. قلت بنبرة جافة:

– ألا تشعر بالحزن من جراء ذلك، أي انتحار زوجتك؟ أجاب وقد بدا غارقًا في التفكير:

– لا أعتقد أنها انتحرت. إن البيان غير أكيد.

– إذن ما رأيك فيما حدث لها؟

– إني أجهله. ولا أتمنى معرفته. هل تدرك كلماتي؟ وكانت نظراته قد تقست عند النطق بهذه الكلمات ثم أضاف ثانية:

– لا، لا أرغب في معرفة السبب أو كيف حدث ذلك؛ لأنه لا يهمني.

(3)

لا أتذكر بالتحديد متى لمحت أن "**نورتون**" كان يبدو مشغولا ومهمومًا؛ إذ كان يبدو مغموماً منذ إجراء التحقيق وكذلك الجنازة، كما كان صامتًا وهائمًا على غير هدًى وقد تقطب جبينه، وعيناه متجهتان إلى أسفل، إلى الأرض. كان من عادته أن يمرر أصابعه داخل شعره القصير ويرفعه بطريقة مضحكة فيصير أقرب ما يكون إلى القنفذ. وكانت هذه الحركة تتكرر كثيراً حتى أصبحت من عاداته التي تعكس اضطرابه الداخلي. أخيراً سألته عمّا إذا كان قد وصلته أخبار سيئة، لكنه أجابني بالنفي. ومع ذلك، بدا لي فيما بعد أنه يسعى – بطريقة مخفية أو ملتوية – إلى معرفة رأيي في هذا الموضوع الذي يزعجه. وكان – كعادته – قد بدأ يقص قصة معقدة عن نقطة معنوية.

– كان يجب أن يكون الأمر في غاية البساطة عند إعلان طبيعة أي أمر سواء أكان جيداً أم سيئًا، أليس كذلك؟ ومع ذلك عندما تمثل الحالة، تصبح الأمور أكثر تعقيداً. على سبيل المثال: قد يحدث أن يواجه الشخص مصادفةً شيئًا؛ شيئًا ما لا يستفيد منه ولا يناسبه، هل لاحظت ما أقصده؟

– أعترف بـ "لا"، ليس بالقدر الكافي.

– من الصعب تفسيره؟ افترض أنك رأيت شيئًا ما، مثلا خطابَ شخص – ليكن خطابًا موجهًا إلى شخص غيرك، وإذا بك تفتحه في غير انتباه. وبدأت تقرؤه، ظنًّا منك أنه موجه إليك و.. قبل أن تتحقق من خطئك من أنك أخطأت عندما علمت ما لا يجب أن تعرفه. من الممكن أن يحدث مثل هذا الأمر، أليس كذلك؟

– بلى.

– حسنًا، كيف تتصرف في مثل هذا الموقف؟

– صدقني... ثم فكرت في المشكلة لحظة أخرى... ثم واصلت كلامي قائلا:

– أعتقد أن الأفضل هو الذهاب لمقابلة صاحب الخطاب مع الاعتذار عن فتحه دون

قصد. حينئذ أطلق "**نورتون**" زفيراً. وقال:

– من الممكن ألا يتم ذلك بكل بساطة، خاصة لو أنك علمت أحد التفاصيل... ليكن تفصيلا محرجًا.

– تقصد تفصيلا محرجًا بالنسبة إلى الطرف الآخر؟ لذلك يخيل إليّ أنه من الأفضل التظاهر بأنك لم تلمح شيئًا بعد أن فتحت الخطاب. أجاب "**نورتون**" بعد لحظة صمت:

– نعم بلا شك. وإن كان يبدو غير مقتنع بأن هذا حل مرضٍ، ثم أردف وقد بدا ساهمًا، مفكرًا:

– أود معرفة ما يجب أن أقوم به. أكدت له أني لا أرى حلاً آخر لمشكلته، لكنه كان واضحًا تمامًا أنه مهموم.

– اسمعني يا "**هاستنج**"، قد يكون هناك شيء آخر. تخيّل أن ما علمت يهم شخصًا ثالثًا. وأخيراً كدت أشعر بأن صبري نفد، فقلت:

– إنني يا "**نورتون**" حقًّا لا أدرك إلى أين تبغي الاتجاه للوصول إلى حل. إنك بذلك لا تستطيع قراءة خطاب خاص بالناس... ثم...

– لا، بالتأكيد لا. ليس هذا ما كنت أقصده. الأمر لا يخص خطابًا إنما لم يكن ذلك سوى مثال لتقريب المفهوم. وبالتأكيد إن ما نقرؤه أو نسمعه أو نراه، نحتفظ به لأنفسنا، هذا إلا إذا...

– إلا إذا ماذا...؟

– إلاّ إذا كان الأمر مختصًّا بأمر ترغب في جعله معروفًا لدى الجميع. منحته اهتمامي ثانية. وواصل كلامه قائلا:

– افترض أنك رأيت شيئًا ما من ثقب كالون أحد الأبواب. حينئذ فكرت في "**بوارو**". واستطرد قائلا:

– افرض ذلك لأنك تقوم بمثل هذا العمل من أجل سبب مجد! لكن إذا فرضنا أن المفتاح موجود في ثقب الكالون، فباختصار لن ترى شيئًا. تذكرت فجأة اليوم الذي كان "**نورتون**" ينظر فيه من خلال منظاره المكبر لمشاهدة أحد الطيور. تذكرت كذلك كيف شعر بالحرج والضيق وتذكرت محاولته لمنعي من أن أرى بدوري ما قد شاهد هو ذاته. وفي التو أدركت أنه قد رأى ما كان يخصني. في الحقيقة خيِّل إليَّ

أنه كان بشأن "**جوديت**" و "**أليرتون**". تُرى، هل أنا مصيب في رأيي؟ وإذا كان بشأن أمر مخالف تمامًا؟ كنت في ذلك اليوم متأثرًا بهذه الفكرة حتى إني كنت أرفض أيّ احتمال آخر. سألته في الحال:

– هل أنت رأيت شيئًا من خلال منظارك المكبر؟ حينئذ بدا "**نورتون**" دهشًا ومطمئنًا في الوقت نفسه.

– كيف استنتجت يا "**هاستنج**"؟!

– كان ذلك يوم أن تواجدنا بصحبة الآنسة "**كول**"، أليس كذلك؟

– بلى.

– ويومئذ كنت لا ترغب في أن أرى شيئًا.

– لا، لم يكن... أقصد... كان يجب ألا يعرف الأمر أيّ واحد منا.

– وماذا كان هذا الشيء أو الموضوع؟ تعتم وجه "**نورتون**" ثانية وقال:

– إن الأمر يتلخص هنا: أيجب أن أقوله؟ كان... أخيراً... كان... بعض التجسس. لقد شاهدت ما لا يجب أن أراه. كنت لا أنظر إلى ذلك، لأنه كانت هناك قمة فعلا... ثم رأيت ما زاد على ذلك. توقف... فازداد فضولي... والرغبة في معرفة هذا الأمر، لكني احترمت تكتمه للأمر. سألته:

– هل لهذا الأمر أهمية؟

– لست أدري. من الممكن...

– وهل له صلة بوفاة زوجة "**فرانكلين**"؟ فزع... ثم قال:

– أمر عجيب... لماذا هذا السؤال؟

– إذن تخميني في مكانه؟

– ليس بالضبط. غير أن هذا الحادث قد يساعد على إظهار بعض التفاصيل ذات يوم... على أيّ حال كل ذلك لا يهم. بالإجماع أنا لا أعرف كيف أتصرف. إني حائر. وكان "**نورتون**" مترددًا في إحاطتي علمًا بما كان قد رأى. على أني أراه على حق؛ لأني لو كنت في وضعه نفسه لتصرفت مثله. فجأة ساورتني فكرة وقلت:

– لماذا لا تستشير "**بوارو**"؟

– "**بوارو**"! هكذا كرر وقد فوجئ بذلك.

– بالتأكيد. اطلب مشورته. أجابني بعد برهة صمت:

– نعم، قد تكون مصيبا في رأيك هذا. بداهة إنه أحبني. توقف وقد بدا محرجًا إلى حدٍّ ما، لكنني أدركت ما يفكر فيه. لم أكن معتاداً ملاحظات "**بوارو**" اللاذعة. ولقد دهشت لأنه لم يفكر ولو مرة واحدة في أن يأخذ منظاره المكبر. وبالتأكيد لو كان فكر في ذلك. لنفّذه. أردفت قائلا:

– وكان يحترم مصارحتك له. ومع ذلك لست ملزمًا بالعمل بنصائحه. أجابني وقد بدا مفكرًا:

– نعم، أعتقد أني سأذهب لمقابلته.

(4)

دهشت لما بدا على "**بوارو**" من رد فعل؛ إذ سألني بحمية:

– ماذا تقول يا "**هاستنج**"؟ سألني هذا السؤال تاركًا فطيرته المعدة بالزبد تسقط من يده ومال نحوي قائلا:

– ليتك تكرر لي ذلك. لبيت طلبه. أردف بعد ذلك قائلا وقد بدا ساهمًا:

– إذن لقد رأى في ذلك اليوم من خلال منظاره المكبر معلومة لم يشأ أن ينقلها إليك، أليس كذلك؟ ثم مد يده وأمسك بذراعي وقال:

– ألم يذكر ذلك لأحد آخر؟

– لا أعتقد. لست متأكداً أن يكون قد تكتم الأمر.

– خذ الحذر يا "**هاستنج**". مهم جدًّا ألاّ يخبر أحداً ما بذلك. ولا حتى التلميح. وبخلاف ذلك قد يأتي بنتائج غير مرغوب فيها وخطيرة.

– نتائج خطيرة؟

– بالضبط. إن ما أقوله صحيح.

– تصرف بحيث يأتي هو لزيارتي، زيارة ودية لن تدعو إلى الشك. لكن أخبرني يا "**هاستنج**"، من كان معكما في ذلك اليوم؟

– الآنسة "**كول**".

– هل لمحت تغييراً على تصرفات "**نورتون**" أو على قسمات وجهه؟ حاولت أن أتذكر، ثم أردفت قائلا:

– لست أدري، أمن الممكن، أيجب أن أسأله إذا...

– لا، لا يا صاحبي، لا تسأله عن شيء. قطعًا لا.

الفصل السادس عشر
(1)

توجهتُ في الحال إلى "**نورتون**" لإبلاغه دعوة "**بوارو**"! وكان قد أجابني:

– حسنًا، سأذهب لكي أراه، لكنك هل تعرف يا "**هاستنج**"؟ لقد ندمت؛ لأني ذكرت هذه القصة حتى لك.

– بالمناسبة، ألم توافِ أحداً بذلك؟

– لا... على الأقل... إلا إذا... لا أنا واثق بأنه لا.

– هل أنت قطعًا متأكد؟

– نعم، لم أنطق بكلمة.

– حسنًا، خاصة ولا كلمة لأي أحد قبل لقاء "**بوارو**". في بدء الأمر لم ألمح تردده البسيط عند أول إجابة له. غير أني تذكرت هذا التردد فيما بعد.

(2)

مرة أخرى تسلقت هذه الهضبة العشبية التي سبق أن تواجدنا عليها في ذلك اليوم، وكم كانت دهشتي عندما وجدت من جديد "**إليزابيث كول**". حولت رأسها نحوي في لحظة بلوغي قمة الهضبة وقالت لي:

– إنك تبدو متوترًا يا "**هاستنج**". هل هناك ما يضايقك أو يكدرك؟ كنت في هذه الأثناء أحاول أن أهدأ. قلت:

– لا بتاتًا، غاية ما في الأمر أني متعب. ثم أضفت قائلا:

– أعتقد أنها سوف تمطر. رفعت عينيها نحو السماء وقالت:

– نعم، أتوقع ذلك أنا أيضًا. التزمنا الصمت لمدة دقيقة أو دقيقتين. كانت هذه السيدة تتمتع بجاذبية نادرة جعلتني أشعر بالتآلف معها. ولقد ازداد اهتمامي بها خاصة بعد مصارحتها لي بهويتها الحقيقية وبالمأساة التي دمّرت حياتها. ولا شك في

أن هناك ما يربط شخصين قد عانا المأساة نفسها وتمنيت أن تحصل على ربيع ثانٍ في حياتها. أردفتُ قائلا :

– لست مثقلا بالأعباء، لا، إنما أنا في حالة حزن عميق. لقد وصلتني اليوم أخبار سيئة عن صديقي العجوز.

– السيد "**بوارو**"؟ اضطررت إلى أن أفصح لها عندما لاحظت تعاطفها، وظلت صامتة للحظة بعد أن انتهيت من كلامي. ثم قالت :

– لقد فهمت. قد تأتي النهاية من يوم إلى آخر. وإذ كنت عاجزاً عن النطق، قمت بإشارة تفيد بـ "نعم". ثم استطردت قائلا :

– ساشعر بالوحدة حقًّا من بعده؛ لأنه ليس لي غيره في الدنيا.

– كيف ذلك؟ عندك ابنتك "**جوديت**" والأبناء الآخرون.

– إنهم متفرقون في أركان العالم الأربعة و "**جوديت**" دائمًا مشغولة. بل إنها لا تشعر بأنها تحتاج إليّ.

– يُخيل إليّ أن الأبناء لا يشعرون بالحاجة إلى والديهم إلا عندما يشعرون بأيْ ضيق، لكني أنا وحيدة في الدنيا أكثر منكَ. إن أختيَّ بعيدتان عني : إحداهما في "**أمريكا**" والأخرى في "**إيطاليا**".

– إنك يا صديقتي العزيزة، ما زلت في مستهل حياتك.. في الخامسة والثلاثين من العمر؟

– وماذا عن خمسة وثلاثين عامًا، أتمنى أحصل على مثلها. أضفت وقد بدا عليّ المكر :

– أنتِ تعلمين أني لست ضريراً بالكامل. ألقت إليّ نظرة استجواب ثم علت الحمرة وجنتيها، وقالت :

– أنت لا تتوقع ذلك. إننا أنا و "**ستيفان نورتون**" صديقان، ليس أكثر من ذلك. حقًّا إن بيننا نقطًا كثيرة مشتركة، لكن...

– هذا أفضل.

– إنه... طيب جداً.

– لا تعتقدي أن اهتمامات الناس هي فقط نتيجة لأرواحهم الطيبة.. إننا لم نُجعل هكذا. إذا بالسيدة تشحب فجأة. وأردفت بصوت منخفض :

– إنك شرس وضرير كذلك، كيف يمكنني التفكير في الزواج؟ لقد كانت أختي سفاحة. هذا إن لم تكن قد أصيبت بالجنون. إني أتساءل عمّا هو أسوأ.
– لا تعذبي نفسك بهذه الفكرة. لا تغفلي عن أنها قد لا تكون حقيقة.
– ماذا تقصد؟ لقد كانت حقيقة.
– لقد قلت لي ذات يوم، ليتك تتذكر: "لم تكن "**ماجي**""
– وقد تكون لنا أحاسيس.
– وهذه الأحاسيس قد تتفق أحيانًا مع الحقيقة. تفرّستْ فيّ بعينين واسعتين. وتمتمت قائلة:
– وضح من فضلك.
– أختك لم تكن مذنبة بالمفهوم الصحيح. رفعتْ يدها إلى فمها وتفرستْ فيّ أكثر وقد بدت فَزِعَة.
– إنك تفقد عقلك. ما الذي ثبّت هذه الفكرة في ذهنك؟
– لا يهم. سوف أثبت لك ذات يوم صحة كلامي.

(3)

عندما وصلتُ إلى المنزل، اصطدمتُ بـ "**بويد**". فبادرني بقوله:
– إنها السهرة الأخيرة لي في "**ستيل**"، سأرحل غداً.
– إلى "**كناتون**"؟
– نعم. ثم أطلق زفيراً وواصل كلامه:
– وأعترف لك يا "**هاستنج**" بأني مبتهج لمغادرتي هذه الأماكن. هززتُ كتفيّ، وقلت:
– آه! أعلم يقينًا أن الطعام ليس متميزاً وأن الخدمة ليست كافية، لكن...
– أنا لا أبغي الإشارة إلى ذلك. على أيّ حال إن أسعار الفندق معتدلة. ولا يجب التطلع إلى المستحيل. أنا لم أقصد عدم الارتياح، لا. إنما خاصة أني لا أحب هذا المنزل: يوجد هنا مُناخ رديء أجدني عاجزاً عن إعطاء مزيد من الإيضاح. ربما يكون المكان الذي تمت فيه جريمة قتل فيما مضى ليس هو ذاته فيما بعد. لقد جرت هنا

أمور عديدة بدءاً مما حدث لزوجة "**ليتريل**" ومن بعدها ما لاقته هذه الصغيرة المسكينة "**بربارا**" .... توقف لحظة، كان خلالها شارداً أو ربما غارقًا في أفكاره. ثم قال:

– اعتقدت أنها آخر امرأة تفكر في الانتحار. ترددت قبل أن أجيبه:

– يا إلهي! لا، لا أعتقد أن تكون حقيقة. أوقفني بإشارة من يده.

– عن نفسي، بلى. لقد كنت معها طوال اليوم السابق لما حدث في تلك الليلة، تذكر ذلك. كم كانت مرحة، مبتهجة بعد الرحلة التي قمنا بها معًا. كما كانت لا تشغل بالها إلا بأمر واحد: كانت تتساءل عمّا إذا كان "**جون**" منهمكًا في تجاربه، وعمًا إذا كان يدفع بالأمور إلى الأمام، وألا يجرب هذه الحبوب والأقراص القذرة على نفسه. أتعرف ما أعتقده يا "هاستنج"؟

– لا.

– إن الدافع إلى موتها كان زوجها من تأثير ملاحظته المستمرة لها... لأن "**بربارا**" كانت تبدو مرحة وبالتالي سعيدة كلما كانت بصحبتي. كان أيضًا يشعرها بأنها تعمل على تعثر مهنته. وبما أن هذا الزوج كان مجرداً من المشاعر، توفيت زوجته في ظروف غامضة ومأساوية، ومع ذلك لم يضطرب بأي شكل. ها هو يخبرني دون أن يبدي أي انزعاج بأنه مسافر إلى "**إفريقيا**"؛ لذلك يا "**هاستنج**" لن أدهش إذا قيل لي إنه هو الذي اغتال زوجته. هنا صِحْتُ:

– لا، لا يمكن، إنك تمزح.

– لا، أبداً، لكن إذا كانت هذه هي نيته لما اتبع هذا الأسلوب؛ لأن الكل يعلم أنه يجري أبحاثه على هذا العقار "فيزوستجمين" وبالتالي كان قد ابتعد عن استخدام هذه الوسيلة. أي هذا النوع من السم. وعلى الرغم من ذلك، لست وحدي يا "**هاستنج**" من يرى في "**فرانكلين**" شخصية عجيبة، ولقد حصلت على المعلومة من امرأة وضعت خصوصًا لمعرفة ذلك. سألته بحمية:

– من؟

– الآنسة "**كرافين**". عجزت عن إخفاء دهشتي، وقلت:

– ماذا؟!

– صه. لا ترفع صوتك. نعم إنها هي من جعلتني أفكر في ذلك، أتعلم، إنها فتاة

في قمة الذكاء ولا تغفل عن أي أمر مهما كان بسيطًا. إنها لا تحب "**فرانكلين**" و"**فرانكلين**" لم يكن ليحبها قط. كنت في بدء الأمر أتوقع ألا تقدِّر الآنسة "**كرافين**" مرضها. وفي الحال فكرت في أنها -لا بد- تعرف ما فيه الكفاية عن تصرفات "**فرانكلين**". أردف "**بويد**" قائلا:

- إنها هنا في هذا المساء.

- ماذا تقول؟ ازدادت دهشتي؛ لأن الآنسة "**كرافين**" كانت قد غادرت "**ستيل**" بعد جنازة زوجة "**فرانكلين**" مباشرة.

(4)

يلزمني منذ الآن على ما أعتقد أن أعلن أني لم أتوقع قط أن "**بوارو**" يفشل وفي المقاومة التي كانت بينه وبين (س) لم أنكر قط أن الجاني يتغلب عليه. وكنت أضع ثقتي كاملةً في صديقي على الرغم مما كان يعانيه من اعتلال صحته، معتبراً إياه الأقوى بين الخصمين؛ لأني كنت منذ سنوات عديدة معتاداً نجاحه دائماً. غير أنه كان هو ذاته من ألقى في ذهني بذار الشك.. كنت قد توجهت إليه قبل النزول لتناول العشاء. لست أدري لماذا تفوه فجأة بهذه الجملة الصغيرة:

- إذا ما حدث لي شيء ما. اعترضت بشدة مطمئنًا إياه بأنه لن يحدث له أيّ مكروه. فاستطرد قائلا:

- ألم تسمع بنفسك ما قاله الدكتور "**فرانكلين**"؟

- الدكتور "**فرانكلين**" لا يعرف أكثر من غيره. أمامك سنوات عديدة أخرى في الحياة يا "**بوارو**".

- هذا ممكن يا صديقي وإن كان غير محتمل، لكني كنت أقصد احتمالاً فريداً من نوعه وإن كان من الممكن أن أموت في أقرب فرصة، قد لا يُرضي ذلك السيد (س). حينئذ صحت وقد صدمت:

- ماذا؟

- نعم يا "**هاستنج**". (س) رجل ذكي، وسوف يفهم أن ضياعي - حتى إذا سبق وفاتي الطبيعية ولو بأيام قليلة - يعتبر كسبًا له.

– وبعد... بعد ذلك ما الذي سوف يحدث؟

– عندما يسقط أحد الضباط على ساحة القتال، حينئذٍ يا صاحبي، يأخذ غيره مكانه. وفي هذا الوضع المحتمل، عليك بمواصلة المهمة.

– كيف يمكنني ذلك؟ أنا جاهل تمامًا؟ وليس هناك ما ينير لي طريقي.

– لقد تدبرت كل أمر. إذا ما أصابني مكروه، فسوف تجد كل شيء هنا في هذه الوثائق وستجد كل ما تحتاج إليه. ثم ربت بيده حافظة الوثائق المغلقة بالمفتاح والموضوعة بجواره.

– لا داعي إلى القيام بتجربة الآن، غاية ما في الأمر أخبرني عمّا يجب أن أقوم به.

– لا يا عزيزي. هناك ما تجهله أنت من تفاصيل وما أتابعه أنا، إن لك فيها ربحًا ثمينًا.

– أتوقع أن تكون قد تركت لي تقريرًا مفصلا عن الموضوع؟

– معلومات قد تكون عديمة الفائدة في نظر (س)، لكن لك فيها منفعة لإرشادك إلى السبيل الذي سيساعدك على اكتشاف الحقيقة.

– لست واثقًا بذلك، لكن لماذا تعذب نفسك بمثل هذه الأفكار يا "بوارو"؟ إنك تميل إلى تعقيد الأمور حسبما تشاء.

– لي إحساس بأنك تعتقد أنها ليست سوى طريقة تصرف من جانبي، أليس كذلك؟! قد تكون على حق، لكن اطمئن. المعلومات التي أتركها لك ستقودك إلى الحقيقة. صَمتٌ برهةً لكي يواصل بعد ذلك قائلا:

– ومن يدري؟ قد تتمنى حينئذٍ ألا تقودك إلى هذا الحد، فتقول: "كفى، أسدل الستار". وإذا بنبرة في صوته تكشف لي من جديد عن خوف غير محدّد سبق أن أحسست به على فترات متكررة. كان ذلك أشبه بشيء مخفيّ عن نظري، ولم أكن راغبًا في مشاهدته ولا أحتمل تعرّفه، حادث أعرفه مسبقًا في أعماقي. أبعدت هذه الفكرة واستأذنت من "بوارو" لكي أنزل إلى الطابق السفلي إلى حجرة الطعام.

الفصل السابع عشر
(1)

كان العشاء في تلك الليلة يتسم بالمرح. مرة أخرى كانت معنا زوجة "**ليتريل**"، كانت تتمتع بمزاج حسن ينعكس علينا جميعًا، كما أننا كنا نمرح لسماع لهجتها الأيرلندية. أما عن "**فرانكلين**" فلم يسبق لي مشاهدته وهو بمثل هذه الحيوية. وللمرة الأولى شاهدت الآنسة "**كرافين**" دون الزي الخاص بها، زي الممرضة. وبالتالي وقد تخلتْ عن تحفظها المهني وجدتها أجمل وأكثر جاذبية.

ثم بعد العشاء اقترحت السيدة زوجة "**ليتريل**" لعب البريدج. وحوالي الساعة التاسعة أعلن "**نورتون**" نيّته للذهاب إلى "**بوارو**"

– فكرة جيدة – هكذا أعلن "**بويد**" – يُخيل إليّ أنه يجب أن أرافقك. تدخلت في حمية:

– اسمع، إن لم يأتك ذلك بالضرر... إنّ كثرة الكلام ترهقه خاصة عندما يضطر إلى مخاطبة أكثر من فرد في آن واحد. فأضاف "**نورتون**" قائلا:

– غاية ما في الأمر سأحضر له كتابًا عن الطيور. كنت قد وعدته به بالأمس. أردف "**بويد**" قائلا:

– حسنًا جدًّا، لكن هل ستنزل ثانية يا "**هاستنج**"؟

– بالتأكيد. صعدتُ مع "**نورتون**". وكان "**بوارو**" في انتظار زيارته له، ثم بعد تبادل بعض الكلمات معه، نزلت ثانية إلى البهو وبدأنا نلعب. أحسست بأن "**بويد**" صُدم من جوّ اللامبالاة الذي يسود "**ستيل**" في تلك الليلة. لا شك في أن المأساة كانت حديثة العهد حتى تُنسى بمثل هذا المرح وهذه الوقاحة. كان شاردًا ولا يولي مايقوم به أيّ التفات، وفي النهاية اعتذر للاعبين. كانت الساعة الحادية عشرة إلا الربع عندما عدت إلى حجرتي. لم أدخل عند "**بوارو**" الذي قال لي إنه كان قد نام. هذا بالإضافة إلى أني لم أكن مستعدًّا لتناول موضوع المشكلة التي تشغل بالنا. كنت أرغب في النوم وأن أنسى.

بدأت أنعس عندما سمعت صوتًا جعلني أنتفض. ظننت أولا أن أحدهم قرع بابي وقلت: ادخل، بصوت ناعس ولما لم أسمع من يرد عليّ، أضأت المصباح ونزلت

من السرير وخرجت إلى الدهليز وألقيت إليه نظرة. لمحت "**نورتون**" خارجًا من الحمام وداخلا إلى حجرته. كان يرتدي "روب دي شامبر" ذا ألوان رديئة، وشعره غير منسق. أغلق الباب بعد دخوله، وفي الحال سمعت صوت المفتاح وهو يدور في الكالون.

بعد ذلك سمعت صوت الرعد وهو يدوي بأكثر شدة من المرات السابقة. وشعرت باقتراب العاصفة! ذهبت إلى فراشي وقد اعتراني بعض الضيق عندما فكرت في أمر صوت هذا المفتاح وهو يدور في الكالون. هل اعتاد "**نورتون**" الدخول إلى حجرته وغلقها كل ليلة؟ تُرى هل "**بوارو**" هو الذي نصحه باتخاذ مثل هذا الحذر؟ حينئذ تذكرت أن مفتاح حجرة "**بوارو**" كان قد اختفى في ظروف غامضة بعد وصوله بقليل. تمددت في فراشي مفتوح العينين وأحسست بأن قلقي أخذ في الازدياد، وإذا بالرعد يضاعف من عصبيتي. أخيرًا نهضت لكي أغلق أنا أيضًا بابي بالمفتاح. بعد ذلك عدت إلى فراشي ونمت.

(2)

في صباح اليوم التالي، دخلت عند "**بوارو**" قبل النزول إلى حجرة الطعام لتناول الإفطار. وجدته راقدًا. لاحظت مرَّة أخرى أن وجهه قد امتلأ بالتجاعيد. سألته:

– كيف حالك هذا الصباح؟ حينئذ وجَّه إليّ ابتسامة باهتة وقال:

– ما زلت حيًّا يا صاحبي.

– لكنك لا تعاني، ألست متألمًا؟ أطلق زفيرًا وقال:

– لا، إنما أشعر باني متعب. متعب جدًّا.

– ما الذي حدث مساء أمس؟ هل أخبرك "**نورتون**" بما كان قد رأى في ذلك اليوم؟

– نعم لقد أخبرني به.

– ماذا كانت هذه الأحداث؟ قبل أن يجيبني أطال "**بوارو**" النظر إليَّ وقد بدا مفكرًا وقال:

– لست واثقًا يا "**هاستنج**" بأنه من اللائق أن أكرر لك ما سمعت. لئلا تسيء فهمي.

– وضّح.

– لقد صارحني "**نورتون**" بأنه رأى شخصين. سألت في شيء من الخجل:

– المعذرة، مَن كانا؟

– سأوافيك بذلك غداً. ولقد فكرت كثيراً قبل ذلك؟

– وهل أفادتك هذه المحادثة بشيء عن الموضوع؟ حينئذ أشار "**بوارو**" بـ "نعم"، ولا تبقى سوى بعض التفاصيل التي تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها. الآن انزل ياصديقي لتناول الغداء. وليتك ترسل إليَّ "**كورتيس**" . أطعته بلا اعتراض. مع ذلك كنت أرغب في لقاء "**نورتون**" لأني كنت مشتاقًا إلى معرفة ما قاله لـ "**بوارو**"، لكنني لم أكن راضيًا في أعماقي؛ إذ قد تأثرت عندما شاهدت "**بوارو**" غير حمس. لماذا هذا الحزن؟ وما هو السر الدفين لهذا الموضوع؟

لم يكن "**نورتون**" في حجرة الطعام. وفور أن انتهيت من تناول الغداء توجهت إلى الحديقة. وكانت العاصفة التي هبت في المساء قد لطفت الجو. كما لاحظت أنها أمطرت كثيراً في تلك الليلة. وكان "**بويد**" جالسًا على مسطح من الخضرة، وسررت لرؤيته. كنت أود أن أخبره بما أعلمه، لكنني امتنعت عن ذلك. لقد بدا لي "**بوارو**" أنه أصبح عاجزاً عن التصرف بمفرده، لكن "**بويد**" بدا لي ممتلئًا نشاطًا وحيوية. الأمر الذي طمأنني. قال لي:

– لقد نزلت في ساعة متأخرة.

– إنها حقيقة. لقد طالت فترة النوم.

– هل سمعت عاصفة الليلة الماضية؟ وفعلا تذكرت صوت الرعد وأنا ما بين اليقظة والنعاس. واستطرد رفيقي قائلا:

– أنا لم أكن بحالة جيدة ليلة أمس. أما اليوم فإني أشعر بتحسن. ثم تمطى وتثاءب. سألته:

– أين "**نورتون**"؟

– أعتقد أنه لم ينزل حتى الآن. إنه كسول. أنت تعلم ذلك. ثم بِحاستنا رفعنا

عيوننا؛ إذ كانت نوافذ حجرة "**نورتون**" فوقنا. كم فوجئت عندما اكتشفت أن نوافذهُ هي الوحيدة التي ما زالت مغلقة. أردفت قائلا:

– أمر عجيب! أتعتقد أنهم غفلوا عن أن ينادوه؟

– إنك على حق، أمر عجيب! أرجو ألا يكون مريضًا، هيّا بنا نصعد لكي نستطلع الأمر. صعدنا السلالم معًا. كانت عاملة النظافة – وهي فتاة تبدو غبية – واقفة في دهليز الطابق الأول. هذه الفتاة أخبرتنا – ردًّا على سؤال "**بويد**" – أن "**نورتون**" لم يجبها عندما قرعت باب حجرته. فاقتربت من الباب وبأعلى صوتي ناديت:

– "**نورتون**". "**نورتون**". استيقظ يا "**نورتون**".

(3)

عندما شعرنا بأننا لن نحصل على رد، سعينا إلى إحضار القائد "**ليتريل**". أصغى إلينا وهو يشد أحد شاربيه وقد بدا الخوف في عينيه، لكن زوجته – وهي سريعة في اتخاذ القرارات – لم تتردد ثانية واحدة وقالت:

– يجب فتح هذا الباب بوسيلة أو بأخرى. ليس أمامنا سوى ذلك. وكانت المرة الثانية التي أشاهد فيها كسر باب في "**ستيل**". وخلف هذا الباب شاهدنا ما سبق أن شاهدناه: وفاة عنيفة. وجدنا "**نورتون**" ممددًا على فراشه، مرتديًا "**الروب دي شامبر**" كان يقبض في يده اليمنى على مسدس، في مظهره يبدو وكأنه لعبة أطفال، لكنها كفيلة بأداء مهمتها. وكان على جبين "**نورتون**" ثقب واضح في وسطه. ومفتاح حجرته كان في جيبه. لم أتمكن من أن أتذكر في الحال ما يوحي به ذلك؛ لأني كنت مضطربًا جدًّا.

(4)

فور دخولي إلى حجرة "**بوارو**" لاحظ في الحال ما بدا على قسمات وجهي من اضطراب. سأل:

– "**نورتون**" ماذا حدث لـ "**نورتون**"؟

– مات.

– متى وكيف؟ وضّحت له في كلمات قليلة. أضفتُ قائلا:

– انتحار.. هذا بديهي. وكيف نعلّل بخلاف ذلك؟ الباب مغلق بالمفتاح، والمفتاح موجود في جيب "**نورتون**"، كما أن النوافذ كانت مغلقة. لقد رأيته مساء أمس داخلاً إلى حجرته وسمعتُ صوتَ المفتاح وهو يدور في كالون الباب.

– تقول إنك رأيته، هل أنت واثق بكلامك؟

– بالتأكيد. وقد أعرف على الأقل هذا "الروب دي شامبر" الذي يرتديه. فجأة استعاد "**بوارو**" عاداته القديمة وقال:

– آه! يا صاحبي، إنك الآن متأكد من شخصية إنسان وليس الـ "روب دي شامبر". قلت ببطء:

– إنها حقيقة؛ أنا لم أرَ وجهه، لكن رأيت شعره غير المنسق... وأيضًا خطواته غير الواثقة.

– أيّ شخص في إمكانه أن يعرج يا "**هاستنج**". تطلعت إليه بنظرات هلع وقلت:

– أتتوقع أني لم أرَ "**نورتون**" وأن مَن شاهدته شخصًا آخر؟

– أنا لا أتوقع شيئًا، غاية ما في الأمر، أجد نفسي مشوشًا بما وافيتني به من بيانات، الأمر الذي يساعدني على تأكيد أنه "**نورتون**" وقد يكون شخصًا آخر غيره، لكن هذا احتماله صعب؛ إذ إن جميع الرجال هنا أطول منه بكثير؛ لأنه تقريبًا لا يتجاوز مترًا وخمسة وستين سنتيمترًا، ومع كلٍ فد تكون خدعة، أليس كذلك؟ يدخل إلى حجرته ويغلق الباب بالمفتاح ويضع المفتاح في جيبه وعندما وجدناه جثة هامدة صباح اليوم التالي، نجد أن المفتاح ما زال في جيبه.

– إذن أراك غير موافق على فكرة أنه انتحر. حينئذ هزّ "**بوارو**" رأسه علامة للنفي. ثم أردف قائلا:

– لا، "**نورتون**" لم ينتحر. "**نورتون**" قُتل!

(5)

نزلتُ والحيرة تتملكني. الموضوع غير واضح ولا شك في أنه يجب أن يُغفر لي؛ لأني لم أفهم ولم أتوقع ما يمكن أن يكون قد حدث. ومع كلٍ كانت الأوضاع كلها منطقية. نعم لقد قُتل، "**نورتون**" أُغتيل، لماذا؟ بالتأكيد – هكذا حدثت نفسي – حتى يُمنع من سرد ما رأى، لكن قد يكون قد صارح أحداً ما. بحيث إن هذا الأخير في خطر حاليًا هو أيضًا. ليس فقط في خطر إنما عاجز عن الدفاع عن نفسه. كان يجب أن أفهم، وكان عليّ أن أتوقع ذلك قبل حدوثه...

– يا صديقي العزيز! هكذا كان قد قال لي "**بوارو**" في لحظة مغادرتي حجرته. وكانت الكلمات الأخيرة التي نطق بها متوجهًا إليَّ بها، وعندما وصل "**كورتيس**" وجد سيده ميتًا!

الفصل الثامن عشر
(1)

أتمنى ألا يكون لزامًا عليّ أن أكتب ما تبع تلك الأحداث، بل وكم أود ألاّ أفكر فيها على قدر استطاعتي. لقد مات "**هركيل بوارو**" وأحسستُ أني فقدتُ بفقده جزءًا من ذاتي. يُقال إن "**بوارو**" تُوفيَ وفاة طبيعية وبالتحديد إثر أزمة قلبية حادة. وهكذا كان الدكتور "**فرانكلين**" يتوقع – ولا شك في ذلك – أن سبب هذه الأزمة كان حدث وفاة "**نورتون**"، كما وأن بداهة –بعد نسيان– كانت أمبولات "أميلنترات" غير موجودة – على ما يبدو – في متناول يده، لكن هل كان نسيانًا؟ ألم يرفعها أحد ما؟ ومع كلٍّ لا. فلابد وأن تكون قد حدثت أمور أخرى؛ إذ إنه لا يمكن أن يعرف أحد ما ساعة حدوث الأزمة القلبية مسبقًا. "**بوارو**" كان قد اغتيل. تمامًا مثل "**نورتون**" و "**بربارا فرانكلين**"، لكنني كنت أجهل مَن الذي اغتالهما والغرض من اغتيالهما.

لقد أسفر التحقيق في أثر وفاة "**نورتون**" عن أنها حالة انتحار. والطبيب الشرعي أقرَّ بأنه ليس من المألوف أن ينتحر الشخص بإطلاق رصاصة على جبينه. وكان في

ذلك الجانب الغامض؛ لأن ما زاد على ذلك كان واضحًا، الباب المغلق من الداخل، والمفتاح داخل الجيب، والنوافذ مغلقة، والمسدس في يد "**نورتون**". بالتأكيد هذا الأخير كان يشكو آلامًا بالرأس أي صداعًا شديدًا: من جانب آخر كان هذا الشخص قد قام ببعض التعديلات التي بدت مؤسفة وتسببت بالتالي في خسائر مهمة، لكن هذه المبرّرات ضعيفة جدًّا لتفسير سبب الانتحار، لكن المتخصصين في دراسة حالات الانتحار كفيلون بتفسير الحالة بطريقة أو بأخرى. كان المسدس ظاهريًّا ملك "**نورتون**". وكانت عاملة النظافة قد رأته مرتين على (الكومودينو). هذا بالنسبة إليّ وبحسب رأيي، جريمة أخرى، حالة انتحار.

في المبارزة، بين "**بوارو**" والشخص (س) كان هذا الأخير قد فاز في هذه المبارزة،كان قد تغلب على "**بوارو**"، نعم، لكن مَن هو الشخص (س)؟ كان هذا الشخص (س) قد انتصر على أن أحل محله الآن وأقوم باللعبة.

صعدت إلى حجرة "**بوارو**" وأخذت معي حافظة الأوراق الجلدية. كان لي الحق في ذلك؛ لأنه كان قد وافاني بكل تفاصيل العمل. وجدت مفتاح الحافظة معلّقًا حول عنقه. عندما عدت إلى حجرتي، فتحت حافظة الوثائق، حينئذٍ صُدمت. لقد اختفت ملفات الحالات التي تحدثنا عنها وعددها خمس. وكنت قد رأيتها في الليلة السابقة لليلة الجريمة؛ إذ كان "**بوارو**" قد فتحها أمامي. وكان هذا الاختفاء دليلا على أن الجاني المجهول قد تدخل؛ لأنه كان يبدو غير محتمل أن "**بوارو**" هو الذي أباد هذه الوثائق.

(س)! دائمًا هذا الشيطان الملعون!

غير أن الحافظة لم تكن فارغة بالتمام. تذكرتُ حينئذٍ وعد "**بوارو**": سوف أجد بعض التعليمات التي قد تقودني إلى الحقيقة، لكن لم يكن بالحافظة سوى كتب: طبعة عديمة القيمة باسم "**أوتللو**" لـ "**شكسبير**". ومقطوعة "**سان جون إيرفين**" تحت عنوان "**جون فرجنسون**" وكانت في هذه المقطوعة دلالة (شريط متصل بالكتاب يوضع كعلامة فاصلة داخله) موضوعة عند مكان معيّن من البند الثالث. نظرت إلى الاثنين بعين يقظة. وكان فيهما مؤشرات كفيلة بأن تقودني إلى الحقيقة، لكنها لم تفدني بشيء. تُرى ما معناها؟ حدثتُ نفسي بعد ذلك أنه لا بد من وجود رمز معين مرتكز على هاتين المقطوعتين. أي إهداء المؤلفين. لكن ما هي كيفية

اكتشافه؟ لا وجود ولو لمقتطف واحد تحته خط ولا كلمة ولا حتى حرف، حاولت تسخين الكتابين بخفة أمام مشعٍ حراري، لكن بالتأكيد بلا جدوى.

شرعت في قراءة البند الثالث من "**جون فرجنسون**". وفيه (مونولوج) رائع. من بعده يذهب "**فرجنسون**" للبحث عن الرجل الذي اعتدى على أخته. مع كل – مهما كان بهذه الكتب من الأدب الرفيع – لا أعتقد أن "**بوارو**" تركها لي بغية منحي فرصة لتحسين حالة ثقافتي الأدبية.

ثم حدث – في أثناء تقليبي لصفحات الكتاب – أن سقطت قصاصة ورق منه على الأرض. تناولتها في حماس وحمية، وكم كانت فرحتي عندما فوجئت بانها مسطَّرة بخط يد صديقي العجوز. "اذهب للقاء خادمي "**جورج**"". أخيراً وجدت ما قد يفيد بأن يصبح مؤشراً لي. قد يكون مفتاح الـ "**كود**" أي الرمز بين يدي "**جورج**". لذلك كان لزاماً عليّ معرفة عنوانه والتوجه إليه؛ إذ إن هذا المكان هو الذي وطأته قدماه عند نزوله إلى "**إنجلترا**". وهنا ستظل قدمه عليها.. وهنا سوف يستريح إلى الأبد.

أما "**جوديث**" فقد كانت تبدو طيبة جداً نحوي خلال هذه الأيام الصعبة والكئيبة، لا تهملني بل تشملني بكل المودة والحب وتعاونني على الحصول على الأوضاع المناسبة واللازمة. كما أكد كل من "**إليزابيث**" و "**بويد**" على أنهما متعاطفان معي. كانت الفتاة لا تبدو متأثرة برحيل "**نورتون**" على خلاف ما كنت أتوقع. وإذا كانت قد تأثرت فلا شك في أنها تكتم حزنها.

(2)

لقد انتهى الآن كل شيء. الجنازة تمت وكنت في أثنائها جالساً بالقرب من ابنتي محاولا – على الرغم مما أشعر به من حزن – عرض بعض مشاريع المستقبل.

– لكن يا أبي – هكذا قالت لي في هدوء – سوف لا أكون هنا.

– لن تكوني هنا؟! ماذا تقصدين؟

– لن أكون في "**إنجلترا**". ألقيت إليها في الحال نظرة دهشة. فاستطردت

"**جوديت**" قائلة:

– لم أشأ موافاتك بهذا الخبر فوراً حتى لا أثقل عليك بالمتاعب يا أبي، لكن كان لا بد من أن أخبرك به في النهاية، وأرجو ألا أتسبب لك في ذلك بالضيق. سأرحل إلى "**إفريقيا**" مع الدكتور "**فرانكلين**". عجزت عن أن أتمالك نفسي. كانت لا تستطيع القيام بأمر مثل ذلك؛ إذ إنه قد يتسبب في أن يكون حديث الناس. أن تكون مساعدة للطبيب في "**إنجلترا**"، خاصة في حياة زوجته، كان وضعاً، لكن أن تسافر إلى "**إفريقيا**" معه، فهذا وضع آخر، خاصة بعد وفاة زوجته.. هذا مستحيل. سأعمل على التصدي لها بشتى الوسائل. بالنسبة إلى "**جوديت**". كان لا يجب أن تقبل هذا الوضع، وهي لا تستطيع التصرف على هذا النحو. تركتني أتكلم بلا توقف، ثم ابتسمت لي في وداعة وقالت:

– ليتك تعرف يا أبي أنني سوف لا أسافر بصفة مساعد طبيب. سأكون زوجته.

أحسست بصدمة قوية. سألتها وقد تلعثمت:

– لكن، آل... "**أليرتون**"؟ حينئذ بدت الدهشة على "**جوديت**" وأردفت قائلة:

– لم تكن بيننا أية علاقة يا أبي، ولولا أنك عنّفتني كثيراً لأخبرتك بهذه المعلومة. من جانب آخر أردت أن أدعك تعتقد...أو أن تخمن أن المقصود من كلامي هو.... "**جون**".

– لكني رأيتك تقبلين "**أليرتون**" ذات مساء على الشرفة.

– آه. أعلم ذلك. كنت أشعر بالتعاسة في تلك الليلة وأيضاً بالضيق النفسي... إنها أشياء قد تحدث، يجب أن تعرف ذلك.

– مع ذلك لا تستطيعين الزواج بـ"**فرانكلين**" بهذه السرعة.

– بلى؛ لأني أريد أن أسافر معه، ليس لنا أي مبرّر للانتظار... الآن.

"**جوديت**" و"**فرانكلين**". "**فرانكلين**" و"**جوديت**". أفي الإمكان إدراك مدى الأفكار التي سيطرت على ذهني في تلك اللحظة؟ إنها أفكار لابد من أنها كانت دفينة في أعماقي منذ فترة من الزمن.

كانت "**جوديت**" ممسكة بقنينة بيدها. أعلنت "**جوديت**" بنبرة عشيقة بأن الحيوات العديمة الفائدة يجب أن تمحى أمام الأخريات. والاثنان اللذان رأيتهما كانا

"**جـوديت**" و"**فـرانكلين**"، لكن في هذه الحـالـة لا يمكن أن يحـدث ذلك. ليـست "**جوديت**" ولا "**فرانكلين**". ربما كان رجلا ظاهريًا مجردًا من الأحاسيس الذي إذا سبق أن قتل، ففي وسعه أن يقتل ثانية.

كان "**بوارو**" يرغب في استشارة "**فرانكلين**". لماذا؟ وما الذي كان قد قاله له في هذا الصباح؟. لقد بدا لي صديقي العجوز شاذًا في تصرفاته. ويا له من صدى في الكلمات التي كان قد نطق بها: "ربما أنك تفضل قول: "أسدل الستار". وفجأة ساورتني فكرة جديدة. رهيبة! مستحيلة! هل قصة (س) اللغزي كلها ليست سوى اختراع؟ لقد نزح "**بوارو**" إلى "**ستيل**" لأنه كان يخشى من حدوث مأساة لدى آل "**فرانكلين**"؟ هل كان قد وفد لكي يراقب "**جوديت**"؟ وهل من أجل ذلك، لم يرغب في مصارحتي بشيء من كل ذلك؟ لأن قصة الشخص (س) لم تكن في الحقيقة ستارًا فحسب، هل كانت غلالة من دخان فحسب مخصّصة لإخفاء الباقي؟ ترى هل كانت ابنتي "**جوديت**" هي محور الدراسة كلها؟ "**أوتللو**". لقد كان "**أوتللو**" الذي كنت قد تناولته من المكتبة في المساء نفسه الذي توفيت فيه زوجة السيد "**فرانكلين**". هل كان هنا المؤشر ومفتاح اللغز؟

"**جوديت**"! ابنتي الرائعة "**جوديت**"، ألم يصفها أحدهم ذات يوم بأنها تشبه سَمِيَّتَها الشهيدة قبل أن تقطع رأس "**هولوفيرن**"؟

الفصل التاسع عشر

أكتب هذه السطور إلى "**إستبورن**"، حيث حَضرتُ للقاء خادم "**بوارو**" القديم. لقد قضى "**جورج**" سنوات عديدة في خدمة صديقي العجوز. وهو شاب عملي وجدير بالتقدير لكنه مجرد من الخيال. أعلمته بوفاة "**بوارو**". وكان رد فعله بالضبط كما توقعت؛ على الرغم من تأثره عند سماع هذا الخبر حرص "**جورج**" على إخفاء مشاعره. سألته بعد ذلك:

– لقد ترك لي رسالة. أليس كذلك؟ فوجئت برده عليّ:

– لكَ يا سيدي؟ لا، لا أدري شيئًا عن ذلك. وعندما كررت سؤالي، جاءت إجابته رسمية وواضحة:

– "بوارو" لم يترك له أية رسالة. اضطررت إلى أن أستسلم وأن أتراجع. وقلت:

– إذن لابد من أن أكون قد أخطأت. ليتني تعرفت إليك عندما كنت معه.

– وأنا كذلك يا سيدي.

– بداهة، والدك عندما مرض كان يجب أن تبقى بالقرب منه. ألقى إليّ "جورج" نظرة فزع، وقال:

– أطلب منك العفو يا سيدي، لكني لا أتبعك جيداً.

– لقد اضطررت إلى التخلي عن السيد "بوارو" ولم تأت لكي تعتني بوالدك، أليس كذلك؟

– أنا لم أطلب الابتعاد عنه، إنه هو الذي استبعدني.

– استبعدك؟! هكذا كررت دون أن أفهم.

– لا، أقصد أنه رفضني، لا؛ إذ كان يجب أن أعود إلى خدمته ثانية. لكني انصرفت بناءً على رغبته. على أيّ حال كان يمنحني مكافأة مالية مناسبة جداً عندما كنت بالقرب من والدي المسنّ.

– لكن لماذا كان ذلك يا "جورج"؟

– أعجز عن الإجابة عن هذا السؤال يا سيدي.

– ألم تستفسر منه عن السبب في ذلك؟

– لا يا سيدي؛ لأني كنت أرى أنه ليس من حقي أن أوجه إليه هذا السؤال ولأن سيدي كانت له أفكاره الخاصة، كما كان رجلا ذكيًا جدًا وجديراً بالاحترام.

– حقًا، نعم. هكذا أخذت أتمتم وأنا شارد.

– كان من الصعب جداً التميز بين ملابسه وإن كان يميل إلى اختيار الملابس الغريبة، لكن كان ذلك مفهومًا طالما كان أجنبيًا. وكذلك الاهتمام بشعره وشاربيه؛ إذ كان يعتني بهما بدقة وفي إطار الحداد.

– آه من هذين الشاربين!

تذكرت حينئذٍ كم كان مهتمًا دائمًا بهما وكذلك كم كان مفتخراً بهما!

– تخيلت أنه يصبغهما كما يفعل بالملابس.

– وإذ... كانت تعيد إليه شبابه بعض الشيء، حقًا لم تكن عصرية، لكنها كانت مناسبة له إذا أردت أن تعرف ما أقصده.

– أتصور أنه يصبغها مثل شعره.

– إذا كان يفعل ذلك، إلا أنه كان لا يقترب من شعره منذ عدة سنوات.

– مستحيل. لقد كان شعره باللون الأسود. كان لونه طبيعيًّا حتى أن من يراه يظنه (باروكة). سعل "**جورج**"؛ إذ كان يشعر بالحرج.

– المعذرة يا سيدي، لكنها كانت (باروكة) تلك التي يضعها على رأسه؛ لأنه كان قد فقد جزءاً كبيراً من شعره في السنوات الأخيرة: لذلك التزم بـ(الباروكة).

دُهشت عندما لاحظت أن الخادم يعرف الكثير عن سيده، أكثر من أفضل صديق له. ثم عدت إلى السؤال الذي يشغل بالي:

– أليست عندك حقًّا أدنى فكرة عن سبب استبعاد سيدك لك لفترة محددة؟ فَكِّر جيداً.

– لا أستطيع تخيل سوى شيء واحد، وهو أنه كان يريد إلحاق "**كورتيس**"، بالعمل عنده.

– "**كورتيس**"؟! ولِمَ هذه الرغبة؟ مَّرة أخرى سعل "**جورج**" وقال:

– صدقني يا سيدي. لا أستطيع الإفصاح أو إدراك هذا السر.... اغفر لي هذه الصراحة، لكن المرة الوحيدة التي رأيت فيها "**كورتيس**". ولم يَبدُ لي حينئذ. ذا ذكاء خارق؛ كان قويًّا، غير أنه لم يكن من فئة الخدم الذين يعجبون بالسيد "**بوارو**". أعتقد أنه كان موظفًا في فترة ما في إحدى دور الصحة، وقفت أتأمله مفتوح الفم من الدهشة. "**كورتيس**"! هل من أجل ذلك كان "**بوارو**" يرفض مصارحتي؟ "**كورتيس**" الرجل الذي لم أفكر فيه قط. ولو للحظة واحدة.

نعم، "**بوارو**" كان قد تركني أبحث عن الشخص (س) بين نزلاء "**ستيل**"، علمًا بأنه غير موجود ضمن العدد.

"**كورتيس**"! موظف في مؤسسة صحية في فترة ما. ألم أقرأ ذات يوم ربما في إحدى الصحف. أن مَن عُولجوا في هذه المؤسسات الصحية يبقون فيها كموظفين؟

رجل غريب الأطوار تمكن من القتل من أجل فكرة مظلمة كانت قد تولدت في ذهنه المضطرب. إذن في هذه الحالة:

أحسست وكأن سحابة داكنة تبتعد عني. "**كورتيس**"؟!.....

الخاتمة

مذكرة القائد "**آرتير هاستنج**" . تلقيت بعد وفاة صديقي "**بوارو**" بأربعة أشهر دعوة من مجموعة من رجال القانون بالعودة إلى دراستهم هناك. حسب التعليمات التي تركها زبونهم.. سلّموني ظرفًا مختومًا محتويًا على المخطوط الذي أقدمه أدناه: مخطوط "**هركيل بوارو**" .

صديقي العزيز،

عندما تقرأ هذه السطور سيكون قد مضى على وفاتي أربعة أشهر. في بدء الأمر ترددت في أن أكتب إليك الآتي، لكنه بدا لي بعد ذلك بالأمر الضروري لإحاطة أحدهم بالحقيقة كاملة عن ثاني حادث في "**ستيل**" : أتوقع أنك – في اللحظة التي تقرأ فيها ذلك، ستكون قد راجعت جميع النظريات، لكن دعني يا صديقي العزيز أن أخبرك بأنه كان يجب أن تكتشف الحقيقة بسهولة؛ لأني حرصت على تزويدك بكل المؤشرات التي تقودك إليها. وإن لم تكن قد اكتشفتها؛ فهذا لأنك كنت ومازلت محتفظًا بطبيعتك المسالمة التي تضع ثقتها كاملة فيما وفيمن حولها. في البداية كما في النهاية.

كان يجب أولاً أن تعرف على الأقل من الذي قتل "**نورتون**" حتى وإن كنت مازلت تجهل كل شيء عن وفاة "**بربارا فرانكلين**" . لكن لنبدأ من البداية. لقد استدعيتك إلى "**ستيل**" قائلا لك إني أحتاج إليك. وكانت حقيقة وقلتُ لك أيضًا وقتئذ أنه عليك أن تكون عينيَّ وأذنيَّ، قد تكون حقيقة، لكن ليس بالمفهوم الذي اتخذته أنت. كان عليك أن ترى ما أنا أرغب فيه وأنت تراه، وأن تسمع ما أنا راغب فيه وأنت قد سمعته.

لقد شكوت من عدم ثقتي بك بالكامل عندما وضحت لك ذلك الموضوع. نعم لقد أخفيت عنك هوية الشخص (س) لكن كان لابد من أن أتصرف على هذا النحو.

لقد منحتك ملخَّصًا كنتُ قد أعددته عن خمس حالات مختلفة. لقد ساعدتك على ملاحظة أن في كل حالة منها كان يبدو حقًّا أن الشخص المتهم أو المشتبه فيه هو الذي ارتكب الجريمة. ولقد أشرتُ إلى أنه في كل حالة منها كان الشخص (س) على

مقربة من مكان الجريمة، غير أن الظروف كانت قد تمت بحيث أن في كل منها كان مرتكبها هو الشخص نفسه. لكن كيف تفسر وجود الشخص (س)؟ وعدا شخص على صلة بالشرطة ورجال القانون ليس من المعتاد أن رجلاً أو سيدة يتواجد في كل حادثة، مفهوم؟ لن يحدث أن يأتي إليك شخص ويأتمنك على سره، قائلاً لك: "هل تعلم أني شخصيًا خمسة سفاحين؟"

لا. هذا مستحيل. لقد تواجدنا في الحقيقة أمام حالة لا تهتم إلا بتواجد شخص ثالث ليس له دور ولا يطرأ عليه أي تطوير، حقًا كان في ذلك موقف خارق غير طبيعي. هذا هو الوضع. عندما كان الشخص (س) يتواجد كانت الجرائم تتم؛ لكن ليس له دور فعّال في الجريمة.

هكذا في النهاية قد تحققت من شخصية الجاني الذي كان قد وضع لنفسه خطة تُبعد عنه كل الشبهات.

حقًا، إنه وضعٌ يدعو إلى الدهشة، لكنه ليس جديداً؛ لأنه قد تمت حالات مشابهة. وبذلك لقد وصلنا إلى أول مؤشر تركته لك وهو الجزء "**أوتللو**". نعم "**إياجو**" هو السَّفاح الممتاز والأكبر. والوفيات التي تمت كان "**إياجو**" قد ارتكبها كلها، نذكر منها وفاة "**ديديمون**"، و"**كاسيو**"، و"**أوتللو**". ومع كلٍّ فهو يبقى بعيداً عن الشبهات؛ على الأقل لقد ظل هكذا.

وكان "**شكسبير**" - صديقي قد تواجد أمام برهان ذي حدّين. ولكشف اللثام عن "**إياجو**" لجأ إلى أكثر الوسائل غرابة -المنديل- وكان وسيلة لا تتفق مع خطة "**إياجو**". كانت هنا غلطة تجعلنا نشعر بأن هذا الأخير ليس المجرم.

- نعم، هنا يتم كمال الفن عند ارتكاب الجريمة. لا وجود لكلمة واحدة للإثارة المباشرة. و"**إياجو**" يحتفظ بالآخرين على صلة به.

والخطة نفسها توجد في إنتاج "**جون فيرجنسون**" حيث بَحَثَ "**كلوتي جون**" وقد ناقض فكريا الآخرين على قتل الرجل الذي يمقته. وهو عامل رائع في مجال الإلماع للحالات النفسية.

يجب أن تفهم ذلك جيداً يا "**هاستنج**" كل منا يُعتبر سفاحًا، إذ إن الرغبة في القتل تظهر من حين إلى آخر داخل كل منا. لكن ليس بالتأكيد الإرادة للقتل.

كم من مرة سمعنا هذه الكلمات: "لقد أثارتني إلى الحد الذي جعلني راغبًا في

قتلها أوكدت أقتلها" !... "كان في إمكاني أن أقتله لتفوهه بمثل هذه الكلمات"... أو "لقد بلغت ثورتي أقصاها حتى أني كدت أقصف له عنقه".

وهكذا هناك الإحساس بالرغبة وهو ليس دليلا على "إرادة التنفيذ" غير أن هذا التحكم في الإرادة ينقص عند الأطفال. لقد شاهدت طفلا ذات مرة وهو يعنف قطة قائلاً: "اهدئي وإلا أقتلك". وفعلاً لم تهدأ القطة والطفل ينفذ رغبته بإرادته، وذلك بضرب القطة على رأسها فتموت في الحال، لكنه بكى كثيراً بعد ذلك؛ لأنه كان يحبها.

هكذا، كان حال الشخص (س). كان سبب ارتكابه للجريمة أنه قد تجاوز الرغبة ووصل إلى حدٍّ الإرادة.

لا تدهش يا صديقي، أنا ذاتي مَن كان في حياته يستنكر جريمة القتل ويحترم بكل قواه حياة الإنسان، في آخر أيامي ارتكبتُ جريمة قتل ربما لأني كنت منافقًا إلى أقصى حد، واثقًا للغاية باستقامتي، حتى أني تواجدت أمام هذا البرهان ذي الحدين.

لأنه.. يا "**هاستنج**" يوجد دائمًا في ذلك المؤيِّد والمعارض. ولقد كانت مهمتي في الحياة هي إنصاف البريء وإنذار المجرم، وكنت لا أستطيع تنفيذ ذلك إلا بطريقة واحدة. هذا لأن الشخص (س) كان بعيداً عن شبهة القانون. ولم أجد وسيلة أخرى لإثبات هزيمته وإبعاد كل شبهة عنه في حين أنه كفيل بالإساءة إلى غيره.

ومع ذلك، ترددتُ. كنت أرى بوضوح ما كان يجب أن أعمله، لكني كنت عاجزاً عن التنفيذ. كنت أشبه بـ"**هاملت**" كنت أعمل دائمًا على تغيير وقت اللعنة. ثم، كانت تلك المحاولة مع زوجة السيد "**ليتريل**".

كنت أرغب -يا "**هاستنج**"- أن أرى ما إذا كانت فطنتك المعروفة ستظهر في هذه المرة أيضًا. ولقد تم ذلك بوضوح عندما اتجه الشك من قبلك نحو "**نورتون**". لقد كنت بصيراً فعلاً.

"**نورتون**" كان رجلنا. ولم يكن لديك أي دليل تستند إليه في نظريتك، عدا ملحوظتك العاقلة، ولكنها ضعيفة بعض الشيء لأن الرجل كان غير واضح. في حين أنك كنت فعلاً في تلك اللحظة قريبًا جداً من الحقيقة.

لقد درستُ قصة حياته بدقة. كان الابن الوحيد لسيدة متسلطة، ويبدو أنه لم يتمكن في أية لحظة كانت من إثبات شخصيته. كما كان في المدرسة يعتبر معوقًا لا

يستطيع الاشتراك في اللعب مع أقرانه.

هناك كذلك حدث معبّر عندما ذكرت كيف أن زملاءه سخروا منه عندما شعر بميل إلى القيء لما رأى أرنبًا مسلوخًا. أعتقد أن مثل هذا الحدث البسيط ترك عنده أثرًا عميقًا. أصبح يمقت الدم والعنف وإنه لا إراديًا كان ينتظر الفرصة التي فيها سيتمكن من إثبات وجوده، وكذلك الانتقام بالقيام بأعمال شجاعة بل وعنيفة.

أتخيل أنَّه بدأ في سن مبكرة جدًا في اكتشاف قدرته على التأثير في الآخرين، وأنه كان موضع تقدير الناس وإن كانوا لا يولونه أيّ التفات، لذلك كان يشعر بجرح شعوره، لكنه كان يكتسب فائدة؛ إذ كان لابد له من فهم معاني كلامهم الخفية ومعرفة ردود الفعل عندهم مسبقًا ورغباتهم غير المعترف بها.

هل تحققت يا "**هاستنج**" إلى أي مدى كان مثل هذا الاكتشاف كفيلا بمنحه إحساسًا بالقوة؟ إنه "**نورتون**"؛ مَن كان الجميع يحبونه ويمقتونه في الوقت نفسه. كان يستطيع الدفع بالآخرين إلى ارتكاب ما لا يستطيع تنفيذه بنفسه أو -لاحظ جيدًا- أنه كان يعتقد أنه لا يرغب في أدائها.

في إمكاني أن أتخيله في أثناء ممارسته فكرته الراسخة هذا الهوس، ثم اكتساب طعم الذوق السقيم بالتدريج، تذوق هذا العنف الذي كان يفتقر إلى القوة البدنية اللازمة لأدائه،وهكذا أخذ هذا الهوى ينمو بلا توقف إلى أن أصبح ولعًا، وربما ضرورة. كان عبارة عن مخدر لا يستطيع التخلي عنه تمامًا كما يحدث مع أقراص الـ"مورفين" أو الـ"هيروين" كان "**نورتون**" -هذا الرجل ذو الطبع الوديع- كان يعشق الألم والعذاب الذهني.

كان "**نورتون**" يحتفظ بمفاتيح الحياة والموت.. كما كان تمامًا مثل شخص مُدمن مخدرات لابد له من الحصول على حقنة من المخدر، والعثور على ضحية بعد الأخري. إني مقتنع بأنه كانت هناك حالات أخرى بالإضافة إلى الحالات الخمس التي تمكنتُ من معرفتها. ولقد قام بالدور نفسه في كل حالة منها. كان يعرف "**إتيرينجتون**". ولقد قضى الصيف كله في القرية التي كان يسكنها "**ريجس**" الذي كان يتناول معه كأسًا أحيانًا، كما تعرَّف إلى "**فريدا كلاي**" في أثناء رحلة بحرية، تلك التي خدعها بقوله إنه إذا توفيت عمته فستكون له في ذلك منفعة: الخلاص من العذاب للعجوز

وحياة المتعة لها. كما كان صديق "**ليتشفيلد**" وعندما كان يتبادل الحديث مع "**مرجريت**"، كان لابد من أن تظهر تحت صفات بطلة قامت بتحرير شقيقاتها من العبودية. إنني مقتنع يا "**هاستنج**" بأنه ليس من بين أولئك الذين ارتكبوا جرائم، لم يكن تحت تأثير "**نورتون**" فيه.

وهكذا تصل من خلال ذلك إلى أحداث "**ستيل**"، كنت على طرفيْ "**نورتون**" منذ فترة من الزمن. وعندما تعرف إلى "**فرانكلين**" شعرت في الحال بالخطر بما لي من فطنة. إنك تدرك تمامًا أنه كان يجب أن يكون له قاعدة عمل، وبذلك أستطيع أن أعبر عما أريد؛ إذ لا يمكننا الحصول على نبات والعمل على نموه إن لم نكن بدأنا بالبذار. على سبيل المثال: لقد توقعت دائما أن في ذهن "**أوتللو**" كان الاقتناع راسخًا – وقد يكون سديداً– بأن الحب الذي كانت "**ديديمون**" تكنه له عبارة عن حب فتاة لمقاتل أكثر من أن يكون حب سيدة لرجل لأنه رجل فحسب. من الممكن أن يكون قد وقف على المعلومة التي تشير إلى أن "**كاسيو**" كان الرفيق الذي كانت طالما تمنته "**ديديمون**" وأن هذه الأخيرة –في الوقت المناسب– ستتحقق بنفسها من ذلك.

كان آل "**فرانكلين**" يقدمون لـ"**نورتون**" إمكانات شائقة. كل أنواع الإمكانات بالمعنى الصحيح، لا شك في أنك فهمت الآن يا "**هاستنج**" ما قد يراه شخص يتمتع بالإدراك الواعي منذ البداية، ومعرفة أن "**فرانكلين**" وابنتك قد افتتن أحدهما بالآخر. كان يجب أن تعرف أنه كان شغوفًا بابنتك بما كان يبدو منه من عدم التقائه بـ"**جوديت**" وبتركه جانبًا كل عبارات المجاملة، إلا أنه رجل يتمتع بخصال متينة واستقامة متميزة، ربما اتّصف حديثه معها بأسلوب جاف وبغلظة. كان يرى أنه على الرجل أن يظل وفيًّا للزوجة التي اختارها.

من جانب آخر كانت "**جوديت**" مولعة به، توقعت أنك لمحت ذلك وهي ذاتها ظنت أنك أدركته يوم أن رأيتهما معًا في مزرعة الزهور. ثم من جانب آخر ابنتك لم تخدعك عندما ظننت أنها مولعة بـ"**أليرتون**" كمن تعثر من خلال هذه اللعبة على تعزية مع معرفتها جيداً مع من تتعامل، حقًّا كان يعمل على تسليتها ولكنها لم تشعر نحوه بأي تعاطف. أمر طبيعي أن "**نورتون**" كان يعرف هدفه، كما كان قد توقع مسبقًا الإمكانات التي قد يمنحه إياها هذا الموقف. أعتقد أنه كان قد جرَّب

سلطانه وقدرته على "**فرانكلين**"، غير أنها كانت تجربة فاشلة. كان الدكتور ينتمي إلى تلك الفئة التي تتمتع بصفاء الذهن ومعرفة محدّدة لأحاسيسه واحتقار تام للضغوط الخارجية، هذا بالإضافة إلى أن أكثر شيء يعشقه في حياته، هو عمله. وهذا الأخير يقلل من قابليته للتجريح.

ولقد نجح "**نورتون**" أكثر من "**جوديت**" في اتخاذ موضوع نظرية الحيوات العديمة الفائدة، الحيوات غير المثمرة بكل مرونة للقيام بدوره، متظاهراً بأنه يؤازر النظرية المقابلة ومعلنًا في هدوء أن "**جوديت**" سوف لا تعمل بنظرياتها "إنه هذا النوع من النظريات الذي يتم الاعتراف به والتحدث عنه في مرحلة الشباب، لكن دون تنفيذ. والصغار ينجرحون بسرعة ويتسرَّعون كذلك في التعرض للمخاطرة.

وبالنسبة إلى زوال "**بربارا**" غير النافعة في حياتها، سوف يكون الطريق ممهداً أمام "**فرانكلين**" و"**جوديت**". ولم يسبق له النطق بذلك؛ لأنه إذا كانت "**جوديت**" قد شكت فيما هو عكس ذلك لتصرفت بعنف، لكن البرهان ذا الحدين كما هو الوضع مع "**نورتون**" لم تكفه نظرية واحدة، كما سعى بعيداً في مجال آخر إلى إيجاد فرصة لممارسة مواهبه، فوجد آل "**ليتريل**".

عُدْ قليلاً إلى الخلف يا "**هاستنج**" ولا تغفل عن البريدج الذي اشتركت فيه ليلة وصولك. ليتك تتذكره دائمًا. ولقد أدلى "**نورتون**" بملاحظاته بصوت عالٍ حتى أنك كنت تخشى أن يسمعها القائد، غير أنها كانت مقصودة. يجب أن يسمعها "**ليتريل**". كان "**نورتون**" لا يدع فرصة تمر إلا ويذكر فيها تصرف زوجة السيد "**ليتريل**" ويركز عليها بمرونة.

وأخيراً كلِّلت جهوده بالنجاح، ولقد تم ذلك أمام عينيك، يا "**هاستنج**" ولم تنتبه لها. كانت أسس العملية قد وُضعت: إحساس بالثقل الذي يحمله القائد، ومشاعره نحو زوجته. تذكر ما حدث بالضبط، "**نورتون**" يعلن أنه ظمآن، تُرى هل كان يعلم أن السيدة "**ليتريل**" كانت موجودة في هذه الأنحاء وقد لا تتأخر عن الاندماج في المشهد؟ هذا أمر محتمل فتصرف القائد في الحال كرد فعل لذلك مثل صاحب منزل كريم مضياف كعادته. لقد جلستم كلكم بالقرب من الباب والنافذة. وإذا زوجته تدخل إلى حجرة الطعام وإذا المشهد الذي كان من المستحيل تفاديه يتم.

ومن البديهي أن "**ليتريل**" تحقق من أنك سمعت. لقد عاد إلى الشرفة. كان في الإمكان العثور على وسيلة لتخفيف هذا الحدث البسيط. على سبيل المثال: كان في إمكان "**بويد**" القيام بذلك وبإتقان؛ لأنه فطنٌ إلى حدٍّ كبير ولماحٌ أيضًا. لكن "**نورتون**" شرع في الحديث وتمكن من تسميم الموقف بطريقة خفية. بدأ في ذكر "**البريدج**" الأمر الذي ذكّر "**ليتريل**" بما كان قد لحق به من خزي، ثم ذكر أحداث الصيد فكان "**بويد**" هو المتسرع دائمًا في الرد، يذكر بدوره قصة الروشتة الأيرلندية التي تسببت في قتل أخيه، قصة يا "**هاستنج**" كان قد سردها "**نورتون**" قبل ذلك، عالمًا بأن هذا الغبي سوف يكررها بأسلوب يجعلها لا تعود في النهاية إلى "**نورتون**".

إذن، ها هو كل شيء معدّ ولقد وصلوا إلى حد الانفصال. شعر "**نورتون**" بالخزي في حضرة رجال آخرين؛ لأنهم سمعوا عن هزيمته. فجأة، في آخر الحديقة وخلف الأشجار لمح رأس زوجته.... لا داعي إلى المخاطرة.... حادثة.... سوف أريهم ما أنا كفيل بعمله.... سأريها هي ذاتها.... أتمنى أن أراها ميتة... وسيكون هكذا لكنه لم يقتلها. يخيّل إلي أنه في لحظة إطلاق الرصاصة، شعر بحاسته أنه عاجز عن أن يفقدها، إذ إن "**ديزي**" على الرغم من كل ذلك زوجته وهو يحبها.

إحدى الجرائم التي لم يتممها "**نورتون**".

لكن بالنسبة إلى محاولته التالية.. أتعلم يا "**هاستنج**" أنه أنت من كان مقصودًا بها؟ ليتك تعود إلى الماضي وتتذكر يا صديقي العزيز. كان "**نورتون**" قد اكتشف كل صفات ضعفك، وكذلك جميع محاسنك وما لك من ضمير حي ونزاهة.

"**أليرتون**" هو ذلك النوع من الرجال الذي تمقته وتخشاه بحاستك وكل ما كنت تظنه عنه، وكل ما علمته عنه كان حقيقة. إنه شخص خائن ويعتدي على الفتيات، وبذلك يدفعهن إلى الانتحار.

من جانب آخر كان "**نورتون**" يحث "**بويد**" على التحدث معك أيضًا عن "**جوديث**". وأنت تشعر بأنك تحتاج إلى تفسير وإيضاح مع ابنتك. وهي التي سوف تستطرد في الحال -تمامًا كما توقعت- أنها سوف تقود حياتها بحسب هواها. وهذه الإجابة ستدفع بك إلى التفكير فيما هو أسوأ.

تطلع حاليًا إلى ألاعيب "**نورتون**": حبك لابنتك؛ الإحساس بالمسئولية التي يشعر بها رجل مثلك نحو أبنائه، لذلك تُحدث ذاتك قائلاً: "يجب أن أتصرف". أنا

المسؤول عن كل شيء.

هناك أيضًا إحساس بما لحق بك من الإهمال والوحدة خاصة بعد عدم الحصول على حكم قاطع بالنسبة إلى موضوع زوجتك. ولا تغفل عن حبك وإخلاصك لها. كما أنك لا ترغب في التخلي عن المسؤولية التي تركتها لك. أخيرًا على مستوى أقل، هناك كرامتك، وتذكّر أنك تعلمتَ مني كل الحيل والخدع الخاصة بالمهنة. ولنصف... إذا شئت... هذه الغيرة التي بالحاسة والتي يشعر بها أغلبية الرجال نحو من يحاولون اختطاف بناتهن. نعم لقد لعب "**نورتون**" على جميع الأوتار.

أراك أيضًا يا "**هاستنج**" .... تمنح أهمية كبرى لمظاهر الأشياء.. ولقد أيدت دون تفكير أن "**أليرتون**" كان قد أعطى الموعد لـ"**جوديت**" في "**لندن**" لليوم التالي. لكنك لم ترها، ولم تسمعها كذلك. غير أنك كنت قد اقتنعت في صباح اليوم التالي أنك حصلت على نتائج صحيحة عمّا كنت قد فاجأته. وأنك ابتهجت عندما قيل لك إن "**جوديت**" غيّرت فكرتها. لكن إذا كنت عملت على فحص الأحداث لاكتشفت في الحال أنه لم يكن هناك مبرر لكي تتغيب "**جوديت**" في هذا اليوم، كما أنك أهملت اكتشافًا بسيطًا: كان هناك أحدهم من كان يجب أن يتغيب طوال النهار؛ شخص ثالث؛ لأنه لم يتمكن من السفر. لقد كانت الممرضة الآنسة "**كرافين**" –حقًّا إن "**أليرتون**" ليس الرجل الذي يكتفي بملاحقة سيدة واحدة؛ لأن علاقته بالآنسة "**كرافين**" كانت قد تجاوزت الحد أكثر مما كانت عليه مع "**جوديت**". والموعد الذي أعطاه كان لها.

هناك مناورة أخرى لـ"**نورتون**": لقد شاهدت "**أليرتون**" وهو يُقبِّل "**جوديت**". حينئذ حثك "**نورتون**" على المرور بجوار المنزل؛ لأنه كان يعرف أن "**أليرتون**" على موعد مع الآنسة "**كرافين**" بالقرب من المستنبت. ثم بعد أن تظاهر بأنه يستوقفك تركك وشأنك. ومع ذلك تبعك.

وعلى الرغم من كل الأحداث التي مرت، كان اكتشاف الحقيقة بالأمر السهل. كنت قد استبعدت "**جورج**". لماذا؟ كنت قد استبدلت به خادمًا آخر أقل خبرة منه، وبالتالي أقل ذكاء. لماذا؟ ولم يكن هناك أي طبيب يتبعني، أنا من كنت دائمًا معتنيًا بصحتي، وكنت لا أرغب في استشارة طبيب واحد. لماذا؟

أعرفت حاليًّا لأيّ سبب كنت أحتاج إليك في "**ستيل**"؟ كان يلزمني من يقبل كلامي مثل كلمات الإنجيل. ولقد تقبلت كلامي عندما أعلنت أني عدت من "**مصر**" وأنا بحالتي المرضية كما هي، إنها ليست الحقيقة: لقد عدت إلى "**إنجلترا**" وأنا في أحسن حالة صحية وإذا كنت قد انفصلت عن "**جورج**" فهذا لأنه كان من الصعب وقتئذ أن أقنعه بأني أصبحت معوقًا وأني فقدت فجأة القدرة على استخدام ساقيّ. لو كان "**جورج**" موجودًا؛ لاكتشف أني أتظاهر بذلك، هل فهمت يا"**هاستنج**"، وإذ تظاهرت بأني معوق ولقد أقنعت الجميع بما فيهم "**كورتيس**" بأنه في استطاعتي أن أتنقل بمرونة، وإن كنت أعرج قليلاً.

في تلك الليلة سمعتك عندما صعدت. ثم دخلت بعد لحظة تردد إلى الحجرة، حجرة "**أليرتون**". كنت وقتئذ بمفردي لأن "**كورتيس**" كان قد نزل لتناول العشاء. ودون أن أفقد ثانية واحدة، خرجت من حجرتي واجتزتُ الممر، سمعتك وأنت في حمام "**أليرتون**"، وتوجهت لكي أنظر من ثقب كالون الباب، ولحسن الحظ، لم يكن المفتاح موضوعًا. ولقد رأيتك. وشاهدت ما قمت به، وأدركتُ فورًا ما كان يساورك من أفكار.

ولم يبق أمامي سوى التصرف. نظرتُ إلى حجرتي وقمتُ بالاستعدادات اللازمة، وعندما صعد "**كورتيس**" ثانية أرسلته إليك لكي تحضر عندي، ولقد دخلتَ حجرتي وأنت تتثاءب مدعيًا أنك تعاني صداعًا شديدًا.

في الحال سردتُ عددًا كبيرًا من القصص وعرضتُ عليك بعض الأدوية ولكي يكون لك سلام قبلت تناول قدح شوكولاتة بالسكر. لقد شربته دفعة واحدة؛ لأنك كنت متعجِّل الانصراف. غاية ما هناك، أنا أيضًا أستخدم الأقراص المنومة.

وعندما عدتَ إلى حجرتك نمت في مقعدك ذي المساند، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، كنت قد استعدت صفاء ذهنك ولقد شعرت بالخزي لما كنت تعتزم القيام به. لكنك لن تتعرض لأي مخاطر من الآن فصاعدًا، لأنه ليس مَن يحاول الإقبال على مثل هذا العمل بعد عودته إلى صوابه.

غير أن ذلك قد أفادني؛ لأن كل ما عرفته من الآخرين كان غير منطبق عليك يا"**هاستنج**". إنك لست سفاحًا ومع ذلك كان من الممكن أن يحكم عليك بسبب

جريمة ارتكبها شخص يعتبر بريئًا في نظر القانون. وأنت يا عزيزي "**هاستنج**" أنت مثال الاستقامة والنزاهة.

نعم كان يجب أن أتصرف. ولا أنكر أنه لم يكن أمامي وقت كاف، وفي الواقع كنت مبتهجًا لذلك؛ لأن أقصى شيء في الجريمة هو تأثيرها في المجرم ذاته. وأنا "**هركيل بوارو**" كان في وسعي أن أعتبر نفسي معينًا من قبل الله لإدانة الآخرين. لكن لحسن الحظ لم يحدث شيء من ذلك؛ لأنه بالنسبة إليّ لابد من أن تكون للأمور نهاية. لكنني كنت أخشى الألاعيب الشيطانية التي يستخدمها "**نورتون**" بالاعتداء على شخص عزيز لدينا لك ولي، إني أقصد ابنتك بقولي هذا. والآن ها نحن نصل إلى وفاة "**بربارا فرانكلين**" ومهما كانت أفكارك بالنسبة إلى هذه الحالة، لا أتوقع أنك شككت لحظة واحدة في الحقيقة؛ لأنه أنت يا "**هاستنج**" من قتل "**بربارا**"! نعم، إنه أنت!...

وفعلاً كان هناك مظهر آخر لزوايا المثلث. هذا المظهر الذي لم ألتفت إليه بالقدر الكافي. لا أنت ولا أنا فكرنا في الكشف عن ألاعيب "**نورتون**" في هذا الاتجاه. ومع ذلك أنا لا أشك في أنه قام بتنفيذها. أما تساءلت قط يا "**هاستنج**" لماذا كانت زوجة "**فرانكلين**" ترغب في المجيء إلى "**ستيل**"؟

إذا فكرت في الأمر ثانية واحدة لأيقنت أن هذا المكان هو اللائق باللقاء. كانت تحب الرفاهية والمطبخ الممتاز وفوق كل ذلك الاجتماعيات. والحال هذا، فإن "**ستيل**" ليست المكان المرح.. لكن كما سبق أن أشرت أعلاه كان هناك طابع آخر للمثلث لقد كان "**بويد**". بالنسبة إلى زوجة "**فرانكلين**"، فقد كانت سيدة قد خاب أملها. وكان هذا هو أصل عصبيتها، كما كانت لها أطماع وطموحات على المجال الاجتماعي والمالي. كانت قد تزوجت "**فرانكلين**" طمعا منها أنه سيكون ذا مركز مرموق. بالتأكيد لقد كان "**فرانكلين**" رجلاً بارزًا، لامعًا، لكن ليس كما كانت زوجته تتمناه. لم يؤهله ذكاؤه لا للأمجاد عن طريق تسليط الأضواء عليه بواسطة الصحافة، ولا للحصول على مكتب في «**هارلي ستريت**» (شارع في "**لندن**" يضم كبار الأطباء المتخصصين). من جانب آخر لن تتجاوز شهرته بعض زملائه وسوف لا ينشر مقالات علمية إلاّ في المجالات التي لا يقرؤها أحد. كما أنه سوف لا تكون له شهرة عالمية حتى يصبح حديث الناس بين الدول، وبالتالي لن يصل بعد المجد إلى

الثراء . . .

لكن ها هو "**بويد**" وقد عاد من الشرق وورث لقب "**بارون**"، أملاك واسعة وثروة ضخمة. كان قد احتفظ دائمًا في أعماق قلبه بإحساس حانٍ نحو الفتاة البالغة من العمر سبعة عشر عامًا، والتي كان موشكًا وقتئذٍ أن يطلب يدها. إنه يعتزم قضاء فصل الصيف في "**ستيل**" - في انتظار إتمام الأعمال التي بدأت في "**كناتون**" - ويقترح على "**فرانكلين**" وزوجته أن يغادرا هما أيضًا إلى "**ستيل**". فلبت "**بربارا**" الطلب فوراً.

بداهة، لم تفقد هذه السيدة شيئًا من سحرها في عيني هذا الرجل الثري والجذاب. غاية ما في الأمر أنه عجوز وليس هو من أوعز إليها فكرة الطلاق من "**جون فرانكلين**" الذي لا يقر هو ذاته الطلاق، لكنه إذا تُوفي فحينئذ تصبح "**بربارا**" زوجة السيد "**بويد**". وكم ستكون حياتها سعيدة في هذه الحالة!

يخيل إليَّ كذلك أن "**نورتون**" وجد فيها أداة سهلة الاستخدام. فكِّر يا "**هاستنج**" في المحاولات الأولى التي قامت بها زوجة "**فرانكلين**" لإثبات أنها متمسكة بزوجها. وفيما بعد بدأت خطة أخرى، لقد تظاهرت بأنها تخشى أن يستخدم زوجها الأقراص التي يعدها لاختبارها على نفسه.

نعم، كان ينبغي أن ترى الأمور على حقيقتها يا "**هاستنج**". كانت الأحداث تقودنا إلى مشاهدة "**فرانكلين**" مسمومًا بالـ"فيزوستجمين"، وأنه لم يكن هناك مبرر لأن يسعى أحدهم إلى قتله بالسم. أوه! لا، إنها ليست سوى تجارب علمية. كان يتناول القلويات غير الضارة التي في النهاية بدت مميتة. غير أن الأحداث تلاحقت بسرعة مذهلة. لقد أعلمتني أن زوجة "**فرانكلين**" كم تكدرت عندما رأت "**بويد**" عائدًا من رحلتهما إلى "**كناتون**". ودور الآنسة "**كرافين**": كانتْ الممرضة، السيدة الجذابة، وكانتْ قد قامتْ بمحاولة لجذب الدكتور "**فرانكلين**" لكنها فشلتْ، لأَنَّهُ تحوَّل إلى "**جوديت**". ثم تقربتْ من "**ألبرتون**" على الرغم من علمها بأنه لا يتصف بالرزانة وأنه ليس جادًّا في علاقته بها. كما أنها تحولتْ نحو الرجل الذي هو السيد "**ويليام**"، وكان هو أيضًا رجلاً جميلاً جذابًا، ولا يخفي أن هذا الأخير استسلم لإغرائها؛ لأنه رأى فيها فتاة رائعة الجمال وسليمة النية. من أجل ذلك خافت

"**بربارا**" وقررت التصرف بأقصى سرعة. هل تعلم يا صديقي أني أُكنُّ كل احترام لحبة فول "**كالابار**"؟ لأنها أثبتتْ قدرتها حقًّا: تنصف البريء وتعاقب المذنب(الجاني)، ولقد دعتكم زوجة "**فرانكلين**" في تلك الليلة إلى تناول القهوة في حجرتها، وشرعتْ في إعداد المشروب. وكما سمعت منك، كانت تضع القدح الخاص بها بالقرب منها وقدح زوجها من الجانب الآخر للمكتبة الصغيرة. تلا ذلك تدخُّل الكواكب السيَّارة. الجميع يغدون إلى الشرفة، وأنتَ وحدك بقيتَ مع كلماتك المتقاطعة وذكرياتك. وأخيراً لكي تُخفي تأثرك، عملت على إدارة المكتبة حتى تحصل على مؤلف لـ"**شكسبير**".

وعندما عاد الآخرون، شربتْ زوجة "**فرانكلين**" القهوة التي كانتْ مُعدَّة لزوجها بينما شرب زوجها القدح الذي كان على "**بربارا**" أن تشربه.

في الحال أدركتُ ما حدث، لكن كان من المستحيل أن أثبته بذلك، إذا ما نسبنا وفاة زوجة "**فرانكلين**" إلى ما هو غير الانتحار، إنما تحولت الشُّبهَة إلى "**فرانكلين**" و"**جوديت**" أي إلى شخصين بريئين بالتأكيد.

لذلك اعتقدتُ أن لي الحق فيما سردته بأني شاهدت بيدها قنينة ونسجت لك القصة بأنها – وإن كانت غير مقنعة بالقدر الكافي– كانت تردد أنها ترغب في وضع نهاية لحياتها.

ومن البديهي أنني كنتُ الشخص الوحيد القادر على أن يتصرف على هذا النحو؛ لأني ذو خبرة في مجال الجريمة وأن لشهادتي قدرها. وإذا ما أظهرت أني مقتنع بأن وفاتها إنما كانت نتيجة انتحار، فسوف يقبل رأيي. ولقد لاحظتُ عدم اقتناعك بقرار لجنة التحكيم الشرعية. لكن حمداً لله أنك لم تشك في الخطر الحقيقي. تُرى هل ستفكر فيه بعد اختفائي؟ (أي بعد زوالي) تُرى هل سيلاحق فكرك من حين إلى آخر،... وإذا كانت "**جوديت**"...؟

قد لا يكون مستحيلاً، ومن أجل ذلك قررت كتابة ما أكتبه هذا؛ لأنه من الضروري أن تعرف الحقيقة.

كان هناك أيضًا شخص آخر لم يرض عن التقرير بأنها حالة انتحار. لقد كان "**نورتون**"؛ لأنه كان يشعر بالغبن.

كان هذا الشخص قبل ذلك بأيام قد تظاهر بأنه شاهد من خلال منظاره المكبر

شيئًا ما غير عاديّ، مانحًا بذلك فرصة للاعتقاد بأنه رأي "**أليرتون**" و"**جوديت**" في وضع مخلّ، غير أنه تمكن من استخدام هذا الموقف على نحو آخر، طالما لم يحدّد شيئًا وقتئذ، ولنفترض أنه أعلن مثلاً أنه رأى "**فرانكلين**" برفقة "**جوديت**" فبذلك يكون قد منح مظهرًا آخر لوفاة "**بربارا**"، بل وقد يلقي بالشكوك حول حقيقة الانتحار. من أجل ذلك يا عزيزي أردتُ أن أتصرف بلا تمهل وطالبتك بإحضار "**نورتون**" في الليلة نفسها.

والآن سأقص عليك ما حدث بالضبط. لا شك في أن "**نورتون**" ابتهج لحصوله على الفرصة التي سوف يسرد عليَّ قصته التي نسجها وفقًا لخياله. لكنني لم أدع له الفرصة لذلك؛ لأني أخبرته في الحال وبوضوح بكل ما أعرفه عنه، وكذلك بكل تصرفاته، ولم ينكر شيئًا، بل ظل جالسًا في مقعده ذي المساند مبتسمًا. نعم ياصاحبي لقد كان مبتسمًا. ثم سألني عمّا أعتزم القيام به. أجبته بما أنوي تنفيذه بالتفصيل. فما كان منه إلا أن صاح:

– آه السيف أو كأس السم؟

في تلك اللحظة كنا نتناول قدحًا من الشوكولاتة لأن السيد "**نورتون**" كان يميل إلى المشروبات السكرية. وكانت إجابتي:

– من البديهي أن السم هو الأسهل. وناولته قدح الشوكولاتة الذي ملأته. سألني:

– **في هذه الحالة هل إذا أخذت قدحك عوضًا عن قدحي أفي ذلك ما يضايقك؟**

أجبته:

– لا، بلا شك لا.

وكان ذلك بلا أدنى أهمية وكما سبق أن أخبرتك أنا ذاتي أستخدم الأقراص المنومة، لكنني قد اكتسبت حالة الإدمان. وأن الجريمة التي تؤثر في "**نورتون**"، لا أتأثر أنا بها. والجريمة كانت في وعاء الشوكولاتة ولقد تناول كلانا منها. لقد كان لها تأثير في "**نورتون**" بعد فترة محدّدة. أما أنا فقد كان التأثير فيَّ حقيقيًا جدًا؛ لأني أفسدتها بما أتناوله من الـ"ستريكنين" المقوي.

وها نحن قد وصلنا إلى آخر مرحلة من القصة. لقد نام "**نورتون**" فوضعته في مقعدي الذي دفعت به إلى جوار النافذة في مكانه المعتاد خلف الستائر المزدوجة....

وعندما ساد الهدوء المكان دفعت بـ"**نورتون**" حتى حجرته. ولم يبق أمامي سوى الاستفادة بعينيْ وأذنيْ صديقي العزيز "**هاستنج**". ربما أنك لم تلاحظ ذلك، لكنني في الواقع أضع (باروكة) منذ سنوات عديدة. وربما أنك لم تلمح أن شاربيَّ هما أيضًا مستعاران. (وحتى "**جورج**" يجهل هذا التفصيل)؛ لأنني في الواقع تظاهرتُ بأني حرقته بعد مجيء "**كورتيس**" وعملت على إعداد شاربين آخرين عند حلاقي الخاص.

بعد ذلك ارتديت "الروب دي شامبر" الخاص بـ"**نورتون**" وعملت على نكش شعري كما كانت هذه هي عادة "**نورتون**"، ثم توجهت لكي أقرع بابك، وكان كما توقعت. أنك ظهرت على عتبة باب حجرتك والنعاس بادٍ في عينيك.

لقد شاهدت "**نورتون**" خارجًا من الحمام ومخترقاً الدهليز وهو يعرج كعادته حتى وصل إلى حجرته وبعد دخوله، شعرت بصوت المفتاح يدور في الكالون. حينئذ تخلصتُ من "الروب دي شامبر" وألبسته "**نورتون**" النائم، ثم وضعته على سريره وقتلته بواسطة مسدس، وكنتُ محتفظًا بهذا السلاح في مكان مغلق منذ وصولي إلى "**ستيل**" إلا في مناسبة عندما كنت أعلم أن "**نورتون**" خرج لنزهة تستغرق وقتاً طويلاً، فكنتُ أضعه على (الكومودينو) في حجرته لكي تشاهده عاملة النظافة فيكون دليلاً ضده فيما بعد. ثم وضعت المفتاح في جيب "**نورتون**" واستعدتُ مقعدي المتحرك وأغلقتُ الباب بالنسخة الثانية للمفتاح التي كانت معي منذ فترة من الزمن.

منذ تلك اللحظة وأنا مشغول في تحرير هذا البيان الخاص بك. والآن هأنا مرهق؛ فالجهود التي قمت بها أرهقتني وهأنا أشعر بدنوّ أجلي... مع ذلك هناك تفاصيل أخرى أود أن أوضحها:

إن حالات الاغتيال التي كان يرتكبها "**نورتون**" كانت جرائم بالمعنى الصحيح؛ أما جريمتي فليست هكذا؛ لأنها لم تكن رغبتي. فالطريقة الأكثر سهولة والأفضل عند التنفيذ، كانت إتمام ذلك على المكشوف، كان يتظاهر مثلا بأنه قد تم حادث بسبب المسدس الأتوماتيكي، ومن بعده يُبدي أسفه وعدم معرفته بأن المسدس كان محشواً بالطلقات... فيكون صدى الحادث أن الجميع سوف يرددون: "مسكين، إنه مُسنّ ولا يعرف ما إذا كان مسدسه به طلقات أم لا". لم أتصرف بهذه الطريقة،

وسأخبرك عن سبب ذلك.

هأنا أقوم حاليًّا بما وجهتَ إليّ من لوم بأني لا أقوم بما حذرتني منه.

وأنت تعلم -لأني أخبرتك به- أن "**نورتون**" وصل إلى هنا من بعدي، وأني غيّرت الحجرة بعد وصولي بقليل. كما أنك تعلم أيضًا؛ لأني قلت لك ذلك أيضًا إنه منذ وصولي إلى "**ستيل**" قد اختفى مفتاح حجرتي وأني طبعت نسخة أخرى.

بالتالي عندما تتساءل عمّن قتل "**نورتون**"؟ وعمّن يمكنه الخروج من حجرة تبدو مغلقة من الداخل، فالردُّ يكون كالآتي: "**هركيل بوارو**" الذي عنده -منذ تواجده في "**ستيل**"- نسختان من مفتاح إحدى الحجرات.

والآن لنتحدث عن الرجل الذي شاهدته في الدهليز. لقد سألتُك عمّا إذا كنتَ واثقًا بأنه "**نورتون**"، بدتْ عليك الدهشة من هذا السؤال وسألتني بدورك عمّا إذ كنتُ أسعى إلى التمويه إلى أنه ليس هو، وأجبتك وقتئذ بالحقيقة: أنها لم تكن نيتي قط ثم بعد ذلك ذكرتُ أطوال الرجال المقيمين في "**ستيل**" وأن جميعهم أطول منه. ومع ذلك كان هناك من هو أقصر: "**هركيل بوارو**". غير أنه أمر سهل نسبيًّا، أمر الحصول على بعض السنتيمترات عن طريق كعوب إضافية للأحذية.

كما أنك كنتَ مقتنعًا بأني كنتُ عاجزًا عن التنقل بمفردي، لكن لماذا؟ فقط لأنك كنت قد صارحت بذلك أيضًا.

أخيرًا كنت قد استبعدت "**جورج**" تاركًا لك آخر إشارة: «اذهب للقاء "**جورج**"».

"**أوتللو**" و"**كلوتي جون**" يخبرانك بأن الشخص (س) ليس سوى "**نورتون**".

إذن من الذي قتل "**نورتون**"؟ "ليس مَن كان في إمكانه القيام بذلك سوى "**هركيل بوارو**". لو كان هذا الشك قد ساورك لوجد كل جزء مكانه في عناصر الموضوع: ما أخبرتك به وما قمتُ بتنفيذه، وكذلك ما أخفيته عنك، وكذلك إعلان الأطباء المصريين وقرار طبيبي الخاص اللندني الذي يَدَّعي أني لا أتنقل بطريقة طبيعية إنما أعرج قليلاً، وإعلان "**جورج**" بأني أضع (باروكة)... جميع هذه التفاصيل كانت كافية لوضعك على الطريق المؤدي إلى الحقيقة.

أخيرًا كانتْ طلقة المسدس. ضعفي الوحيد. لقد تحققتُ تمامًا من أنه كان يجب

أن أضغط على زناد سلاحي على صدغ "**نورتون**"، ولما لم أُجدْ تحديد هذا المكان، اتجهت نحو وسط الجبين.

آه يا "**هاستنج**". "**هاستنج**"، هذا وحده كان كفيلا بإظهار الحقيقة واضحة أمامك. ومع ذلك ربما تكون قد شككت في هذه الحقيقة أو توقعتها. ومن يدري؟ ربما كنت تعرفها قبل قراءة هذه السطور. ومع ذلك... لا أعتقد؛ لأنك شريف جداً ومخلص جداً، ولأن طبيعتك ممتازة. وأنت، يا "**هاستنج**" يا مسكين، يا وحيد! إن قلبي ليدمي كلّما فكرت فيك وفي روحك اليائسة، أترغب أخيراً في نصيحة من صديقك العجوز "**بوارو**"؟ في حالة "نعم" يجب عليك أن تأخذ القطار فور الانتهاء من قراءة هذه السطور، أو السيارة، وأن تتجه لزيارة "**إليزابيث كول**" التي هي "**إليزابيث ليتشفيلد**".

اقرأ لها هذا المكتوب أو اسرده عليها. وضح لها أنه في وسعك أنت أيضًا أن تتصرف مثل شقيقتها "**مرجريت**". غاية ما في الأمر لم يكن للمسكينة "**ماجي**" من يسهر على راحتها مثل "**بوارو**". أخبر "**إليزابيث**" بكل ذلك وانتزع منها هذا الكابوس الذي يراودها منذ سنوات. أكد لها أن والدها لم يمت مقتولاً بيد ابنته، إنما بيد هذا الصديق الطريف، صديق الأسرة: "**إياجو**" "**ستيفين نورتون**"؛ إذ إنه ليس من العدل يا صديقي أن سيدة في مثل جمالها وشبابها ترفض الحياة اعتقاداً منها بأنها ضحية القَدَر.

أخيراً ليس لديَّ ما أخبرك به أكثر من ذلك، كما أني لست أدري يا "**هاستنج**" ما إذا كان ما قمتُ به شرعيًّا أم لا. حقًّا لستُ أدري.

في الواقع، لا أعتقد أن للإنسان الحق في تعديل القانون، لكن من جانب آخر، إني أتبع القانون. عندما كنت شابًّا في خدمة الشرطة البلجيكية، أرديْت مجرمًا كان متواجداً فوق السطح ويطلق الرصاص على المارة. وعند الضرورة والخطر الشديد أنقذت حياة العديد من الآدميين، حياة الأبرياء. ومع ذلك "لست أدري"...

الوداع يا صديقي العزيز لقد استبعدت من على (الكوموديتو) المجاور لفراشي أمبولات الـ"أميلتيرا"، لذلك أفضل الاستسلام ليد الله القدير. ليته لا يتأخر عن إعلان رحمته أو إلحاق لعنته بمن يستحقها. لم نعد نصطاد معًا يا صديقي. لقد كان أول صيد لنا هنا. أتتذكر ذلك؟ وهنا قمنا بالأخيرة. وكان الطقس الجميل. نعم كان حقًّا الطقس الجميل.

المذكرة الأخيرة للقائد "آرتير هاستنج"

هأنا قد انتهيت من القراءة ولا أستطيع أن أصدق ما قرأت، مع ذلك كان "**بوارو**" على حقٍّ؛ كان يجب أن أعرف، كان يجب أن أفهم عندما شاهدت جرح "**نورتون**" المميت: أثر الرصاصة وسط الجبين.

أمر عجيب! أتذكر فجأة أن في ذلك الصباح، خرجتْ من داخلي فكرة مشوشة. لقد كانت هذه العلامة، أي أثر الجرح في جبين "**نورتون**"، مثل علامة "**كايين**".

تمت بعون الله